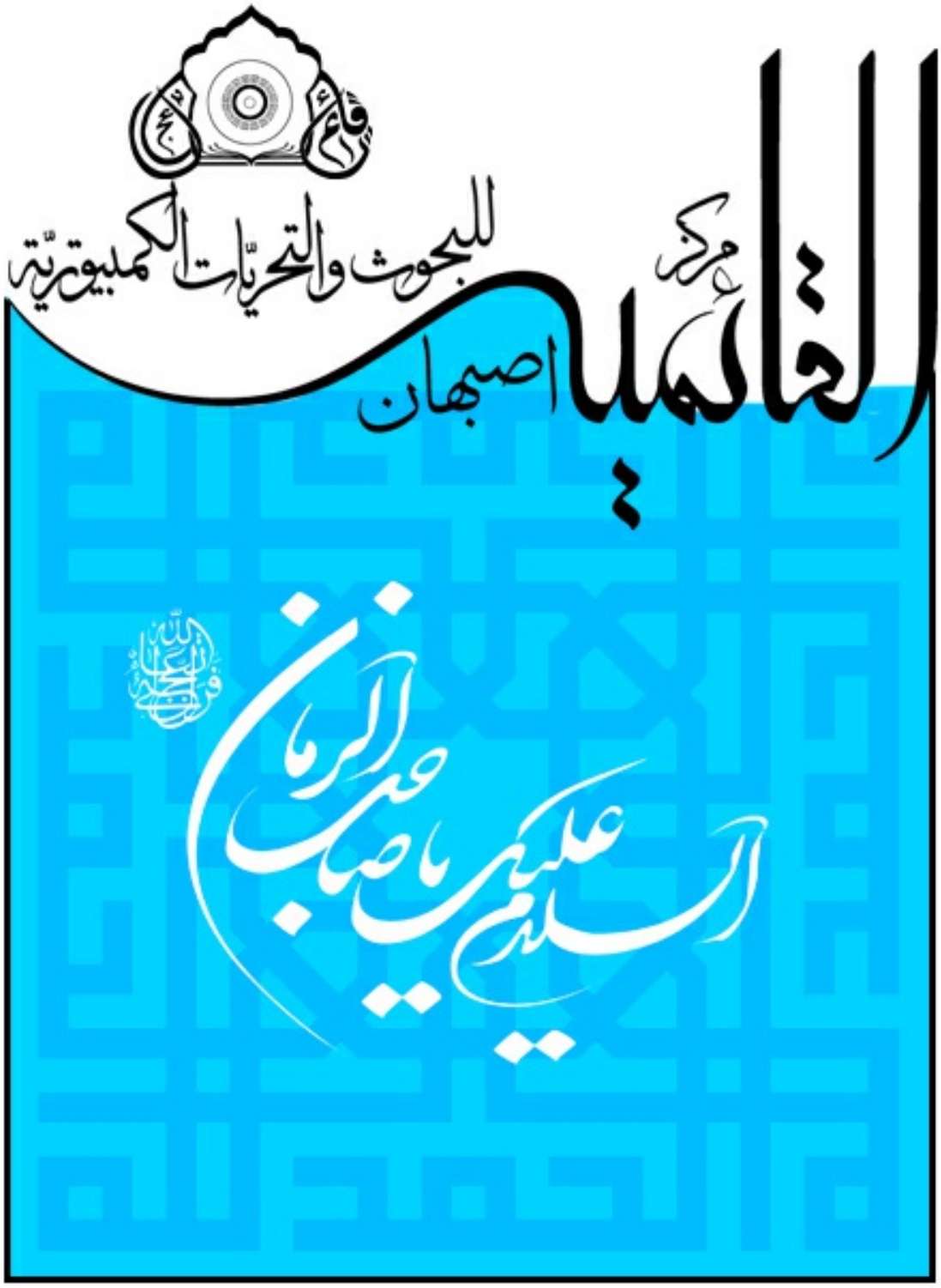

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ

إعداد

مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي

طبعة تاريخية، مصححة، ومنقحة

محققة على أوسع المخطوطات، ومزينة بفهارس شاملة

«٩ — ١٠»

دار إحياء التراث العربي

بسم الله الرحمن الرحیم

كتاب الأغاني

كاتب:

أبى الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

نشرت في الطباعة:

دار احياء التراث العربي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

الأغاني المجلد 9 27

هوية الكتاب 27

اشارة 27

تتمة التراجم 31

اشارة 31

1 - ذكر أخبار كثير و نسبه 31

نسبه: 31

اشارة 31

صوت 31

كنيته و طبقته في الشعراء و نحلته: 33

الحديث عنه و على شعره: 33

ما كان بينه و بين الحزين الديلي: 35

تهدده أبو الطفيل و استوهبه خندف الأسديّ: 37

أنكر على الأحوص ضراعته في الاستجداء: 37

اشارة 37

صوت 37

حديثه مع عبد الملك في استقطاعه أرضا له: 39

هجاء الحزين له في مجلس ابن أبي عتيق: 39

ادّعى أنه قرشي فرده الشعراء و سبه الكوفيون: 41

نبذة عن سراقة البارقي و قصته مع المختار حين أسر: 43

كان يرى أن ابن الحنفية لم يمت و كان ذلك رأي السيد: 45

شعره في ابن الحنفية حين سجنه ابن الزبير في سجن عارم: 47

أنشد عليّ بن عبد اللّه شعرا له في ابن الحنفية و حديثه معه: 47
غلوه في التشيع و القول بالرجعة و أخبار له في ذلك: 49
كان أبو هاشم يتجسس أخباره: 49
كان يقول عن الأطفال من آل البيت إنهم الأنبياء الصغار: 51
كان عمرو بن عبد العزيز يعرف بحبه صلاح بني هاشم و فسادهم: 51
قال لعمته إنه يونس بن متى: 51
كان عاقا لأبيه: 53
ضافه مزني و ذمه بأنه لم يقم لصلاة الصبح: 53
كان يهزأ به و يصدق ما يسمع عن نفسه: 53
كان تياها و يستحمقه فتيان المدينة لذلك: 53
سأله عبد الملك عن شيء و حلفه بأبي تراب: 53
تمثل عبد الملك بشعر له حين منعته عاتكة من الخروج لحرب مصعب و حديثه معه عن هذه الحرب: 55
اشارة 55
صوت 55
بكى لقتل آل المهلب فزجره يزيد و ضحك منه: 55
سأله عبد الملك عن أشعر الناس فأجابه: 57
جواب عبد الملك له و قد سأله عن شعره: 57
كان عبد الملك يروي أولاده شعره: 57
نزل مرعي لإبله فضيق عليه أهله فذم جوارهم: 57
روايته عن بدء قوله الشعر: 59
عزة عشيقته و أول عشقه لها: 59
سؤال عبد الملك لعزة عن كثير و سبب إعجابه بها: 61
قصة غلام له مع عزة و إعتاقه بسبب ذلك: 63
لقيت قسيمة بنت عياض عزة و وصفتها: 65
سأل عبد الملك كثيّرا عن أعجب خبر له مع عزة فذكر له ملاقاتها له مع زوجها إذ أمرها بشتمه: 65

اشارة 65
صوت 65
اجتمعا ذات ليلة و وصف ذلك صديق له: 67
سامته سكينة بجمله فلما رأى عزة معها تركه لهم: 67
قال بعض الرواة إنه لم يكن صادقا في عشقه: 69
لقي عزة في طريقه إلى مصر و تعاتبا: 69
اشارة 69
صوت 71
قصته مع أم الحويرث الخزاعية و حديث عشقه لها: 71
اشارة 71
صوت 71
صوت 73
سأله ابن جعفر عن سبب هزاله فأجابه: 73
أغرت عزة به بثينة لتتبين حاله: 75
قال لأهله إذ بكوا في مرضه سأرجع بعد أيام: 75
مات هو و عكرمة في يوم واحد سنة 105: 75
ما جرى في جنازته بين أبي جعفر الباقر و زينب بنت معيقب: 75
نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء: 77
صوت 77
عمر الوادي يأخذ صوتا عن راعي غنم في شعر له: 77
2 - أخبار عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر 80
كان عالما و مغنيا و نسب غناءه لجاريته شاجي ترفعا: 80
كان المعتضد يتفقده لما رقت حاله و طلب منه جاريته ليسمع غناءها فأرسلها له: 80
كانت شاجي جاريته تلحن للمعتضد بعض الشعر: 80
ماتت شاجي فرثاها: 81

له كتاب الآداب الرفيعة في الغناء: 81
قص عليه الزبير بن بكار قصة فاستحسنها و أمر له بمال: 81
و من الأصوات التي تجمع النّغم العشر: 83
صوت 83
لحنه في شعر ابن هرمة يجمع النغم العشر: 83
أثبت في كتابه نقد أبي نواس لشعر لابن هرمة و شعر لجرير: 83
و مما يجمع النغم العشر صوت ابن أبي مطر في شعر نصيب: 85
اشارة 85
صوت 85
وفد نصيب على عبد العزيز بن مروان و مدحه فأجازه: 87
صوت له يجمع ثماني نغم و قد مدحه إسحاق 89
صوت 89
3 - ذكر مسافر و نسبه 91
اشارة 91
مناقضاته عمارة بن الوليد: 91
خطب هندا بنت عتبة و لما تزوجت أبا سفيان مرض و اعتل حتى مات: 91
لما مات رثاه أبو طالب: 93
اشارة 93
صوت 95
خبر طلاق هند بنت عتبة من الفاكه بن المغيرة: 97
اشارة 97
صوت 99
فأما خبر عمارة بن الوليد و السبب الذي من أجله أمر النّجاشيّ السواحر فسحرته 99
ما كان بين عمرو و عمارة لدى النجاشي: 99
شعر عمرو بن العاص في عمارة: 103

شعر خولة بنت ثابت في عمارة: 103
كان عبيد اللّه يراسل المعتضد على لسان جواريه: 105
كان المكتفي يراسله في الغناء: 105
الأرمال الثلاثة المختارة 107
الأرمال المختارة و الكلام عنها: 107
نسبة الأصوات و أخبارها: 109
صوت 109
الصوت الأوّل من هذه الأرمال في شعر ابن أبي ربيعة: 109
ابن أبي ربيعة و أم عمرو بنت مروان: 109
أمر عمر بن عبد العزيز بنفيه ثم خلاه لما تاب: 111
نفى الأحوص و لم يطلقه إلا يزيد بن عبد الملك: 111
سليمان بن عبد الملك و نفيه ابن أبي ربيعة إلى الطائف: 115
ابن أبي عتيق و غناء ابن سريج: 116
أبو السائب و ابن سريج: 117
الوليد بن عبد الملك يأمر والي المدينة أن يشخص إليه ابن سريج: 117
عبد اللّه بن الزّبير يعجب لسماع غناء ابن سريج: 117
ثاني الأرمال الثلاثة في شعر امرئ القيس: 119
صوت 119
شيء من معلقته و شرحه: 119
4 - ذكر امرئ القيس و نسبه و أخباره 128
نسبه من قبل أبويه: 128
كنيته و لقبه: 128
مولده و منزله: 129
سبب تسمية آبائه بأسمائهم: 129
قصة جده الحارث بن عمرو مع قباذ و ابنه أنوشروان: 129

الحارث بن عمرو و تمليكه أولاده على قبائل العرب: 133
مقتل حجر أبي امرئ القيس: 133
وصيته لبنيه عند موته: 138
هند بنت حجر يجيرها عوير بن شجنة: 141
امرؤ القيس يستعدي بكرا و تغلب على بني أسد: 141
يلجأ إلى عمرو بن المنذر: 143
يستنصر أزدشنوءة: 145
و مرثد الخير الحميري: 145
و قرمل بن الحميم: 145
طلبه المنذر فهرب و نزل بالحارث بن شهاب: 145
ثم نزل على سعد بن الضباب الإيادي: 145
و المعلّى بن تيم: 147
ثم ببني نبهان: 147
ثم نزل بعامر بن جوين: 149
ثم بحارثة بن مر: 149
طلب إلى السموأل أن يكتب له إلى الحارث ليوصله إلى قيصر: 153
لما وصل إلى قيصر دس له عنده الطماح حتى سمه بحلة خلعها عليه: 153
عبد الملك بن عمير يحدث عمر بن هبيرة بحديث عنه فيسرّ به و يجيزه: 155
مفاوضات امرئ القيس و قبائل أسد بعد موت حجر: 159
أصوات معبد المعروفة بالقابها و هي خمسة 161
أصوات معبد الخمسة و ألقابها: 161
نسبة هذه الأصوات و أخبارها 163
5 - أخبار الأعشى و نسبه 164
نسبه و كنيته: 164
لقب أبيه قتيل الجوع: 164

شاعر جاهلي: 164
أشعر الناس إذا طرب: 164
قبيلته أشعر القبائل عند حسان: 164
فاخر ابن شفيع بقبيلته بني ثعلبة عبد العزيز بن زرارة: 164
هو صناجة العرب: 165
كان أبو عمرو بن العلاء يقدمه: 165
سئل مروان بن أبي حفصة عن أشعر الناس فقدمه بشعره: 165
قدمه حماد على جميع الشعراء حين سأله المنصور عن ذلك: 165
أوصى أبو عمرو بن العلاء الناس بشعره: 167
وضعه جني في المرتبة الثالثة بعد امرئ القيس و طرفة: 167
هو أستاذ الشعراء في الجاهلية و جرير أستاذهم في الإسلام: 169
حديث الشعبي عنه: 169
حماد الراوية يسأل عن أشعر العرب فيجيب من شعره: 169
كان قدريا و كان لبيد مثبتا: 169
هريرة عشيقته: 171
مدح المحلق الكلابي و ذكر بناته فتزوّجن: 171
اشارة 171
صوت 173
اسم المحلق الكلابي و سبب كنيته و سبب اتصاله بالأعشى: 173
سألته امرأة أن يشيب ببناتها فشبب بهنّ فزوّجهنّ: 175
أسره رجل من كلب كان قد هجاه فاستوهبه منه شريح بن السموأل: 177
مدح عامر بن الطفيل و هجا علقمة بن علاثة: 179
تزوّج امرأة من عنزة ثم طلقها و قال فيها شعرا: 181
اشارة 181
صوت 182

فخر الأخطل بشعر له في الخمر فرد عليه الشعبي بشعره: 183
مدح سلامة ذا فائش فأجازه: 185
أراد أن يفد على النبي ليسلم فردته قريش بجائزة فعثر به بعيره فمات: 185
قبره بمنفوحة يتنادم عليه الفتيان: 187
صوت معبد المسمى بالدوامة في شعره: 187
صوت معبد المسمى بالمنمنم: 189
اشارة 189
صوت 189
صوت 189
صوت معبد المسمى بمعقصات القرون: 190
6 - نسب عمرو بن سعيد بن زيد و أخباره 192
اشارة 192
نسبه، و شيء عن أبيه سعيد بن زيد: 192
معبد و ابن عائشة في حضرة الوليد بن يزيد: 192
اشارة 192
صوت 192
أحمد بن أبي العلاء يغني المعتضد بشعر الوليد فيجيزه: 194
و منها صوت و هو المتبختر 194
صوت معبد المسمى بالمتبختر: 194
صوت و هو المسمى مقطّع الأثفار 196
الأحوص و موسى شهوات: 196
حديث سلامة مع الأحوص و عبد الرحمن بن حسان و هو كما يرى أبو الفرج موضوع: 196
أصوات معبد المسمّاة مدن معبد و تسمّى أيضا حصون معبد 200
مدن معبد أو حصونه: 200
نسبة هذه الأصوات و أخبارها 203

صوت ---- 203
7 - ذكر عبيد اللّه بن عبد اللّه و نسبه ---- 204
نسبه، و عداده في بني زهرة: ---- 204
كان لجده صحبة و ليس بدريا: ---- 204
استعمل أباه عمر بن الخطاب: ---- 204
أخواه عون و عبد الرحمن و شيء عنهما: ---- 204
كان فقيها، و هو أحد السبعة بالمدينة: ---- 206
كان يؤثره ابن عباس: ---- 206
حديث الزهري عنه و كان كثير الاتصال به: ---- 206
أثنى عليه عمر بن عبد العزيز: ---- 206
ما جرى بين عمر بن عبد العزيز و عروة في شأن عائشة و ابن الزبير أمامه، ثم شعره لعمر حين أرسل إليه: ---- 208
حجبه عمر بن عبد العزيز فقال فيه شعرا ثم اعتذر فعذره: ---- 210
شعره في عراك و ابن حزم حين علم أنهما مرّا عليه و لم يسلما: ---- 211
اشارة ---- 211
صوت ---- 212
شيء من شعره: ---- 214
استحسن جامع بن مرخية شعره فأجازه: ---- 214
مختارات من شعره: ---- 214
اشارة ---- 214
صوت ---- 216
قدمت المدينة مكية فتنت الناس فشبب بها: ---- 216
عتب على زوجة عثمة في بعض الأمر فطلقها و شعره فيها: ---- 218
اشارة ---- 218
صوت ---- 218
صوت ---- 220

صوت ---- 220
بلغه أن رجلا يقع ببعض الصحابة فجفاه: ---- 220
صوته: ---- 222
صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن: ---- 222
اشارة ---- 222
صوت ---- 222
ما وقع بين بني كعب و بني همام، و قصيدة الأعشى في ذلك: ---- 224
يوم عين محلم: ---- 226
مسحل رئي الأعشى: ---- 226
اشارة ---- 226
صوت ---- 228
8 - ذكر الشّمّاخ و نسبه و خبره ---- 229
نسبه من قبل أبويه: ---- 229
مخضرم، و هو أحد من هجا عشيرته: ---- 229
له أخوان جزء و مزرّد: ---- 229
ناحت الجن على عمر بشعر فنحل لجزء أخيه: ---- 231
وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة: ---- 231
قال الحطيئة إنه أشعر غطفان: ---- 233
هو أوصف الناس للحمير: ---- 233
حديث الشماخ و مزرّد مع أمهما: ---- 233
منازعته قوم امرأته إلى كثير بن الصلت: ---- 233
سألته امرأة لا تعرفه عن قصته مع زوجه، و شعره في ذلك: ---- 235
خطب امرأة فتزوّجها أخوه جزء فماتا متهاجرين: ---- 237
استنشد المهدي بن دأب من أشعر ما قالت العرب فأنشده من شعره: ---- 237
عرابة الذي مدحه و نسبه: ---- 239

أتى عرابة النبي في غزاة أحد مع غلمة فردّهم: 239
قصة أبي عرابة و عمه مع النبي: 241
كان عرابة سيدا في قومه و أبوه من وجوه المنافقين: 241
لقي الشماخ بالمدينة فأكرمه فمدحه: 241
سأله معاوية بأي شيء سدت فأجابه: 241
اعترض عليه ابن دأب في شعره لابن جعفر: 241
نقد أبو نواس بيتا له و وازنه بعشر الفرزدق: 243
نقد عبد الملك بن مروان شعره: 243
المهلب و الشعراء: 245
المهدي و أبو دلامة: 245
لطيفة الأعرابي على مائدة عبد الملك بن مروان بسبب بيت له: 245
سأل كثير يزيد بن عبد الملك عن معنى بيت له فسبه: 247
تمثل ابن الزبير ببيت له في حواره لمعاوية: 248
صوت من مدن معبد 248
صوت معبد في شعر كثير بن كثير بن المطلب: 248
ابن عائشة يذكر بحادثة لكثير و عزة فيغني بشعر: 250
معبد و ابن سريج يبكيان أهل مكة بغنائهما: 252
اشارة 252
صوت 252
صوت من مدن معبد في شعر قيس بن ذريح: و من مدن معبد. 254
صوت 254
صوت 254
9 - ذكر قيس بن ذريح و نسبه و أخباره 257
نسبه: 257
هو رضيع الحسين بن علي: 257

أول عشيقه لبني ثم زواجه بها: 258
أبواه يغريانه بطلاقها و يأبى هو: 259
طلاقه لبنى ثم ندمه على فراقها، و شعره في ذلك: 259
اشارة 259
صوت 261
صوت 263
صوت 263
صوت 265
خرج في فتية إلى بلادها حتى رآها، و شعره في ذلك: 267
أبو السائب المخزومي و شعر قيس: 267
حسرته على فراقها و تأنيبه نفسه: 267
اشارة 267
صوت 269
قالوا و قال في ليلته تلك: 269
من شعره في لبنى و قد سنحت له ظبية: 270
أغرت أمه فتيات الحي بأن يعبن عنده لبنى ليسلوها فلم يسل، و شعره في ذلك: 271
اشارة 271
صوت 271
حديثه في مرضه مع عوّاده و مع طبيبه عن لبنى، و شعره في ذلك: 273
اشارة 273
صوت 273
صوت 274
صوت 275
صوت 275
إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له: 275

زوجه أبوه غيرها ليسلوها فتزوّجت لبنى، و ما قال في ذلك من الشعر: 277
اشارة 277
صوت 279
صوت 279
شكاه أبوها إلى معاوية فأهدر دمه، و شعره في ذلك: 281
اشارة 281
صوت 281
شعره فيما حين صادفها في موسم الحج: 283
شعره فيها و قد بلغه أنها كذبت مرضه: 285
قصته مع لبنى و زوجها و قد باعه ناقة و هو لا يعرفه: 287
اشارة 287
صوت 289
مرضه بعد هذه الحادثة: 289
دست إليه رسولا يسأله لم تزوّج حتى تزوّجت هي: 290
أنب لبنى زوجها لافتضاح أمره بشعر قيس فغضبت: 293
وسط بريكة في لقائها، و شعره في ذلك: 293
اشارة 293
صوت 295
صوت 295
صوت 296
شكا إلى يزيد ما به و امتدحه فحقن دمه: 297
لقبه عياش السعدي ذاهلا شارد اللب و أنشده من شعره فيها: 297
عبد اللّه بن مسلم بن جندب ينشد من شعره: 299
استنشده ابن أبي عتيق أحرّ ما قال في لبنى: 299
أنشد ثعلب من شعره و كان يستحسنه: 299

اشارة 299
صوت 301
صوت 301
فكاهات لأبي السائب المخزومي في شعره و في سيرته: 301
اشارة 301
صوت 301
آلت لبنى أ لا ترى غرابا إلاّ قتلته لبيت قاله من قصيدة، و ذكر المختار منها: 303
اشارة 303
صوت 305
مصير قيس و لبنى و هل ماتا زوجين أو مفترقين: 305
صوت من مدن معبد في شعر عنترة: 307
اشارة 307
صوت 308
عنترة يقول معلقته لأن رجلا سبه و عيره سواده: 311
بقية مدن معبد: 313
نسبة الأصوات التي جعلت مكان بعض هذه الأصوات في مدن معبد، و هنّ: 313
اشارة 313
صوت 313
صوت من مدنه في شعر الحارث بن خالد: 315
صوت 315
10 - ذكر الحارث بن خالد و نسبه و خبره في هذا الشعر 317
اشارة 317
تزوّج حميدة بنت النعمان بن بشير ثم طلقها: 317
اشارة 317
صوت 317

رجعت الرواية إلى خبر الحارث 319
قتل مصعب أختها عمرة بعد قتل زوجها المختار: 319
رجع الحديث إلى رواية عمر بن شبّه 319
تزوّجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم: 325
تزوّج ابنتها من الفيض الحجاج بن يوسف: 325
أبو عثمان المازني و الواثق: 327
صوت من مدن معبد في شعر الأعشى: 329
اشارة 329
صوت 329
نسبة أصوات معبد في قتيلة 331
الصوتان الباقيان من قتيلات معبد في شعر الأعشى: 331
اشارة 331
صوت 332
سبعة ابن سريج: 333
نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد مضى متقدّما 335
الكلام على ما لم يمض الكلام عليه من هذه السبقة: 335
اشارة 335
صوت 335
عمر بن أبي ربيعة و ذات الخال: 335
اشارة 335
صوت 335
صوت 337
صوت 337
صوت 339
صوت 339

صوت 341
صوت 341
صوت 343
مناقشة بين إسحاق و إبراهيم بن المهدي في معبد و ابن سريج: 343
تعظيم ابن سريج لمعبد و أخذه عنه: 345
اشارة 345
صوت 345
و من سبعة ابن سريج: 346
صوت 346
صوت 347
صوت 347
11 - أغاني الخلفاء و أولادهم و أولاد أولادهم 350
من ثبت عنه من الخلفاء أنه غنى و من لم يثبت عنه ذلك: 350
عمر بن عبد العزيز و الغناء: 351
نسبة هذين الصوتين 351
صوت 351
صوت 353
12 - ذكر عمر بن عبد العزيز و شيء من أخباره 354
هو أشج بني مروان: 354
أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب: 354
لما ولي بدأ بأهل بيته و أخذ ما كان في أيديهم و سمى أعمالهم المظالم: 355
كثير و الأحوص و نصيب عند عمر بن عبد العزيز: 355
خبر دكين الراجز معه: 360
زهده بعد أن ولي الخلافة: 362
حبه آل البيت: 362

أكرم يزيد بن عيسى لأنه مولى عليّ: 362
سمى عمر بن علي نحله غلامه مورقا: 364
كان يكرم عبد اللّه بن الحسن: 364
لم يفد من ولايته شيئا و خلف ولده فقراء: 364
رثاه مسلمة بن عبد الملك: 365
كتابه إلى أسارى قسطنطينية: 365
كتاب الحسن البصري له و ردّه عليه: 365
آخر خطبة له: 365
اشترى موضع قبره بعشرة دنانير: 367
وفاته: 367
من أصواته في سعاد: 367
اشارة 367
صوت 367
13 - نسب الأشهب بن رميلة و أخباره 370
نسبه: 370
إخوته و عزّهم في الجاهلية و الإسلام: 370
يوم الصمان بينهم و بين أبناء عمومتهم: 370
أصوات عمر في سعاد: 374
كان محدثا و فقيها و راويا: 376
غناء يزيد بن عبد الملك: 376
اشارة 376
صوت 376
غناء الوليد بن يزيد: 376
غناء الواثق: 378
غنى الواثق في شعر لأبي العتاهية بحضرة إسحاق و وصله: 378

صنع مائة صوت ليس فيها صوت ساقط: 380
نسبة هذا الصوت 380
شعر يعقوب بن إسحاق الربعي: 380
و من غناء الواثق باللّه: 382
صوت 382
غنى إسحاق الموصلي بحضرته صوتا أخذته عنه شاجى فأجازه: 382
تقدير إسحاق لغناء الواثق: 384
اشارة 384
صوت 384
كان يعرض غناءه على إسحاق فيدلي فيه برأيه: 385
كان عنده مخارق لإسحاق فجفاه و أصلحت بينهما فريدة: 386
غناه إسحاق فوصله و شعره فيه: 388
خرج معه إسحاق إلى النجف، و شعره فيها و في حنينه إلى ولده: 390
امتياز إسحاق على المغنين في مجلسه: 391
برّز إسحاق عليه في لحن اشتركا فيه: 392
و من مشهور أغاني الواثق: 392
صوت 392
قصة لأعرابي عاشق مع إسحاق بن سليمان بن علي: 392
غناؤه في شعر حسان: 394
اشارة 394
صوت 394
تفسير القاضي عبيد اللّه بن الحسن لهذا الشعر: 394
غناؤه لحنا على مثال لحن لمخارق: 396
تحدّث إسحاق إليه بقصة أعرابيّ عاشق و غنى في شعره فوصله و وصل الأعرابيّ: 396
نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني: 398

اشارة 398
صوت 398
طرب شيخ لسماع مغنية فرمى بنفسه في الفرات: 398
علمه بالغناء و عدد أصواته و ذكر المشهور منها: 400
غاضبه خادم له فقال فيه شعرا غنى فيه: 404
غنى في شعر لعلي بن الجهم: 406
يوم له مع المغنين بسرّمن رأى: 406
شعره في خادم يهواه: 407
ألقى على غلمانه صوتا فأخذوه عنه: 408
نسبة هذا الصوت 408
كان إسحاق يصحح له غناءه: 408
أمر مخارقا و علويه و عريب أن يعارضوا لحنا له: 408
غناه إسحاق صوتا فتطير به: 410
و ممّن حكي عنه أنه صنع في شعره و شعر غيره المنتصر 410
اشارة 410
صوت 410
كان متحلفا في قول الشعر و متقدما في غيره و كان يغني قبل الخلافة: 410
اشارة 410
صوت 411
أراد الشرب علانية فجاء الناس ليروه فقال شعرا فتفرقوا: 412
جفا يزيد المهلبي لاختصاصه بالمتوكل ثم عفا عنه و أكرمه: 412
شعر الحسين بن الضحاك فيه: 414
شعر يزيد المهلبي فيه: 416
غناه بنان بن عمرو بشعر مروان فأمره ألا يغني في شعر آل أبي حفصة: 416
غناء المعتز باللّه: 416

اشارة 416
صوت 417
14 - أخبار عديّ بن الرّقاع و نسبه 419
نسبه: 419
شاعر أموي اختص بالوليد بن عبد الملك جعله ابن سلام في الطبقة الثالثة: 419
ما جرى بينه و بين جرير في حضرة الوليد بن عبد الملك: 419
فضل جرير عليه كثيرا في مجلس بعض الخلفاء: 421
نقد محمد بن المنجم بيتا من شعره: 423
جاءه شعراء ليعارضوه فردت عليهم بنته فأفحمتهم: 423
كان من أوصف الشعراء للمطية: 423
استحسن أبو عمرو شعره: 423
استحسن أبو عبيدة بيتا له: 425
اشارة 425
صوت 425
استحسن أبو عمرو شعره و استحسن مدني الغناء به: 425
مدح عبيدة بن عبد الرحمن حين عزله الوليد فجفاه الوليد ثم رضي عنه: 427
عدّه جرير أنسب الشعراء لشعر له: 427
عجب جرير من توفيقه في تشبيه دقيق: 427
تابع روح بن زنباع ثم خالفه و تابع نائل بن قيس في نسبهم: 428
ما كان بينه و بين ابن سريج في حضرة الوليد بن عبد الملك: 429
اشارة 429
صوت 431
أفحمه كثير في حضرة الوليد بن عبد الملك: 431
15 - أخبار المعتزّ في الأغاني و مع المغنّين و ما جرى هذا المجرى 433
شعره في جارية يهواها: 433

اشارة 433
صوت 433
طارحه بنان المغني في بيت من الشعر و تغنى فيه: 433
اشارة 433
صوت 433
أخبر بوفاة أم يونس بن بغا ففتر المجلس ثم عاد أحسن ما كان: 435
اشارة 435
صوت 435
لما قتل بغا هنأه الناس بالظفر: 435
قصة المعتز و يونس بن بغا مع ديراني: 437
ولي الخلافة و له سبع عشرة سنة، و شعره في ذلك: 437
اشارة 437
صوت 439
صوت 439
غناء المعتمد: 439
16 - ذكر أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة دون غيره 440
اشارة 440
نسبه: 440
هو و جرير و الأخطل أشعر طبقات الإسلاميين: 440
حديث الفرزدق و النوار و ذمه بني قيس و زهيرا و بني أم النسير لمعاونتهم إياها: 440
استشفعت النوار إلى ابن الزبير امرأته فاستشفع هو بابنه حمزة: 443
اشارة 443
صوت 443
هدده ابن الزبير و غيره جلاء قومه تميم عن البيت فقال في ذلك شعرا: 445
ما كان بينه و بين ابن الزبير بعد ما قال له ما حاجتك بالنوار و قد كرهتك: 447

هجاه جعفر بن الزبير فنهاه أخوه عن ذلك: 447
فلما أذنت النوار في تزويجها منه استعان في مهرها سلم بن زياد فأعانه: 448
لم تحسن النوار عشرته فتزوّج عليها حدراء بنت زيق و مدحها و ذمّ النوار: 449
هاجاه جرير بإغراء النوار: 451
رأى في طريقه إلى حدراء كبشا مذبوحا فتشاءم بموتها و شعره حين أخبر بوفاتها: 454
استعان الحجاج في مهر حدراء فعذله فشفع له عنبسة بن سعيد: 455
أراد أن تحمل حدراء فاعتلوا بموتها و شعر لجرير في ذلك: 455
اشارة 455
صوت 457
قصة ما كان بينه و بين ابن أبي بكر بن حزم حين أنشده من شعر حسان في المسجد: 457
نسبة ما في الخبر من الأصوات 459
اشارة 459
صوت 459
ما كان بين النابغة و حسان بسوق عكاظ حين مدح النابغة الخنساء: 459
اشارة 460
صوت 461
انتحل بيتا لجميل: 461
عرّض هو و كثير كل منهما للآخر أنه سرق بيتا من جميل: 463
رجع الحديث إلى سياقه حديث الفرزدق و النّوار: 465
تزوّج رهيمة بنت غنيم اليربوعية: 465
نسبة هذا اللحن 467
صوت 467
فهرس موضوعات الجزء التاسع 469
تعريف مركز 471

الأغاني المجلد 9

هوية الكتاب

الأغاني

المؤلفين الآخرين

مدقق لغوي ومترجم:

مكتبة تحقيق دار احياء التراث العربي

المجلدات : 25ج

لسان: العربية

ناشر:دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان

سنة النشر: 1415 هجرى قمرى1994 ميلادى

رمز الكونغرس: PJA 3892 /الف 6 1374

إعداد النص الرقمي : ميثم الحيدري

ص: 1

اشارة

تتمة التراجم

اشارة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ *

1 - ذكر أخبار كثير و نسبه

نسبه:

اشارة

هو، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ، أبو صخر كثيّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخلد(1) بن سعيد بن سبيع(2) بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو و هو(3) خزاعة بن ربيعة و هو يحيى بن حارثة بن عمرو و هو مزيقيا بن عامر و هو ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول [بن مازن(4)] بن الأزد و هو درء(5) - و قيل دراء ممدودا - بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

و أخبرنا أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن إسحاق الحرميّ قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو صخر بن أبي الزّعراء الخزاعيّ عن أمّه ليلى بنت كثيّر قالت: /هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن مخلد بن سبيع بن سعد بن مليح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. و أمه جمعة بنت الأشيم بن خالد بن عبيد بن مبشّر بن رياح بن سيالة بن عامر بن جعثمة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. و كانت كنية الأشيم جدّه أبي أمّه أبا جمعة، و لذلك قيل له ابن أبي جمعة.

و كان له ابن يقال له ثواب من أشعر أهل زمانه، مات سنة إحدى و أربعين و مائة و لا ولد له.

و مات كثيّر سنة خمس و مائة في ولاية يزيد بن عبد الملك. و ليس له اليوم ولد إلاّ من بنته ليلى. و لليلى بنته ابن يكنى أبا سلمة شاعر، و هو الذي يقول:

صوت

و كان عزيزا أن تبيتي و بيننا *** حجاب فقد أمسيت منّي على شهر

ففي القرب تعذيب و في النأي حسرة *** فيا ويح نفسي كيف أصنع بالدهر

1- كذا في «وفيات الأعيان» لابن خلكان و «تجريد الأغاني»، و سيأتي في النسب الذي يذكره عن ليلى بنت كثير: «... بن عامر بن مخلد بن سبيع...». و في الأصول هنا: «عويمر بن مخارق بن سعيد...».

2- كذا ورد هذا الاسم في الأصول و في «وفيات الأعيان» و «تجريد الأغاني» و «السيرة» لابن هشام في نسب أميّة بنت خلف. و قال أبو

ذر بن مسعود الخشني في كتابه على السيرة (ج 1 ص 80 طبع مطبعة هدية) صوابه: «يثيع» بالياء المثناة و الثاء المثلثة.

3- في الأصول: «مليح بن عمرو بن خزاعة...» و هو تحريف. (راجع في «القاموس» و «شرحه» مادة ملح و النسب الآتي الذي روي عن ليلى ابنته).

4- زيادة من «وفيات الأعيان و تجريد الأغاني».

5- في الأصول: «درى». و التصويب عن «القاموس».

في هذين البيتين غناء لمقاسة. و لحنه من الثقيل الأول بالخنصر عن حبس.

كنيته و طبقته في الشعراء و نحلته:

و يكنى كثيّر أبا صخر. و هو من فحول شعراء الإسلام، و جعله ابن سلاّم في الطبقة الأولى منهم و قرن به جريرا و الفرزدق و الأخطل و الرّاعي. و كان غاليا في التشيّع يذهب مذهب الكيسانيّة(1)، و يقول بالرّجعة و التّناسخ، و كان محمّقا مشهورا بذلك. و كان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيّرهم ذلك لجلالته في أعينهم و لطف محلّه في أنفسهم و عندهم. و كان من أتيه الناس و أذهبهم بنفسه على كل أحد.

الحديث عنه و على شعره:

أخبرني به(2) أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني هارون بن عبد اللّه الزّهريّ قال حدّثني سليمان بن فليح قال: سمعت محمد بن عبد العزيز (يعني ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف) يقول ما قصّد القصيد و لا نعت الملوك مثل كثيّر.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزّبير بن بكّار قال كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ حدّثني إبراهيم بن سعد قال: إني لأروي لكثيّر ثلاثين قصيدة لو رقي بها/مجنون لأفاق.

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزبير قال حدّثني بعض أصحاب الحديث قال:

كنّا نأتي إبراهيم بن سعد و هو خبيث(3) النفس، فنسأله عن شعر كثيّر فتطيب نفسه و يحدّثنا.

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عمر بن أبي بكر المؤمّليّ(4) عن عبد اللّه بن أبي عبيدة قال:

من لم يجمع من شعر كثيّر ثلاثين لاميّة فلم يجمع شعره. قال الزبير قال المؤمّليّ: و كان ابن أبي عبيدة يملي شعر كثيّر بثلاثين دينارا. قال و سئل عمّي مصعب: من أشعر الناس؟ فقال: كثيّر بن أبي جمعة، و قال: هو أشعر من جرير و الفرزدق و الراعي و عامّتهم (يعني الشعراء)، و لم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثيّر.

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازة قال حدّثنا محمد بن سلاّم الجمحيّ قال:

/كان كثيّر شاعر أهل الحجاز، و هو شاعر فحل، و لكنه منقوص حظّه بالعراق.

أخبرني أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلاّم قال سمعت يونس النحويّ يقول:

كثيّر أشعر أهل الإسلام. قال ابن سلاّم: و سمعت ابن أبي حفصة يعجبه مذهبه في المديح جدّا، و يقول: كان يستقصي المديح، و كان فيه مع جودة شعره خطل و عجب.

1- الكيسانية: فرقة من الشيعة الإمامية، و هم أصحاب كيسان مولى علي بن أبي طالب. (انظر الحاشية رقم 3 في ج 7 ص 231 من هذه

الطبعة).

2- وردت هذه الكلمة «به» في جميع الأصول.

3- المراد بخبث النفس: غثيانها.

4- كذا في ح. و في سائر الأصول: «الموصلي». (انظر الحاشية رقم 1 ص 123 من الجزء الرابع من هذه الطبعة، و «المشتبه» ص 300 طبع أوربا).

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ قال أخبرني إبراهيم بن إبراهيم بن حسين بن زيد قال:

سمعت المسور بن عبد الملك يقول: ما ضرّ من يروي شعر كثيّر و جميل ألاّ تكون عنده مغنّيتان مطربتان.

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ عن الوقّاصيّ قال:

رأيت كثيّرا يطوف بالبيت، فمن حدّثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذّبه؛ و كان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول: طأطئ رأسك لا يصبه السقف.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ، و عن ابن حبيب عن أبيه عن جدّه عن جدّ أبيه عبد العزيز و أمّه جمعة بنت كثيّر قال:

قال [جرير(1)] لكثيّر: أيّ رجل أنت لو لا دمامتك! فقال كثيّر:

إن أك قصدا(2) في الرجال فإنّني *** إذا حلّ أمر ساحتي لطويل

ما كان بينه و بين الحزين الديلي:

أخبرني حبيب بن نصر و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ عن الوقّاصيّ قال، و أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الدّيليّين قال:

التقى كثيّر و الحزين(3) الدّيليّ بالمدينة في دار ابن أزهر في سوق الغنم، فضمّهما المجلس. فقال كثيّر للحزين: ما أنت شاعر يا حزين، إنما توصل الشيء إلى الشيء. فقال له الحزين: أ تأذن لي أن أهجوك؟ قال نعم.

و كان كثيّر قال قبل ذلك و هو ينتسب إلى بني الصّلت(4) بن النّضر بن كنانة:

أ ليس أبي بالنّضر أ و ليس إخوتي *** بكلّ هجان من بني الصّلت أزهرا

فإن لم تكونوا من بني الصّلت فاتركوا *** أراكا بأذيال الخمائل(5) أخضرا

قال: فلما أذن كثيّر للحزين أن يهجوه قال الحزين:

/

لقد علقت زبّ الذّباب كثيّرا *** أساود(6) لا يطنينه و أراقم

1- التكملة من «تجريد الأغاني»:

2- في الأصول: «قصيرا» و التصويب عن «تجريد الأغاني». و القصد: الربعة من الرجال.

3- اسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك، و الحزين لقبه، من شعراء الدولة الأموية، حجازي مطبوع ليس من فحول طبقته. و كان هجاء خبيث اللسان ساقطا يرضيه اليسير و يتكسب بالشعر و هجاء الناس. (انظر ترجمته في ج 14 ص 76 من «الأغاني» طبع بولاق).

4- الصلت بن النضر: أبو خزاعة.

5- كذا في نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. و الخميلة: المنهبط الغامض من الرمل، و هي مكرمة للنبات. و في الأصول: «الحمائل» بالحاء المهملة.

6- الأساود: الحيات. و لا يطنينه: لا يبقين عليه؛ يقال: رماه اللّه بأفعى لا تطنى أي لا يفلت لديغها. و الأرقم: أخبث الحيات و أطلبها للناس.

قصير القميص فاحش عند بيته *** يعضّ القراد باسته و هو قائم

و ما أنتم منّا و لكنكم لنا *** عبيد العصا ما ابتلّ في البحر عائم

و قد علم الأقوام أن بني استها *** خزاعة أذناب و أنّا القوادم

/و و اللّه لو لا اللّه ثم ضرابنا *** بأسيافنا دارت عليها المقاسم

و لو لا بنو بكر لذلّت و أهلكت *** بطعن و أفنتها السيوف الصوارم

تهدده أبو الطفيل و استوهبه خندف الأسديّ:

قال: فقام كثيّر فحمل عليه فلكزه. و كان الحزين طويلا أيّدا. فقال له الحزين. أنت عن هذا أعجز، و احتمله فكان في يده مثل الكرة، فضرب به الأرض، فخلّصه منه الأزهريّون. فبلغ ذلك [أبا(1)] الطّفيل عامر بن واثلة و هو بالكوفة، فأقسم لئن ملأ عينيه من كثيّر ليضربنّه بالسيف أو ليطعننّه بالرمح. و كان خندف الأسديّ صديقا لأبي الطّفيل، فطلب إلى أبي الطفيل في كثيّر و استوهبه إيّاه فوهبه له. و التقيا بمكة و جلسا جميعا مع عمر بن عليّ بن أبي طالب، فقال: أمّا و اللّه لو لا ما أعطيت خندفا من العهد لوفيت لك. فذلك قول كثيّر في قصيدته التي يرثي فيها خندفا:

ينال رجالا نفعه و هو منهم *** بعيد كعيّوق(2) الثّريّا المحلّق

أنكر على الأحوص ضراعته في الاستجداء:

اشارة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال:

قال كثيّر: في أيّ شعر أعطى هؤلاء الأحوص عشرة آلاف دينار؟ قالوا: في قوله فيهم:

و ما كان مالي طارفا من تجارة *** و ما كان ميراثا من المال متلدا

و لكن عطايا من إمام مبارك *** ملا الأرض معروفا وجودا و سوددا

فقال كثيّر: إنه لضرع قبحه اللّه! أ لا قال كما قلت:

صوت

دع عنك سلمى إذ فات مطلبها *** و اذكر خليليك(3) من بني الحكم

ما أعطياني و لا سألتهما *** إلاّ و إنّي لحاجزي كرمي

إنّي متى لا يكن نوالهما *** عندي مما قد فعلت أحتشم

مبدي الرّضا عنهما و منصرف *** عن بعض ما لو فعلت لم ألم

ص: 8

1- التكملة عن ترجمته في «الأغاني» (ج 13 ص 166 طبع بولاق) و «شرح القاموس» (مادة طفل)». و هو عامر بن واثلة بن عبد اللّه بن عمرو بن جابر بن خميس، له صحبة برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و عمر بعده طويلا، كان مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام و روي عنه و كان من وجوه شيعته.

2- العيوق: كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا في ناحية الشمال، و يطلع قبل الجوزاء.

3- في الأصول: «خليلك» و يعني بهما عبد الملك و عبد العزيز ابني مروان بن الحكم.

لا أنزر النائل الخليل إذا *** ما اعتلّ نزر الظّئور لم ترم(1)

عروضه من المنسرح. غنّى في هذا الشعر يونس ثاني ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. و غنّى فيه الغريض ثاني ثقيل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. و فيه لحن من الثقيل الأوّل ينسب إلى معبد، و ليس بصحيح له. قال الزّبير بن بكّار في تفسير قوله: «لا أنزر النائل الخليل» يقول: لا ألحّ عليه بالمسألة، يقال: نزرته أنزره إذا ألححت عليه. و الظّئور: المتعطّفة على [غير(2)] أولادها.

حديثه مع عبد الملك في استقطاعه أرضا له:

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزّبير قال حدّثنا المؤمّليّ عن أبي عبيدة، و أخبرنا أحمد بن عبد العزيز و حبيب بن نصر قالا حدّثنا عبد اللّه بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال:

/دخل كثيّر على عبد الملك بن مروان فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ أرضا لك يقال لها غرّب(3) ربما أتيتها و خرجت إليها بولدي و عيالي فأصبنا من رطبها و تمرها بشراء/مرّة و طعمة مرّة. فإن رأى أمير المؤمنين أن يعمّرنيها(4) فعل. فقال له عبد الملك: ذلك لك. فندّمه الناس و قالوا له: أنت شاعر الخليفة و لك عنده منزلة، فهلاّ سألت الأرض قطيعة!. فأتى الوليد فقال: إنّ لي إلى أمير المؤمنين حاجة فأجلسني قريبا من البرذون. فلما استوى عليه عبد الملك قال له: إيه! و علم أنّ له إليه حاجة. فقال كثيّر:

جزتك الجوازي عن صديقك نضرة *** و أدناك ربّي في الرّفيق المقرّب

فإنّك لا يعطى عليك ظلامة *** عدوّ و لا تنأى عن المتقرّب

و إنّك ما تمنع فإنك مانع *** بحقّ، و ما أعطيت لم تتعقّب

فقال له: أ ترغب غرّبا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: اكتبوها له، ففعلوا.

هجاء الحزين له في مجلس ابن أبي عتيق:

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزّبير قال حدّثنا عمر بن أبي بكر المؤمّلي قال حدّثني عبد اللّه بن أبي عبيدة قال:

كان الحزين الكنانيّ قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر، منهم ابن أبي عتيق. فجاءه لأخذ درهميه على حمار له أعجف - قال: و كثيّر مع ابن أبي عتيق - فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين. فقال الحزين لابن أبي عتيق: من هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثيّر بن أبي جمعة - قال: و كان قصيرا دميما - فقال له الحزين: أ تأذن لي أن أهجوه ببيت من شعر؟ قال: لا! لعمري لا آذن لك أن تهجو جليسي، و لكني أشتري عرضه منك بدرهمين آخرين و دعا له بهما. فأخذهما ثم قال: لا بدّ من هجائه ببيت. قال: أو أشتري/ذلك منك بدرهمين آخرين، و دعا له بهما. فأخذهما ثم قال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه. قال: أو أشتري/ذلك منك بدرهمين. فقال له

1- ترم: تحن و تعطف. و أصله «ترأم» سهلت الهمزة ثم حذفت لالتقاء الساكنين؛ فإن آخر الفعل ساكن بالجازم و حرك بالكسر للقافية.

2- التكملة عن «معاجم اللغة».

3- غرب: ماء بنجـد ثم بالشـريف من مياه بني نمير. و غرب أيضا: جبل دون الشام في ديار بني كلب و عنـده عين ماء تسـمى غربة. هذا ما ورد في «معجم البلدان» لياقوت. لعله يعني هنا موضعا آخر.

4- يقال: عمر فلان فلانا كذا إذا جعله له طول عمره.

كثيّر: ائذن له، ما عسى أن يقول في بيت! فأذن له ابن أبي عتيق. فقال:

قصير القميص فاحش عند بيته *** يعضّ القراد باسته و هو قائم

قال: فوثب كثيّر إليه فلكزه، فسقط هو و الحمار، و خلّص ابن أبي عتيق بينهما، و قال لكثيّر قبحك اللّه! أ تأذن له و تسفه عليه! فقال كثيّر: أو أنا ظننته أن يبلغ بي هذا كلّه في بيت واحد!.

ادّعى أنه قرشي فرده الشعراء و سبه الكوفيون:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة و لم يتجاوزه، و أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن الخضر الخزاعيّ عن ولد جمعة بنت كثيّر أنه وجد في كتب أبيه التي فيها شعر كثيّر: أنّ عبد الملك بن مروان قال له: ويحك! الحق بقومك من خزاعة، فأخبر أنه من كنانة قريش، و أنشد كثيّر قوله:

أ ليس أبي بالصّلت أم ليس إخوتي *** بكل هجان من بني النّضر أزهرا

فإن لم تكونوا من بني النّضر فاتركوا *** أراكا بأذناب القوابل(1) أخضرا

أبيت التي قد سمتني و نكرتها *** و لو سمتها قبلي قبيصة(2) أنكرا

لبسنا ثياب العصب(3) فاختلط السّدى *** بنا و بهم و الحضرميّ المخصّرا

/فقال له عبد الملك: لا بدّ أن تنشد هذا الشعر على منبري الكوفة و البصرة، و حمله و كتب/به إلى(4) العراق في أمره. قال عمر بن شبّة في خبره خاصّة: فأجابته خزاعة الحجاز إلى ذلك. و قال فيه الأحوص - و يقال: بل قاله سراقة البارقيّ -:

لعمري لقد جاء العراق كثيّر *** بأحدوثة من وحيه المتكذّب

أ يزعم أنّي من كنانة أولى *** و ما لي من أمّ هناك و لا أب

فإن كنت حرّا أو تخاف معرّة *** فخذ ما أخذت من أميرك و اذهب

فقال كثيّر يجيبه - و في خبر الزّبير: قال هذا لأبي علقمة الخزاعي -:

أيا خبث أكرم كنانة إنّهم *** مواليك إن أمر سما بك معلق

- و في رواية الزّبير: «أبا علقم».

1- تقدمت فيه راوية أخرى: «بأذيال الخمائل». (راجع الحاشية رقم 3 ص 7 من هذه الترجمة).

2- هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الكعبي أبو سعيد و أبو إسحاق، ولد في حياة النبي صلى اللّه عليه و سلم. و توفي سنة 86 (عن «شرح القاموس» مادة قبص).

3- كذا في كتاب «السيرة» لابن هشام (ج 1 ص 61 طبع أوربا) و «الروض الأنف» للسهيلي. و العصب: برود يمنية يعصب غزلها (أي يجمع و يشد) ثم يصبغ و ينسج فيأتي موشيا لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ. قال السهيلي في كتابه «الروض الأنف» في معنى هذا البيت: «يريد أن قدودنا من قدودهم، فسدي أثوابنا مختلط بسدي أثوابهم. و الحضرمي: النعال المخصرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين».

4- وردت هذه العبارة في ج: «و كتب في أمره». و في سائر الأصول: «و كتب به إلى العراق في أمره».

بنو النّضر ترمي من ورائك بالحصى *** أولو حسب فيهم وفاء و مصدق

يفيدونك المال الكثير و لم تجد *** لملكهم شبها لو انّك تصدق

إذا ركبوا ثارت عليك عجاجة *** و في الأرض من وقع الأسنّة أولق(1)

فأجابه الأحوص بقوله:

دع القوم ما حلّوا ببطن قراضم(2) *** و حيث تفشّى(3) بيضه المتفلّق

فإنّك لو قاربت أو قلت شبهة *** لذي الحقّ فيها و المخاصم معلق

عذرناك أو قلنا صدقت و إنما *** يصدّق بالأقوال من كان يصدق

ستأبى بنو عمرو عليك و ينتمي *** لهم حسب في جذم(4) غسّان معرق

فإنّك لا عمرا أباك حفظته *** و لا النّضر إن ضيّعت شيخك تلحق

/و لم تدرك القوم الذين طلبتهم *** فكنت كما كان السّقاء المعلّق

بجذمة(5) ساق ليس منه لحاؤها(6) *** و لم يك عنها قلبه يتعلّق

فأصبحت كالمهريق فضلة مائه *** لبادي سراب بالملا(7) يترقرق

قال: فخرج كثيّر فأتى الكوفة، فرمي به إلى مسجد بارق. فقالوا له: أنت من أهل الحجاز؟ قال نعم. قالوا: فأخبرنا عن رجل شاعر ولد زنا يدعى كثيّرا. قال سبحان اللّه! أمّا تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان! قالوا: هو ما قاله لنفسه. فانسلّ منهم و جاء إلى والي الكوفة حسّان بن كيسان، فطيّره على البريد. و قال عمر بن شبّة في خبره: إنّ سراقة البارقيّ هو المخاطب له بهذه الشتيمة و إنه عرفه و قال له: إن قلت هذا على المنبر قتلتك قحطان و أنا أوّلهم، فانصرف إلى منزله و لم يعد إلى عبد الملك.

نبذة عن سراقة البارقي و قصته مع المختار حين أسر:

و كان سراقة هذا شاعرا ظريفا. فأخبرني عمّي قال حدّثني الكرانيّ عن النّضر بن عمر(8) عن الهيثم بن عديّ عن الأعمش عن إبراهيم قال:

كان سراقة البارقيّ من ظرفاء أهل العراق، فأسره المختار يوم جبّانة(9) السّبيع، و كانت للمختار فيها وقعة

1- الأولق: الجنون.

2- قراضم: موضع بالمدينة.

3- كذا في «معجم ياقوت» في الكلام على قراضم. و في الأصول: «تغشى» بالغين المعجمة.

4- الجذم: الأصل.

5- كذا في ج: و الجذمة: القطعة. و في سائر الأصول: «بخدمة ساق». و يتعلق: لعل صوابه «يتفلق». أي و لم يكن قلبه منشقا عنها.

6- اللحاء: قشر الشجرة.

7- الملا: الصحراء.

8- في ح هنا: «عمرو».

9- جبانة السبيع: محلة بالكوفة مضافة إلى السبيع و هي قبيلة؛ و كانت وقعة المختار بن أبي عبيد الثقفي بها حين خرج للثأر من قتلة الحسن بن علي بن أبي طالب. الطبري (ق 2 ج 2).

منكرة، فجاء به الذي أسره إلى المختار فقال له: إنّي أسرت هذا. فقال له سراقة: كذب! ما هو الذي أسرني، إنما أسرني غلام أسود على برذون أبلق عليه ثياب خضر، ما أراه في عسكرك الآن، و سلّمني إليه. فقال المختار: أمّا إنّ الرجل قد عاين/الملائكة! خلّوا سبيله فخلّوه، فهرب فأنشأ يقول:

/

ألا أبلغ أبا إسحاق أنّي *** رأيت البلق دهما مصمتات(1)

أرى عينيّ ما لم تبصراه *** كلانا عالم بالتّرّهات

كفرت بدينكم و جعلت نذرا *** عليّ قتالكم حتى الممات

كان يرى أن ابن الحنفية لم يمت و كان ذلك رأي السيد:

أخبرنا الحرميّ قال أخبرنا الزبير قال أخبرنا عمرو(2) و محمد بن الضّحاك قالا: كان كثيّر يتشيّع تشيّعا قبيحا، يزعم أنّ محمد بن الحنفيّة لم يمت. قال: و كان ذلك رأي السيّد، و قد قال فيه (يعني السيّد) شعرا كثيرا، منه:

ألا قل للوصيّ فدتك نفسي *** أطلت بذلك الجبل المقاما

أضرّ بمعشر والوك منّا *** و سمّوك الخليفة و الإماما

و عادوا فيك أهل الأرض طرّا *** مقامك عنهم ستّين عاما

و ما ذاق ابن خولة(3) طعم موت *** و لا وارت له أرض عظاما

لقد أوفى بمورق شعب رضوى *** تراجعه الملائكة الكلاما

و إنّ له به لمقيل صدق *** و أندية تحدّثه كراما

هدانا اللّه إذ جرتم لأمر *** به ولديه نلتمس التّماما

تمام مودّة المهديّ حتّى *** تروا راياتنا تترى نظاما

و قال كثيّر في ذلك:

ألا إنّ الأئمّة من قريش *** ولاة الحقّ أربعة سواء

عليّ و الثلاثة من بنيه *** هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط إيمان و برّ *** و سبط غيّبته كربلاء

/و سبط لا تراه العين حتّى *** يقود الخيل يقدمها(4) اللّواء

تغيّب لا يرى عنهم زمانا *** برضوى عنده عسل و ماء

1- كذا في الطبري (ق 2 ص 665) و به يستقيم الرويّ. و في الأصول «... عني أن البلق دهم مصمتات». و مصمت: لا يخالط لونه لون آخر. أي أن دهمتها خالصة لا يشوبها لون آخر.

2- في ح: «عمر».

3- خولة: اسم أم محمد بن الحنفية.

4- كذا فيما تقدم (ج 7 ص 276 من هذه الطبعة). و في الأصول هنا: «يتبعها».

شعره في ابن الحنفية حين سجنه ابن الزبير في سجن عارم:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الحارث بن محمد عن المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال:

كان عبد اللّه بن الزّبير قد أغري ببني هاشم يتبعهم بكل مكروه و يغري بهم و يخطب بهم على المنابر و يصرّح و يعرّض بذكرهم. فربما عارضه ابن عبّاس و غيره منهم. ثم بدا له فيهم فحبس ابن الحنفيّة في سجن عارم(1)، ثم جمعه و سائر من كان بحضرته من بني هاشم، فجعلهم في محبس و ملأه حطبا و أضرم فيه النار. و قد كان بلغه أنّ أبا(2) عبد اللّه الجدليّ و سائر شيعة ابن الحنفيّة قد وافوا لنصرته و محاربة ابن الزبير، فكان ذلك سبب إيقاعه به. و بلغ أبا عبد اللّه الخبر فوافى ساعة أضرمت النار عليهم فأطفأها و استنقذهم، و أخرج ابن الحنفيّة عن جوار ابن الزّبير منذ يومئذ. فأنشدنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال أنشدنا محمد بن حبيب لكثيّر يذكر ابن الحنفيّة و قد حبسه(3) ابن الزّبير في سجن يقال له سجن عارم:

من ير هذا الشيخ بالخيف من منّى *** من الناس يعلم أنّه غير ظالم

/سمي النبيّ المصطفى و ابن عمّه *** و فكّاك أغلال و نفّاع غارم

أبي فهو لا يشري هدى بضلالة *** و لا يتّقي في اللّه لومة لائم

و نحن بحمد اللّه نتلو كتابه *** حلولا بهذا الخيف خيف المحارم

بحيث الحمام آمن الرّوع ساكن *** و حيث العدوّ كالصديق المسالم

/فما فرح الدّنيا بباق لأهله *** و لا شدّة البلوى بضربة لازم

تخبّر(4) من لاقيت أنك عائذ *** بل العائذ المظلوم في سجن عارم

أنشد عليّ بن عبد اللّه شعرا له في ابن الحنفية و حديثه معه:

حدّثني أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانيّ قال حدّثنا يحيى بن الحسن العلوي قال حدّثنا الزّبير بن بكّار، و أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن سعيد عن عقبة الجهنيّ عن أبيه قال:

سمعت كثيّرا ينشد عليّ بن عبد اللّه بن جعفر قوله في محمد بن الحنفيّة:

أقرّ اللّه عيني إذ دعاني *** أمين اللّه يلطف في السؤال

و أثنى في هواى عليّ خيرا *** و ساءل عن بنيّ و كيف حالي

و كيف ذكرت حال أبي خبيب *** و زلّة فعله عند السّؤال

هو المهديّ خبّرناه كعب(5) *** أخو الأحبار في الحقب الخوالي

1- سجن بمكة.

2- هو أبو عبد اللّه الجدلي عبدة بن عبد، أرسله المختار بن أبي عبيد نجدة لبني هاشم لما حبسهم ابن الزبير، كما هو ظاهر في القعمة. (انظر الطبري ق 2 ص 693-695).

3- في الأصول: «و قد حبسهم».

4- يريد عبد اللّه بن الزبير، و كان يدّعي أنه عائذ بالبيت فلا يحل قتاله.

5- هو كعب الأحبار بن ماتع و يكنى أبا إسحاق، و هو من حمير من آل ذي رعين، و كان على دين يهود فأسلم و قدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة اثنتين و ثلاثين في خلافة عثمان بن عفان. (انظر «طبقات ابن سعد» ج 7 ق 2 ص 156 طبع أوروبا).

فقـال له عليّ بن عبـد اللّه: يا أبا صـخر، ما يثني عليك في هواك خيرا إلاّ من كان على مثل مـذهبك. قال: أجل بأبي أنت و أمي!. قال: و كان كثيّر كيسانيا(1) يرى الرّجعـة. قـال الزّبير: أبو خبيب عبـد اللّه بن الزّبير، كنـاه بابنه خبيب و هو أكبر ولـده، و كان كثيّر سـيّئ الرأي فيه. قال الزّبير: فأخبرني عمّي قال: لمّا قال كثيّر:

هو المهديّ خبّرناه كعب *** أخو الأحبار في الحقب الخوالي

/فقيل له: ألقيت كعبا؟ قال: لا. قيل: فلم قلت «خبّرناه كعب»؟ قال: بالتوهّم.

غلوه في التشيع و القول بالرجعة و أخبار له في ذلك:

قـال: و كان كثيّر شـيعيا غاليا يزعم أن الأرواح تتناسـخ، و يحتـجّ بقول اللّه تعالى: فِي أَيِّ صُورَةٍ مٰا شٰاءَ رَكَّبَكَ و يقول: أ لا ترى أنه حوّله من صورة(2) في صورة!.

قال: فحدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ عن عبد اللّه بن أبي عبيدة قال: خندف الأسديّ الذي أدخل كثيّرا في الخشبيّة.

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني إبراهيم بن المنذر الحزاميّ عن محمد ابن معن الغفاريّ قال:

كنّا بالسّيالة(3) في مشيخة نتحدّث، إذا بكثيّر قد طلع علينا متّكئا على عصا.

فقال: كنّا ببيداء(4) بأشراف السّيالة و بهذه الناحية، فما بقي موضع(5) ببيـداء إلاّ و قد جئته، فإذا هو على حاله ما تغيّر و ما تغيّرت الجبال و لا الموضع الذي كنا نطوف فيه، و هذا يكون حتى نرجع إليه. و كان يؤمن بالرّجعة.

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني يحيى بن محمد قال:

دخل عبد اللّه بن حسن على كثيّر يعوده في مرضه الذي مات فيه. فقال له كثيّر: أبشـر! فكأنّك بي بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس عتيق. فقال له عبد اللّه بن حسن: مالك عليك لعنة اللّه! فو اللّه لئن متّ لا أشهدك و لا أعودك و لا أكلّمك أبدا.

كان أبو هاشم يتجسس أخباره:

/أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني يحيى بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز أحسبه عن ابن الماجشون قال:

/و كان أبو هاشم عبـد اللّه بن محمـد بن عليّ قـد وضع الأرصاد على كثيّر فلا يزال يؤتّى بالخبر من حبره، فيقول له إذا لقيه: كنت في كـذا و كنت في كذا، إلى أن جرى بين كثيّر و بين رجل كلام فأتي به أبو هاشم. فأقبل به على

1- في ج: «خشبيا». و الخشبية: قوم من الجهمية يقولون إن اللّه تعالى لا يتكلم و إن القرآن مخلوق. و قال ابن الأثير: هم أصحاب المختار بن أبي عبيد، و يقال: هم ضرب من الشيعة. و في سبب تسميتهم بالخشبية خلاف ذكره شارح «القاموس» في مادة خشب.
2- لعله: «إلى صورة».

3- السيالة: بجوار المدينة، قيل: هي أوّل مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة.

4- بيداء: يريد بها موضعا بعينه.

5- في الأصول: «فما بقي موضع ببيداء فيه إلاّ و قد جئته... إلخ». و ظاهر أن كلمة «فيه» مقحمة من الناسخ.

أدراجه(1)، فقال له أبو هاشم: كنت الساعة مع فلان فقلت له كذا و كذا و قال لك كذا و كذا. فقال له كثيّر: أشهد أنّك رسول اللّه.

كان يقول عن الأطفال من آل البيت إنهم الأنبياء الصغار:

أخبرنا محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا محمد، و أخبرنا! الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبد اللّه فيما أحسب قال:

نظر كثيّر إلى بني حسن بن حسن و هم صغار فقال: بأبي أنتم! هؤلاء الأنبياء الصغار. و كان يرى الرّجعة.

و روى عليّ(2) بن بشر بن سعيد الرازيّ عن محمد بن حميد عن أبي زهير عبد الرحمن بن مغراء الدّوسيّ عن محمد بن عمارة قال:

مرّ كثيّر بمعاوية بن عبد اللّه بن جعفر و هو في المكتب، فأكبّ عليه يقبّله و قال: أنت من الأنبياء الصغار و ربّ الكعبة!.

أخبرنا أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال حدّثنا قعنب بن المحرز قال حدّثني إبراهيم بن داجة قال:

كان كثيّر شيعيا، و كان يأتي ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه، فيهب لهم الدراهم و يقول: وا بأبي الأنبياء الصغار!. و كان يؤمن بالرّجعة. فيقول له محمد بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان، و هو أخوهم لأمّهم،: يا عمّ هب لي، فيقول: لا! لست من الشجرة.

كان عمرو بن عبد العزيز يعرف بحبه صلاح بني هاشم و فسادهم:

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدّثني الزّبير بن بكّار قال حدّثني عثمان بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبيد اللّه قال:

قال عمر بن عبد العزيز: إني لأعرف صلاح بني هاشم من فسّادهم بحبّ كثيّر: من أحبّه منهم فهو فاسد، و من أبغضه فهو صالح، لأنه كان خشبيا يقول بالرجعة.

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عبد العزيز بن محمد الدّراورديّ(3) عن أبي لهيعة عن رجاء بن حيوة قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: إن مما أعتبر به صلاح بني هاشم و فسّادهم حبّ كثيّر، ثم ذكر مثله.

قال لعمته إنه يونس بن متى:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا عليّ بن صالح عن ابن دأب قال:

كان كثيّر يدخل على عمّه له برزة(4) فتكرمه و تطرح له وسادة يجلس عليها. فقال لها يوما: لا و اللّه ما تعرفينني

1- لعله «فأقبل على أدراجه» يريد أنه حضر لوقته لم يلو على شيء؛ فتكون كلمة «به» من زيادة النساخ.

2- في ج: «علي بن سعيد بن بشر الرازي».

3- الـدراوردي: نسـبة شـاذة إلى دارابجرد (يقـال: درابجرد): بلـد بفـارس و محلّـة بنيسابور أيضا. (راجع «لب اللباب في تحرير الأنساب» للسيوطي).

4- البرزة: المرأة الكهلة التي لا تحتجب احتجاب الثواب و هي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس إلى الناس و تحدثهم.

و لا ـ تكرميني حقّ كرامتي! قـالت: بلى و اللّه إني لأعرفك. قال: فمن أنا؟ قالت: ابن فلان و ابن فلانـة، و جعلت تمـدح أباه و أمّه. فقال: قد عرفت أنك لا تعرفينني. قالت: فمن أنت؟ قال: أنا يونس بن متّى.

كان عاقا لأبيه:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني أبي قال:

كان كثيّر عاقا لأبيه(1)، و كان أبوه قد أصابته قرحة في إصـبع من أصابع يده. فقال له كثيّر: أ تدري لم أصابتك هذه القرحة في إصبعك؟ قال: لا أدري قال: مما ترفعها إلى اللّه في يمين كاذبة.

ضافه مزني و ذمه بأنه لم يقم لصلاة الصبح:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن الغفاريّ عن أبيه و غيره قال حدّثني رجل من مزينة قال:

ضفت كثيّرا ليلـة و بتّ عنده ثم تحدّثنا و نمنا. فلما طلع الفجر تضوّر(2)، ثم قمت/فتوضّأت و صـلّيت و كثيّر راقد في لحافه. فلما طلع قرن الشـمس تضوّر ثم قـال: يا جاريـة اسـجري لي ماء. قال قلت: تبّا لك سائر اليوم! أ و هـذه الساعـة هـذا! و ركبت راحلتي و تركته. قال الزبير: أسخني لي ماء.

كان يهزأ به و يصدق ما يسمع عن نفسه:

أخبرنا الحرميّ قال حـدّثنا الزبير قال حـدّثني محمـد بن إسـماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شـهاب عن طلحة بن عبيد اللّه قال:

ما رأيت قطّ أحمق من كثيّر. دخلت عليه يوما في نفر من قريش و كنّا كثيرا ما نتهزّأ به، و كان يتشـيّع تشيّعا قبيحا. فقلت له: كيف تجدك يا أبا صخر؟ و هو مريض، فقال: أجـدني ذاهبا. فقلت: كلاّ! فقال: هل سـمعتم الناس يقولون شـيئا؟ فقلت: نعم! يتحدّثون أنك الدجّال. قال: أما لئن قلت ذاك إنّي لأجد في عيني ضعفا منذ أيّام.

كان تياها و يستحمقه فتيان المدينة لذلك:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران:

أن ناسـا من أهـل المدينـة كانوا يلعبون بكثيّر فيقولون و هو يسـمع: إن كثيّرا لا يلتفت من تيهه. فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخـذ رداءه فلا يلتفت من الكبر و يمضي في قميص.

سأله عبد الملك عن شيء و حلفه بأبي تراب:

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال حدّثنا عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة قال:

بلغني أن كثيّرا دخل على عبد الملك بن مروان، فسأله عن شيء فأخبره به. فقال و حقّ عليّ بن أبي طالب إنه

1- في الأصول: «بأبيه».

2- التضوّر: التلوّي.

كما ذكرت؟ قال كثيّر: يا أمير المؤمنين، لو سألتني بحقّك لصدقتك. قال: لا أسألك إلاّ بحقّ أبي تراب(1). فحلف له به فرضي.

تمثل عبد الملك بشعر له حين منعته عاتكة من الخروج لحرب مصعب و حديثه معه عن هذه الحرب:

اشارة

أخبرنا الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال أخبرني عثمان بن عبد الرحمن، و أخبرنا محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال، و أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري و حبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبة، و أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا المؤمّلي عن ابن أبي عبيدة، قالوا جميعا.

لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب لاذت به عاتكة بنت يزيد بن معاوية و هي أمّ ابنه يزيد، و قالت: يا أمير المؤمنين، لا تخرج السنة لحرب مصعب، فإنّ آل الزّبير ذكروا خروجك، و ابعث إليه الجيوش، و بكت و بكى جواريها معها. و جلس و قال: قاتل اللّه ابن أبي جمعة! فأين قوله:

صوت

إذا ما أراد الغزو لم تثن همّه *** حصان عليها عقد درّ يزينها

نهته فلما لم تر النّهي عاقه *** بكت فبكى مما شجاها قطينها(2)

- غنّاه ابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق - و اللّه لكأنه/يراني و يراك يا عاتكة، ثم خرج.

قال محمد بن جعفر النحويّ في خبره - و وافقه عليه عمر بن شبّة -: فلما خرج عبد الملك نظر إلى كثيّر في ناحية عسكره يسير مطرقا، فدعا به و قال: لأعلم ما أسكتك و ألقى عليك بثّك، فإن أخبرتك عنه أ تصدقني؟ قال نعم! قال:

قل و حقّ أبي تراب لتصدقنّي، قال: و اللّه لأصدقنّك. قال: لا أو تحلف به، فحلف به. فقال تقول: رجلان من قريش يلقي أحدهما صاحبه فيحاربه، القاتل و المقتول في النار، فما معنى سيرى مع أحدهما إلى الآخر و لا آمن سهما عائرا لعلّه أن يصيبني فيقتلني فأكون معهما! قال: و اللّه يا أمير المؤمنين/ما أخطأت. قال: فارجع من قريب، و أمر له بجائزة.

بكى لقتل آل المهلب فزجره يزيد و ضحك منه:

أخبرنا وكيع قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثنا أبو تمّام الطائيّ حبيب بن أوس قال حدّثني العطّاف بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضي دمشق قال حدّثني حفص الأمويّ قال:

كنت أختلف إلى كثيّر أتروّى شعره. قال: فو اللّه إني لعنده يوما إذ وقف عليه واقف فقال: قتل آل المهلّب

1- أبو تراب: لقب عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، لقبه بذلك النبي صلى اللّه عليه و سلم، و ذلك أن عليا دخل على فاطمة رضي اللّه عنهما ثم خرج فاضطجع في المسجد. فقال النبي صلى اللّه عليه و سلم: أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد. فخرج إليه صلى اللّه عليه و سلم فوجد رداءه قد سقط عن ظهره و خلص التراب إلى ظهره؛ فجعل عليه الصلاة و السلام يمسح التراب عن ظهره و يقول له: أجلس يا أبا تراب (مرتين). (عن «شرح القسطلاني على صحيح البخاري» ج 6 ص 138).

2- القطين: الخدم و الأتباع و الحشم.

بالعقر(1). فقال: ما أجلّ الخطب! ضحّى آل أبي سفيان بالدّين(2) يوم الطّفّ، و ضحّى بنو مروان بالكرم يوم العقر! ثم انتضحت عيناه باكيا. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فدعا به. فلما دخل عليه قال: عليك لعنة اللّه! أ ترابيّة(3)و عصبيّة! و جعل يضحك منه.

سأله عبد الملك عن أشعر الناس فأجابه:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني محمد عن أبيه قال:

قال عبد الملك بن مروان لكثيّر: من أشعر الناس اليوم يا أبا صخر؟ قال: من يروي أمير المؤمنين شعره.

فقال عبد الملك: أما إنّك لمنهم.

جواب عبد الملك له و قد سأله عن شعره:

أخبرنا وكيع قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن ابن أبي(4) عوف عن عوانة قال:

قال كثيّر لعبد الملك: كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين؟ قال أراه يسبق السحر، و يغلب الشعر.

كان عبد الملك يروي أولاده شعره:

أخبرنا عمّي عن الكرانيّ عن النّضر بن عمر قال:

كان عبد الملك بن مروان يخرج شعر كثيّر إلى مؤدّب ولده مختوما يروّيهم إياه و يرده.

نزل مرعي لإبله فضيق عليه أهله فذم جوارهم:

أخبرنا الحرميّ قال أخبرنا الزّبير قال حدّثنا عبد اللّه بن خالد الجهنيّ:

أن كثيّرا شبّ في حجر عمّ له صالح، فلما بلغ الحلم أشفق عليه أن يسفه، و كان غير جيّد الرأي و لا حسن النظر في عواقب الأمور. فاشترى له عمّه قطيعا من الإبل و أنزله فرش(5) ملل فكان به، ثم ارتفع فنزل فرع المسور بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف من جبل جهينة الأصغر، و كان قبل المسور لبني مالك بن أفصى، فضيّقوا على كثيّر و أساءوا جواره، فانتقل عنهم و قال:

1- هو عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة قتل عنده يزيد بن المهلب بن أبي صفرة سنة 102، و كان خلع طاعة بني مروان و دعا إلى نفسه و أطاعه أهل البصرة و الأهواز و واسط و خرج في مائة و عشرين ألفا. فندب له يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة فوافقه بالعقر من أرض بابل فأجلت الحرب عن قتله. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

2- كذا في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ج 1 ص 618). و في الأصول: «بالدمن» و هو تحريف. و الطف: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية، فيها كان مقتل الحسين بن علي رضي اللّه عنه.

3- يعني أنه من شيعة أبي تراب، و هو لقب علي بن أبي طالب كما أسلفنا.

4- في ج: «عن أبي عوف عن عوانة».

5- في الأصول: «فرش مالك». و التصويب عن «القاموس» و «شرحه». و فرش ملل: واد بين عميس الحمائم و صخيرات الثمامة بالقرب من ملل قرب المدينة، يقال له الفرش و فرش ملل، أضيف إلى ملل لقربه منه. و هذه كلها مواضع نزلها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حين مسيره إلى بدر. راجع «القاموس و شرحه» مادة فرش و «معجم البلدان» لياقوت في الكلام عن فرش).

/

أبت إبلي ماء الرّداة(1) و شفّها *** بنو العمّ يحمون النّضيح(2) المبرّدا

و ما يمنعون الماء إلاّ ضنانة *** بأصلاب عسرى(3) شوكها قد تخدّدا

فعادت فلم تجهد على فضل مائه *** رياحا و لا سقيا ابن طلق بن أسعدا

قال: و يروى أنّه أوّل شعر قاله.

روايته عن بدء قوله الشعر:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عمّي قال:

قال كثيّر: ما قلت الشعر حتى قوّلته. قيل له: و كيف ذاك؟ قال: بينا أنا يوما نصف النهار أسير على بعير لي بالغميم(4) أو بقاع حمدان(5)، إذا راكب قد دنا منّي حتى صار إلى جنبي، فتأمّلته فإذا هو من صفر(6) و هو يجرّ نفسه في الأرض جرا. فقال لي: قل الشعر و ألقاه عليّ. قلت: من أنت؟ قال: أنا قرينك من الجنّ. فقلت الشعر.

عزة عشيقته و أول عشقه لها:

و نسب كثيّر لكثرة تشبيبه بعزّة الضّمريّة إليها، و عرف بها فقيل(7) كثيّر عزّة. و هي عزّة بنت حميل(8) بن وقّاص. أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني محمد بن الحسن قال:

أبو بصرة(8) الغفاريّ المحدّث و اسمه حميل بن وقّاص هو أبو عزّة التي كان ينسب بها كثيّر. و كان ابتداء عشقه إيّاها – على أنه قد قيل: إنه كان في ذلك/كاذبا و لم يكن بعاشق، و ذلك يذكر بعد خبره معها – فيما أخبرني به الحرميّ قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عبد اللّه بن إبراهيم/السعديّ قال حدّثني إبراهيم بن يعقوب بن جميع الخزاعيّ:

أنه كان أوّل عشق كثيّر عزّة أن كثيّرا مرّ بنسوة من بني ضمرة و معه جلب غنم، فأرسلن إليه عزّة و هي صغيرة، فقالت: يقلن(9) لك النسوة: بعنا كبشا من هذه الغنم و أنسئنا بثمنه إلى أن ترجع، فأعطاها كبشا و أعجبته. فلما رجع جاءته امرأة منهنّ بدراهمه، فقال: و أين الصبيّة التي أخذت منّي الكبش؟ قالت: و ما تصنع بها! هذه دراهمك. قال:

لا آخذ دراهمي إلاّ ممن دفعت الكبش إليها. و خرج و هو يقول:

قضى كلّ ذي دين فوفّى غريمه *** و عزّة ممطول معنى غريمها

قال: فكان أوّل لقائه إياها.

1- الرداة: الصخرة.

2- النضيح: الحوض. و في الأصول: «النصيح» بالصاد المهملة و هو تصحيف.

3- العسرى (بفتح العين و ضمها): البقلة إذا يبست. و رواية «لسان العرب» (مادة عسر): «بأطراف عسرى».

4- الغميم: موضع قرب المدينة بين رابغ و الجحفة.

5- ظاهر أنه موضع بعينه.

6- الصفر: النحاس.

7- عبارة أ، م: «و نسب كثير إلى عزة لكثرة تشبيبه بعزة الضمرية و غزله فيها فقيل... إلخ».

8- اختلف في اسم أبي بصرة هذا فقيل: هو حميل (بالحاء المهملة مصغرا) و قيل جميل (بالجيم) و كل ذلك مضبوط محفوظ. و هو أبو بصرة حميل (أو جميل) بن بصرة بن وقاص بن حبيب بن غفار؛ له صحبة برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و روي عنه أبو هريرة. في الأصول: «حميد بن وقاص» و هو تحريف. (راجع «الاستيعاب في معرفة الأنساب»).

9- إثبات نون النسوة هنا لغة ضعيفة.

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن الخضر(1) بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبي جندل(2) عن أبيه عبد العزيز الخزاعيّ - و أمّه جمعة بنت كثيّر - عن أمه جمعة عن أبيها كثيّر:

أنّ أوّل علاقته بعزّة أنه خرج من منزله يسوق خلف(3) غنم إلى الجار(4)، فلما كان بالخبت وقف على نسوة من بني ضمرة فسألهنّ عن الماء، فقلن لعزّة و هي جارية/حين كعب ثدياها: أرشديه إلى الماء، فأرشدته و أعجبته.

فبينا هو يسقى غنمه إذ جاءته عزّة بدراهم، فقالت: يقلن لك النسوة: بعنا بهذه الدراهم كبشا من ضأنك: فأمر الغلام فدفع إليها كبشا، و قال: ردّي الدراهم و قولي لهنّ: إذا رحت بكنّ اقتضيت حقي. فلما راح مرّ بهنّ، فقلن له: هذا حقّك فخذه. فقال: عزّة غريمي(5)، و لست أقتضي حقّي إلاّ منها. فمزحن معه و قلن: ويحك! عزّة جارية صغيرة و ليس فيها وفاء لحقّك فأحله على إحدانا فإنها أملأ به منها و أسرع له أداء. فقال: ما أنا بمحيل حقّي عنها.

و مضى لوجهه، ثم رجع إليهنّ حين فرغ من بيع جلبه فأنشدهنّ فيها:

نظرت إليها نظرة و هي عاتق *** على حين أن شبّت و بان نهودها

و قد درّعوها و هي ذات مؤصّد *** مجوب و لمّا يلبس الدّرع ريدها(6)

من الخفرات البيض ودّ جليسها *** إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

في هذا البيت و أبيات أخر معه غناء يذكر بعد تمام هذا الخبر و ما يضاف إليه من جنسه. و أنشدهنّ أيضا:

قضى كلّ ذي دين فوفّى غريمه *** و عزّة ممطول معنى غريمها

فقلن له: أبيت إلاّ عزّة! و أبرزنها إليه و هي كارهة. ثم أحبّته عزّة بعد ذلك أشدّ من حبّه إيّاها. قال الزّبير: فسألت محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الخزاعيّ المعروف بأبي جندل عن هذا الحديث، فعرفه و حدّثنيه عن أبيه عن جدّه عبد العزيز بن أبي جندل عن أمه جمعة بنت كثيّر عن أبيها.

سؤال عبد الملك لعزة عن كثير و سبب إعجابه بها:

و أخبرني عمي الحسن بن محمد الأصفهاني رحمه اللّه قال حدّثني محمد بن سعد الكرانيّ قال حدّثنا النّضر بن عمرو قال حدّثني عمر بن عبد اللّه بن خالد المعيطيّ، و أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نعيم قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق الطّلحيّ، و أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا/الزّبير قال حدّثني يعقوب بن عبد اللّه الأسديّ و غيره، قال الزبير و حدّثني محمد بن صالح الأسلميّ قال:

1- لعله: «عن أبي بكر بن عبد العزيز» إلخ.

2- في الأصول: «عبد الرحمن بن جندل». و قد أصلحناه مما يأتي في الصفحة التالية.

3- يحتمل أن يكون: «يسوق جلب غنم».

4- الجـار: موضع على ثلاث مراحل من المدينـة بساحل البحر. و الخبث في الأصل: المطمئن من الأرض فيه رمل، أو هو الوادي العميق الوطيء ينبت ضروب العضاء، و اسم لعدة مواضع.

5- في الأصول: «غريمتي». و فعيل بمعنى مفعول إذا ذكر موصوفه يستوي فيه المذكر و المؤنث.

6- المؤصد: صدار تلبسه الجارية (الفتاة الصـغيرة) فإذا أدركت درّعت. و المجوب: الذي جعل له جيب. وريدها: تربها و ندها. و الأصـل في «الرئد» بالهمز.

دخلت عزّة على عبد الملك بن مروان و قد عجزت، فقال لها أنت عزّة كثير! فقالت: أبا عزّة بنت حميل.

قال: أنت التي يقول لك كثيّر:

لعزّة نار ما تبوخ(1) كأنها *** إذا ما رمقناها من البعد كوكب

فما الـذي أعجبه منك؟ قالت: كلاّ يا أمير المؤمنين! فو اللّه لقد كنت في عهده أحسن من النار في الليلة القرّة. و في حديث محمد بن صالح الأسلميّ: فقالت له: أعجبه منّي ما أعجب المسلمين منك حين صيّروك خليفة. قال:

و كانت له سنّ سوداء يخفيها، فضحك حتى بدت. فقالت له: هذا الذي أردت أن أبديه. فقال لها: هل تروين قول كثيّر فيك:

و قد زعمت أنّي تغيّرت بعدها *** و من ذا الّذي يا عزّ لا يتغيّر

تغيّر جسمي و الخليفة كالّتي *** عهدت و لم يخبر بسرّك مخبر

قالت [لا(2)!] و لكني أروي قوله:

كأنّي أنادي صخرة حين أعرضت *** من الصّمّ لو تمشي بها العصم زلّت

صفوحا(3) فما تلقاك إلاّ بخيلة *** فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّت

فأمر بها فأدخلت على عاتكـة بنت يزيـد – و في غير هذه الرواية: أنها أدخلت على أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان – فقالت لها: أ رأيت قول كثيّر:

/

قضى كلّ ذي دين فوفّى غريمه *** و عزّة ممطول معنى غريمها

ما هذا الذي ذكره؟ قالت: قبلة وعدته إياها. قالت: أنجزيها و عليّ إثمها.

قصة غلام له مع عزة و إعتاقه بسبب ذلك:

أخبرنا الحسن بن الطيّب البجليّ الشّجاعيّ و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلّبيّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال روى ابن جعدبة عن أشياخه، و أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو بكر بن يزيد بن عياض بن جعدبة عن أبيه.

أنّ كثيّرا كان له غلام تاجر، فباع من عزّة بعض سلعه و مطلته مدّة و هو لا يعرفها. فقال لها يوما: أنت و اللّه كما قال مولاي:

قضى كلّ ذي دين فوفّى غريمه *** و عزّة ممطول معنى غريمها

فانصـرف عنه خجلـة. فقالت له امرأة: أ تعرف عزّة؟ قال: لا و اللّه! قالت: فهـذه و اللّه عزّة. فقال: لا جرم و اللّه لا آخـذ منها شـيئا أبـدا و لا

أقتضيها. و رجع إلى كثيّر فأخبره بذلك، فأعتقه و وهب له المال الذي كان في يده.

ص: 21

1- تبوخ: تسكن.

2- هذه الكلمة ساقطة من ب، س.

3- صفوحا: معرضة صادّة.

لقيت قسيمة بنت عياض عزة و وصفتها:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني يعقوب بن حكيم السّلميّ عن قسيمة بنت عياض بن سعيد الأسلميّة، و كنيتها أمّ البنين، قالت:

سارت علينا عزّة في جماعة من قومها بين يدي يربوع و جهينة، فسمعنا بها، فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن، فجئناها فرأينا امرأة حلوة حميراء(1) نظيفة، فتضاءلنا لها، و معها نسوة كلهن لها عليهن فضل من الجمال و الخلق، إلى أن تحدّثت ساعة فإذا هي أبرع الناس و أحلاهم حديثا، فما فارقناها إلاّ و لها علينا الفضل/في أعيننا، و ما نرى في الدّنيا امرأة تروقها(2) جمالا و حسنا و حلاوة.

سأل عبد الملك كثيّرا عن أعجب خبر له مع عزة فذكر له ملاقاتها له مع زوجها إذ أمرها بشتمه:

اشارة

أخبرني عمّي قال حدّثني فضل اليزيديّ عن إسحاق الموصليّ عن أبي نصر (شيخ له) عن الهيثم بن عدي:

أنّ عبد الملك سأل كثيّرا عن أعجب خبر له مع عزّة، فقال:

حججت سنة من السنين و حج زوج عزة بها، و لم يعلم أحد منّا بصاحبه. فلمّا كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن تصلح به طعاما لأهل رفقته، فجعلت تدور الخيام(3) خيمة خيمة حتى دخلت إليّ و هي لا تعلم أنها خيمتي، و كنت أبري أسهما لي. فلما رأيتها جعلت أبري و أنا انظر إليها و لا أعلم حتى بريت عظامي مرّات و لا أشعر به و الدم يجري. فلما تبيّنت ذلك دخلت إليّ فأمسكت يدي و جعلت تمسح الدم عنها بثوبها، و كان عندي نحي(4) من سمن، فحلفت لتأخذنّه، فأخذته و جاءت إلى زوجها بالسمن. فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمته، حتى حلف لتصدقنّه فصدقته، فضربها و حلف لتشتمنّي في وجهي. فوقفت عليّ و هو معها فقالت لي: يا ابن الزانية و هي تبكي، ثم انصرفا. فذلك حين أقول:

يكلّفها الخنزير شتمي و ما بها *** هواني و لكن للمليك استذلّت

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء:

صوت

خليليّ هذا رسم(5) عزّة فاعقلا *** قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلّت

و ما كنت أدري قبل عزّة ما البكا *** و لا موجعات القلب(6) حتّى تولّت

/فليت قلوصي عند عزّة قيّدت *** بحبل ضعيف بان منها فضلّت

و أصبح في القوم المقيمين رحلها *** و كان لها باغ سواي فبلّت(7)

1- أي بيضاء. و العرب يقولون الأحمر و الحمراء في نعت الآدميين و يريدون الأبيض و البيضاء.

2- لعله: «تفوقها».

3- نصب «الخيام» إما على حذف حرف الجر، و إما على تضمين «تدور» معنى تجوز المتعدّي.

4- النحى: زق للسمن.

5- في «كتاب الشعر و الشعراء»: «ربع عزة».

6- في ج و «كتاب الشعر و الشعراء»: «موجعات الحزن».

7- يقال: بلت مطيته على وجهها إذا ذهبت في الأرض ضالة.

فقلت لها يا عزّ كلّ مصيبة *** إذا وطّنت يوما لها النفس ذلّت

أسيئي بنا أو أحسني، لا ملومة *** لدينا و لا مقليّة إن تقلّت(1)

هنيئا مريئا غير داء مخامر *** لعزّة من أعراضنا ما استحلّت

تمنّيتها حتّى إذا ما رأيتها *** رأيت المنايا شرّعا قد أظلّت

كأنّي أنادي صخرة حين أعرضت *** من الصّمّ لو تمشي بها العصم زلّت

صفوحا فما تلقاك إلاّ بخيلة *** فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّت

أصاب الرّدى أن كان يهوى لك الرّدى *** و جنّ اللواتي قلن عزّة جنّت

عروضه من الطويل. غنّى معبد في الخمسة الأول ثقيلا أوّل بالوسطى. و غنى إبراهيم في الثالث و الرابع ثقيلا أوّل بالبنصر عن عمرو، و غنّى في «هنيئا مريئا» و الـذي بعـده خفيف رمل بالوسـطى. و غنّى إبراهيم في الخامس و ما بعده ثاني ثقيل. و ذكر الهشاميّ أنّ لابن سـريج في «هنيئا مريئا» و ما بعده ثاني ثقيل بالبنصـر. و ذكر أحمد بن المكيّ أن لإبراهيم في «كأني أنادي» و الذي بعده و في «أسـيئي بنا أو أحسني» هزجا بالسـبّابة في مجرى البنصر، و لإسحاق فيه هزج آخر به(2). و لعريب في «كأني أنادي» أيضا رمل. و لإسـحاق في «و ما كنت/أدري» ثقيل أوّل. و له في «أصاب الردى» ثقيل أوّل آخر، و قيل: إن لإبراهيم في «فقلت لها يا عزّ» خفيف ثقيل ينسب إلى دحمان و إلى سياط.

اجتمعا ذات ليلة و وصف ذلك صديق له:

أخبرني الحرميّ و حبيب بن نصر قالا حدّثنا الزّبير قال حدّثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أبي عمرو الجهنيّ عن أبيه قال:

سارت علينا عزّة في جماعـة من قومها، فنزلت حيالنا. فجاءني كثيّر ذات يوم فقال لي: أريد أن أكون عندك اليوم فأذهب إلى عزّة، فصـرت به إلى منزلي. فأقام عندي حتى كان العشاء، ثم أرسلني إليها و أعطاني خاتمه و قال:

إذا سـلّمت فسـتخرج إليك جارية، فادفع إليها خاتمي و أعلمها مكاني. فجئت بيتها فسلّمت فخرجت إليّ الجارية فأعطيتها الخاتم. فقالت: أين الموعد؟ قلت: صخرات أبي عبيد الليلة، فواعدتها هناك، فرجعت إليه فأعلمته.

فلما أمسى قال لي: انهض بنا، فنهضنا(3) فجلسنا هناك نتحدّث حتى جاءت من الليل فجلست فتحدّثا فأطالا، فذهبت لأقوم. فقال لي: إلى أين تذهب؟ فقلت: أخلّيكما ساعة لعلكما تتحدّثان ببعض ما تكتمان. قال لي:

اجلس! فو اللّه ما كان بيننا شـيء قطّ. فجلست و هما يتحـدّثان و إنّ بينهما لثمامة(4) عظيمة هي من ورائها جالسة حتى أسـحرنا، ثم قامت فانصرفت، و قمت أنا و هو، فظلّ عندي حتى أمسى ثم انطلق.

سامته سكينة بجمله فلما رأى عزة معها تركه لهم:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد اللّه بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاصي قال:

1- تقلى: تبغض. أي لا هي ملومة لدينا و لا مقلية إن تقلت أي تبغضت. خاطبها أوّلا ثم غائب أي ذكرها بضمير الغيبة.

2- لعله: «بها» أي بالسبابة في مجرى البنصر.

3- في ج: «فمضينا».

4- كذا في «تجريد الأغاني» و الثمام: نبت ضعيف شبيه بالخوص. و في الأصول: «لهامة» و هو تحريف.

خرج كثيّر في الحاجّ بجمل له يبيعه، فمرّ بسكينة بنت الحسين و معها عزّة و هو لا يعرفها. فقالت سكينة: هذا كثيّر فسوموه بالجمل، فساموه فاستام مائتي درهم فقالت: ضع عنّا فأبى. فدعت له بتمر و زبد فأكل، ثم قالت له:

ضع عنا كذا و كذا (لشيء يسير) فأبى. فقالوا: قد أكلت يا كثيّر بأكثر مما نسألك! فقال:

/ما أنا بواضع شيئا. فقالت سكينة: اكشفوا، فكشفوا عنها و عن عزّة. فلما رآهما استحيا و انصرف و هو يقول: هو لكم هو لكم!.

قال بعض الرواة إنه لم يكن صادقا في عشقه:

من ذكر أن كثيّرا كان يكذب في عشقه:

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثنا ابن سلاّم قال:

كان كثيّر مدّعيا و لم يكن عاشقا، و كان جميل صادق الصّبابة و العشق.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال(1) زعم إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أبا عبيدة يقول: كان جميل يصدق في حبه، و كان كثيّر يكذب.

و مما وجدناه في أخباره و لم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزّة ذات يوم و هي منتقبة تميس في مشيتها، فلم يعرفها كثيّر، فاتّبعها و قال: يا سيّدتي! قفي حتّى أكلّمك فإني لم أر مثلك قطّ، فمن أنت ويحك؟ قالت: ويحك! و هل تركت عزّة فيك بقيّة لأحد؟ قال: بأبي أنت! و اللّه لو أنّ عزّة أمة لي لوهبتها لك.

قالت: فهل لك في المخاللة؟ قال: و كيف لي بذلك؟ قالت: أنّي و كيف بما قلت في عزّة؟! قال: أقلبه فأحوّله إليك. فسفرت عن وجهها ثم قالت: أ غدرا يا فاسق و إنك لهكذا! فأبلس(2) و لم ينطق و بهت. فلما مضت أنشأ يقول:

ألا ليتني قبل الذي قلت شيب لي *** من السمّ جدحات(3) بماء الذّرارح

فمتّ و لم تعلم عليّ خيانة *** و كم طالب للريح ليس برابح

/أبوء بذنبي إنني قد ظلمتها *** و إني بباقي سرّها غير بائح

لقي عزة في طريقه إلى مصر و تعاتبا:

اشارة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عمر بن شبّة قال زعم ابن الكلبيّ عن أبي المقوّم قال أخبرني سائب راوية كثيّر قال:

خرجت معه نريد مصر، فمررنا بالماء الذي فيه عزّة فإذا هي في خباء، فسلّمنا جميعا، فقالت عزة: و عليك السلام يا سائب. ثم أقبلت على كثيّر فقالت: ويحك! أ لا تتّقي اللّه! أ رأيت قولك:

بآية ما أتيتك أمّ عمرو *** فقمت لحاجتي و البيت خالي

ص: 24

1- في ج: «زعم لي إسحاق بن إبراهيم... إلخ».

2- أبلس: سكت و تحير.

3- في ب، س: «بخضـخاض». و في سائر الأصول: «بخدخاد». و التصويب عن «تجريد الأغاني». و الجدحة اللتة؛ يقال: جدح السويق: إذالته. و الذرارح: دويبات أعظم من الذباب شيئا مجزعة مبرقشة بحمرة و سواد و صفرة لها أجنحة تطير بها و هي سم قاتل.

أ خلوت معك في بيت أو غير بيت قطّ؟! قال. لم أقله، و لكنني قلت:

فأقسم لو أتيت البحر يوما *** لأشرب ما سقتني من بلال

و أقسم إنّ حبّك أمّ عمرو *** لداء عند(1) منقطع السّعال

قالت: أمّا هذا فنعم. فأتينا عبد العزيز(2) ثم عدنا، فقال كثيّر: عليك السلام يا عزّة قالت: عليك السلام يا جمل.

فقال كثيّر.

صوت

حيتك عزّة بعد الهجر فانصرفت *** فحيّ وحيك من حيّاك يا جمل

لو كنت حيّيتها ما زلت ذا مقة(3) *** عندي و ما مسّك الإدلاج و العمل

ليت التحيّة كانت لي فأشكرها *** مكان يا جمل حيّيت يا رجل

ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات غناء لمعبد. و ذكر الهشاميّ أن فيها لبثينة خفيف رمل بالبنصر. و ذكر حبش أنّ فيها للغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، و لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى.

قصته مع أم الحويرث الخزاعية و حديث عشقه لها:

اشارة

أخبرني عمّي قال حدّثني الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثني عليّ بن محمد البرمكيّ قال حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال:

قدم عليّ هشام بن محمد الكلبيّ فسألته عن العشّاق يوما فحدّثني قال: تعشّق كثيّر امرأة من خزاعة يقال لها أمّ الحويرث فنسب بها، و كرهت أن يسمّع بها و يفضحها كما سمّع بعزّة، فقالت له: إنك رجل فقير لا مال لك، فابتغ ما لا يعفّى(4) عليك ثم تعال فاخطبني كما يخطب الكرام. قال: فاحلفي لي و وثّقي أنّك لا تتزوّجين حتى أقدم عليك، فحلفت و وثّقت له. فمدح عبد الرحمن بن إبريق(5) الأزديّ، فخرج إليه، فلقيته ظباء سوانح و لقي غرابا يفحص التراب بوجهه، فتطيّر من ذلك حتى قدم على حيّ من لهب(6) فقال: أيّكم يزجر؟ فقالوا: كلّنا، فمن تريد؟ قال: أعلمكم بذاك. قالوا: ذاك الشيخ المنحني الصّلب. فأتاه فقصّ عليه القصة، فكره ذلك له و قال له: قد توفّيت أو تزوجت رجلا من بني عمّها. فأنشأ يقول:

صوت

تيمّمت لهبا أبتغي العلم عندهم *** و قد ردّ علم العائفين إلى لهب

1- كذا في «تجريد الأغاني». و يعني بمنقطع السعال: الصدر. و قد ورد هذا الشعر في كتاب «الشعر و الشعراء» هكذا: «لدى جنبي و منقطع السعال». و في الأصول: «لداء عند منقطع السؤال» و هو تحريف.

2- يريد عبد العزيز بن مروان والي مصر من قبل أخيه عبد الملك بن مروان.

3- المقة: المحبة.

4- أي يصلحك و يحل الغنى منك محل الفقر.

5- في «تجريد الأغاني»: «عبد الرحمن بن الأبرش الأزدي».

6- لهب: قبيلة من اليمن معروفة بالعيافة و زجر الطير.

تيمّمت شيخا منهم ذا بجالة(1) *** بصيرا بزجر الطير منحنى الصّلب

فقلت له ما ذا ترى في سوانح *** و صوت غراب يفحص الوجه بالتّرب

/فقال جرى الطير السّنيح ببينها *** و قال غراب جدّ منهمر السّكب

فإلاّ تكن ماتت فقد حال دونها *** سواك خليل باطن من بني كعب

– غنّاه مالك من رواية يونس و لم يجنّسه – قال: فمدح الرجل الأزديّ ثم أتاه فأصاب منه خيرا كثيرا، ثم قدم عليها فوجدها قد تزوجت رجلا من بني كعب، /فأخذه الهلاس(2)، فكشح(3) جنباه بالنار. فلما اندمل(4) من علّته وضع يده على ظهره فإذا هو برقمتين، فقال: ما هذا؟ قالوا: إنه أخذك الهلاس و زعم الأطبّاء أنه لا علاج لك إلاّ الكشح بالنار فكشحت بالنار. فأنشأ يقول:

صوت

عفا اللّه عن أمّ الحويرث ذنبها *** علام تعنّيني و تكمي(5) دوائيا

فلو آذنوني(6) قبل أن يرقموا بها *** لقلت لهم أمّ الحويرث دائيا

– في هذين البيتين لمالك ثقيل أوّل بالوسطى. و لابن سريج رمل بالبنصر كلاهما عن عمرو و الهشاميّ. و قيل:

إن فيهما لمعبد لحنا – و قد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز و حبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة و لم يتجاوزاه بالرواية فذكر نحو هذا و قال فيه: إنه قصد ابن الأزرق بن حفص بن المغيرة المخزوميّ الذي كان باليمن، و إنه فعل ذلك بعد موت عزّة. و سائر الخبر متقارب.

سأله ابن جعفر عن سبب هزاله فأجابه:

و أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن محمد بن سليمان بن فليح أو فليح بن سليمان – أنا شككت – عن أبيه عن جدّه قال:

جاء كثيّر إلى عبد اللّه بن جعفر و قد نحل و تغيّر. فقال له عبد اللّه: ما لي أراك متغيرا يا أبا صخر؟ قال: هذا ما عملت بي أمّ الحويرث، ثم ألقى قميصه فإذا به قد صار مثل القشّ و إذا به آثار من كيّ، ثم أنشده:

عفا اللّه عن أمّ الحويرث ذنبها

الأبيات.

1– ذا بجالة: يبجله الناس و يعظمونه.

2- الهلاس: داء يهزل الجسم أو هو السل.

3- الكشح: الكيّ بالنار.

4- أي تماثل و تراجع للبرء.

5- تكمي: تستر.

6- كذا في «تجريد الأغاني»: و في الأصول: «و لو لا ذنوبي» و هو تحريف.

أغرت عزة به بثينة لتتبين حاله:

أخبرني عمّي قال حدّثني ابن أبيّ قال حدّثني الحزاميّ عمن حدّثه من أهل قديد(1):

أنّ عزّة قالت لبثينة: تصدّي لكثيّر و أطمعيه في نفسك حتى أسمع ما يجيبك به. فأقبلت إليه و عزّة تمشي وراءها مختفية، فعرضت عليه الوصل، فقاربها ثم قال:

رمتني على عمد بثينة بعد ما *** تولّى شبابي و ارجحنّ(2) شبابها

و ذكر أبياتا(3) أخر سقط من الكتّاب ذكرها. فكشفت عزّة عن وجهها، فبادرها الكلام ثم قال:

و لكنّما ترمين نفسا مريضة *** لعزّة منها صفوها و لبابها

فضحكت ثم قالت: أولى لك بها قد نجوت، و انصرفتا تتضاحكان.

قال لأهله إذ بكوا في مرضه سأرجع بعد أيام:

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد اللّه الزّهري قال:

بكى بعض أهل كثيّر عليه حين نزل به الموت. فقال له كثيّر: لا بتك، فكأنّك بي بعد أربعين ليلة تسمع خشفة(4) نعلى من تلك الشّعبة راجعا إليكم.

مات هو و عكرمة في يوم واحد سنة 105:

أخبرني الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثني ابن جعدبة و أبو اليقظان عن جويرية بن أسماء قال:

مات كثيّر و عكرمة مولى ابن عبّاس في يوم واحد، فاجتمعت قريش في جنازة كثيّر، و لم يوجد لعكرمة من يحمله.

/أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عمر بن مصعب قال/حدّثني الواقديّ قال حدّثني خالد بن القاسم البياضيّ قال:

مات عكرمة مولى ابن عبّاس و كثيّر بن عبد الرحمن الخزاعيّ صاحب عزّة في يوم واحد في سنة خمس و مائة، فرأيتهما جميعا صلّى عليهما في يوم واحد بعد الظهر في موضع الجنائز، فقال الناس: مات اليوم أفقه الناس و أشعر الناس.

ما جرى في جنازته بين أبي جعفر الباقر و زينب بنت معيقب:

و قال ابن أبي سعد الورّاق حدّثني رجاء بن سهل أبو نصر الصاغانيّ قال حدّثنا يحيى بن غيلان قال حدّثني المفضّل بن فضالة عن يزيد بن عروة قال:

1- قديد: اسم موضع قرب مكة.

2- أرججن شبابها: يريد اهتز نضارة و حسنا.

3- في ج: «و ذكر بيتا آخر سقط من الكتاب».

4- خشفة النعل: صوتها.

مات عكرمة و كثيّر عزّة في يوم واحد، فأخرجت جنازتاهما، فما علمت تخلّفت امرأة بالمدينة و لا رجل عن جنازتيهما. قال: و قيل مات اليوم أشعر الناس و أعلم الناس. قال: و غلب النساء على جنازة كثيّر يبكينه و يذكرن عزّة في ندبتهنّ له. قال: فقال أبو جعفر محمد(1) بن عليّ: افرجوا لى عن جنازة كثيّر لأرفعها. قال: فجعلنا ندفع عنها النساء و جعل يضربهنّ محمد بن عليّ بكمّه و يقول: تنحّين يا صواحبات يوسف. فانتدبت له امرأة منهنّ فقالت:

يا ابن رسول اللّه لقد صدقت، إنّا لصواحبات يوسف و قد كنّا له خيرا منكم له. قال: فقال أبو جعفر لبعض مواليه:

احتفظ بها حتى تجيئني بها إذا انصرفنا. قال: فلما انصرف أتى بتلك المرأة كأنها شرارة النار. فقال لها محمد بن عليّ: أنت القائلة إنّكن ليوسف خير منّا؟ قال: نعم! تؤمنني غضبك يا ابن رسول اللّه؟ قال: أنت آمنة من غضبي فأبيني. قالت: نحن يا ابن رسول اللّه دعوناه إلى اللذّات من المطعم/و المشرب و التمتّع و التنعّم، و أنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الجبّ و بعتموه بأبخس الأثمان و حبستموه في السّجن. فأيّنا كان عليه أحنى و به(2) أرأف؟! فقال محمد: للّه درّك! و لن تغالب امرأة إلاّ غلبت. ثم قال لها: أ لك بعل؟ قالت: لي من الرجال من أنا بعله. قال: فقال أبو جعفر: صدقت، مثلك من تملك بعلها و لا يملكها. قال: فلما انصرفت قال رجل من القوم: هذه زينب بنت معيقب(3).

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء:

صوت

نظرت إليها نظرة و هي عاتق *** على حين أن شبّت و بان نهودها

نظرت إليها نظرة ما يسّرني *** بها حمر أنعام البلاد و سودها

و كنت إذا ما جئت سعدى بأرضها *** أرى الأرض تطوى لي و يدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودّ جليسها *** إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

عروضه من الطويل. البيت الأول لكثيّر، و الثاني و الثالث لنصيب من قصيدته التي أوّلها:

لقد هجرت سعدى و طال صدودها غنّى في البيت الثاني و الثالث جحدر الراعي خفيف رمل بالبنصر. و غنّى فيهما الهذليّ رملا بالوسطى. و غنّى في الثالث و الرابع دعامة ثقيلا أوّل بالبنصر.

عمر الوادي يأخذ صوتا عن راعي غنم في شعر له:

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال عمر الواديّ، و أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني مكين العذريّ قال:

/سمعت عمر الواديّ يقول: بينا أنا أسير بين الرّوحاء و العرج إذ سمعت إنسانا يغنّي غناء لم أسمع/قطّ مثله في بيتي كثيّر:

1- هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو جعفر المدني المعروف بالباقر توفي سنة 114 ه.

2- في الأصول: «فأينا كان به أحنى و عليه أرأف». و التصويب عن «تجريد الأغاني».

3- في ج: «معيقيب».

و كنت إذا ما جئت سعدى بأرضها *** أرى الأرض تطوى لي و يدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودّ جليسها *** إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال: فكدت أسقط عن راحلتي طربا، و قلت: و اللّه لألتمسنّ الوصول إلى هذا الصوت و لو بذهاب عضو من أعضائي، فتيمّمت سمته(1) فإذا راع في غنم، فسألته إعادته عليّ. قال: نعم! و لو حضرني قرى أقريكه ما أعدته، و لكنّي أجعله قراك، فربما ترنّمت به و أنا غرثان فأشبع، و عطشان فأروى، و مستوحش فآنس، و كسلان فأنشط.

قال: فأعادهما عليّ حتى أخذتهما، فما كان زادي حتى و لجت المدينة غيرهما.

1- سمته: ناحيته و جهته.

2 - أخبار عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر

كان عالما و مغنيا و نسب غناءه لجاريته شاجي ترفعا:

هو عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر بن الحسين، و يكنى أبا أحمد. و له محلّ من الأدب و التصرّف في فنونه و رواية الشعر و قوله و العلم باللغة و أيّام الناس و علوم الأوائل من الفلاسفة في الموسيقى و الهندسة و غير ذلك مما يجلّ عن الوصف و يكثر ذكره. و له صنعة في الغناء حسنة متقنة عجيبة تدلّ على ما ذكرناه هاهنا من توصّله إلى ما عجز عنه الأوائل من جمع النّغم كلّها في صوت واحد تتبّعه هو و أتى به على فضله فيها و طلبه لها. و كان المعتضد باللّه، رحمة اللّه عليه، ربما كان أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناء و بحضرته أكابر المغنّين مثل القاسم بن زرزور و أحمد بن المكيّ و من دونهما مثل أحمد بن أبي العلاء و طبقتهم، فيعدل عنهم إليه فيصنع فيها أحسن صنعة، و يترفّع عن إظهار نفسه بذلك، و يومئ إلى أنه من صنعة جاريته شاجي(1)، و كانت إحدى المحسنات المبرّزات المقدّمات؛ و ذلك بتخريجه و تأديبه، و كان بها معجبا و لها مقدّما.

كان المعتضد يتفقده لما رقت حاله و طلب منه جاريته ليسمع غناءها فأرسلها له:

فأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: لمّا اختلت حال عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر كان المعتضد يتفقّده بالصّلات الفينة بعد الفينة. و اتّفق يوما كان فيه مصطبحا أن غنّي بصوت الصنعة فيه لشاجي جارية عبيد اللّه؛ فكتب إليه كتابا يقسم أن يأمرها بزيارته ففعل. قال: فحدّثني من حضر من المغنّيات ذلك المجلس بعد موت المعتضد قالت: دخلت إلينا و ما منّا إلاّ من يرفل في الحليّ و الحلل و هي في أثواب ليست كثيابنا، فاحتقرناها؛ فلمّا غنّت احتقرنا أنفسنا. و لم تزل تلك حالنا حتى صارت في أعيننا كالجبل و صرنا كلا شيء. قال: و لمّا انصرفت أمر لها /المعتضد بمال و كسوة. و دخلت إلى مولاها فجعل يسألها عن أمرها و ما رأت مما استظرفت و سمعت مما استغربت. فقالت: ما استحسنت هناك شيئا و لا استغربته من غناء و لا غيره إلا عودا من عود محفور(2) فإنّي استظرفته. قال جحظة: فما قولك فيمن يدخل دار الخلافة فلا يمدّ عينه لشيء يستحسنه فيها إلا عودا!.

كانت شاجي جاريته تلحن للمعتضد بعض الشعر:

قال محمد بن الحسن الكاتب و حدّثني النّوشجانيّ قال:

كان المعتضد إذا استحسن شعرا بعث به إلى شاجي جارية عبيد اللّه بن طاهر فتغنّى فيه. قال: و كانت صنعتها تسمّى في عصره غناء الدار.

1- في «نهاية الأرب» (ج 5 ص 66): «ساجي» بالسين المهملة.

2- كذا في أ، م و «نهاية الأرب». و في سائر الأصول: «مفحور» و هو تحريف.

ماتت شاجي فرثاها:

قال محمد بن الحسن: و ماتت شاجي في حياة/عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر و كان عليلا، فقال يرثيها - و له فيه صنعة من خفيف الثّقيل الأوّل بالوسطى -:

يمينا يقينا لو بليت بفقدها *** و بي نبض عرق للحياة أو النّكس

لأوشكت قتل النفس قبل فراقها *** و لكنها ماتت و قد ذهبت نفسي

له كتاب الآداب الرفيعة في الغناء:

و من نادر صنعة عبيد اللّه و جيّد شعره قوله - و له فيه لحنان ثقيل أوّل و هزج، و الثقيل الأوّل أجودهما -:

أنفق إذا أيسرت غير مقتّر *** و أنفق على ما خيلت حين تعسر

غير الجود يفنى المال و المال مقبل(1) *** و لا البخل يبقي المال و الجدّ مدبر

و أشعاره كثيرة جيّدة كثيرة النادر و المختار. و كتابه في النّغم و علل الأغاني المسمّى «كتاب الآداب الرفيعة» كتاب مشهور جليل الفائدة دالّ على فضل مؤلّفه.

قص عليه الزبير بن بكار قصة فاستحسنها و أمر له بمال:

أخبرني جحظة قال حدّثني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني موسى بن هارون، فيما أرى، قال:

/كنت عند عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر و قد جاءه الزّبير بن بكّار فأعلمه أن المتوكّل أو المعتزّ - و أراه المعتزّ - بعث إلى أخيه محمد بن عبد اللّه بن طاهر يأمر بإحضاره و تقليده القضاء. فقال له الزّبير بن بكّار: قد بلغت هذه السّنّ و أتولى القضاء! أ و بعد ما رويت أنّ من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكّين! فقال له: فتلحق بأمير المؤمنين بسرّ من رأى ، فقال له: أفعل. فأمر له بمال ينفقه، و بظهر يحمله و يحمل ثقله. ثم قال له: إن رأيت يا أبا عبد اللّه أن تفيدنا شيئا قبل أن نفترق! قال: نعم! انصرفت من عمرة المحرّم؛ فبينا أنا بأثاية(2) العرج، إذا أنا بجماعة مجتمعة، فأقبلت إليهم و إذا رجل كان يقنص الظباء و قد وقع ظبي في حبالته فذبحه، فانتفض في يده فضرب بقرنه صدره فنشب القرن فيه فمات. و أقبلت فتاة كأنها المهاة، فلما رأت زوجها ميّتا شهقت ثم قالت:

يا حسن لو بطل لكنّه أجل *** على الأثاية ما أودى به البطل

يا حسن جمّع أحشائي و أقلقها *** و ذاك يا حسن لو لا غيره جلل

أضحت فتاة نهد علانية *** و بعلها بين أيدي القوم محتمل

قال: ثم شهقت فماتت. فما رأيت أعجب من الثلاثة: الظبي مذبوح، و الرجل جريح ميت، و الفتاة ميتة [حرّى(3)].

1- الرواية المشهورة: «و الجد مقبل».

2- الأثاية: موضع في طريق الجحفة بينه و بين المدينة خمسة و عشرون فرسخا و هو بين الرويثة و العرج، مر به النبي صلى اللّه عليه و سلم في خرجة له إلى مكة و هو محرم. و رواه بعضهم «أثاثة» بثاء مثلثة أخرى كما ورد في الأصول، و رواه آخرون «أثانة» بالنون. و كلاهما خطأ. راجع «معجم البلدان» لياقوت و «معجم ما استعجم» للبكري.

3- زيادة عن ج.

فأمر له عبيد اللّه بمال آخر. ثم أقبل إلى أخيه محمد بن عبد اللّه بعد خروج الزبير فقال: أما إنّ الذي أخذناه من الفائدة في خبر حسن و في قولها(1):

أضحت فتاة بني نهد علانية

/ – تريد ظاهرة – أكثر عندي مما أعطيناه من الحباء و الصّلة. و قد أخبرني الحسين بن عليّ عن الدمشقيّ عن الزبير بخبر حسن فقط، و لم يذكر فيه من خبر عبيد اللّه شيئا.

و من الأصوات التي تجمع النّغم العشر:

صوت

لحنه في شعر ابن هرمة يجمع النغم العشر:

/و هو يجمع النّغم العشر كلّها على غير توال:

و إنّك إذا أطمعتني منك بالرّضا *** و أيأستني من بعد ذلك بالغضب

كممكنة من ضرعها كفّ حالب *** و دافقة من بعد ذلك ما حلب

عروضه من الطويل. الشعر لإبراهيم بن عليّ بن هرمة. و الغناء في هذا اللحن الجامع للنّغم لعبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها و عليها ابتدأ الصوت.

أثبت في كتابه نقد أبي نواس لشعر لابن هرمة و شعر لجرير:

و قال عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات حدّثني بعض أصحابنا عن أبي نواس أنه قال: شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما في غير موضعه. فلو أخذ البيت الثاني من شعر أحدهما فجعل مع بيت الآخر، و أخذ بيت ذاك فجعل مع هذا لصار متّفقا معنى و تشبيها. فقلت له: أنّى ذلك؟ فقال: قول جرير للفرزدق:

فإنك إذ تهجو تميما و ترتشى *** تبابين(2) قيس أو سحوق العمائم

كمهريق ماء بالفلاة و غرّه *** سراب أذاعته رياح السّمائم

و قول ابن هرمة:

و إنّي و تركي ندى الأكرمين *** و قدحي بكفّيّ زندا(3) شحاحا

/كتاركة بيضها بالعراء *** و ملبسة بيض أخرى جناحا

فلو قال جرير:

فإنك إذ تهجو تميما و ترتشي *** تبابين قيس أو سحوق العمائم

1- في الأصول: «و في قوله». و التصويب عن «تجريد الأغاني».

2- التبابين: جمع تبان و هو سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين. و السحوق: جمع سحق، و هو الثوب الخلق البالي.

3- كذا في «أكثر الأصول و اللسان» مادة شح. و زند شحاح: لا يورى. و في ب، س، هنا و فيما سيأتي في جميع الأصول: «زنادا شحاحا».

كتاركة بيضها بالعراء *** و ملبسة بيض أخرى جناحا

لكان أشبه منه ببيته. و لو قال ابن هرمة مع بيته:

و إني و تركي ندى الأكرمين *** و قدحي بكفّيّ زندا شحاحا

كمهريق ماء بالفلاة و غرّه *** سراب أذاعته رياح السمائم

كان أشبه به. ثم قال: و لكن ابن هرمة قد تلافى ذلك بعد فقال:

و إنك إذ أطمعتني منك بالرضا *** و أيأستني من بعد ذلك بالغضب

كممكنة من ضرعها كفّ حالب *** و دافقة من بعد ذلك ما حلب

و قد أتى عبيد اللّه بن عبد اللّه بهذا الكلام بعينه في «الآداب الرفيعة»(1). و إنما أخذه من أبي نواس على ما روي عنه.

و مما يجمع النغم العشر صوت ابن أبي مطر في شعر نصيب:

اشارة

و وجدت في كتاب مؤلّف في النّغم غير مسمّى الصانع: أنّ من الأصوات التي تجمع النّغم العشر صوت ابن أبي مطر المكيّ في شعر نصيب و هو:

صوت

ألا أيّها الرّبع المقيم بعنبب(2) *** سقتك السّوافي من مراح و معزب

بذي هيدب أمّا الرّبى تحت ودقه *** فتروى و أمّا كلّ واد فيزعب(3)

/عروضه من الطويل. و يروى «الربع الخلاء بعنبب» أي الخالي. و عنبب: موضع، و يروى «سقتك الغوادي من مراد». و المراد. الموضع الذي يرتاد فيرعى فيه الكلأ. و المراح: الموضع/الذي تروح إليه المواشي و تبيت فيه(4).

و في الحديث أنه رخّص في الصلاة في مراح الغنم و نهى عنها في أعطان الإبل. و المعزب: الموضع الذي يعزب فيه الرجل عن البيوت و المنازل. و أصل العزوب: البعد يقال عزب عنه رأيه و حلمه أي بعد، و العزب مأخوذ من ذلك.

و هيدب السماء أطراف(5) تراه في أذنابه كأنه معلّق به. قال أوس(6) بن حجر:

دان مسفّ فويق الأرض هيدبه *** يكاد يدفعه من قام بالراح

و يزعب: يطفح، يقال: زعبه السيل إذا ملأه(7). الشعر لنصيب يقوله في عبد العزيز بن مروان.

1- في الأصول هنا: «الآداب التسعة» و هو تحريف، و قد تقدّم اسم هذا الكتاب.

2- عنبب (بضم العين و سكون النون و ضم الباء الأولى كما رواه السكري، و في أمثلة سيبويه أنه بفتح الباء): موضع.

3- أورد صاحب «اللسان» هذا البيت في مادة «رعب» بالراء المهملة. و رعب و زعب بمعنى، يستعملان لازمين فيقال رعب الوادي أو زعب إذا تملأ و متعديين فيقال رعب السيل الوادي أو زعبه إذا ملأه. و روي في البيت أيضا «فيروي» بضم الياء و كسر الواو، و بنصب «كل» على أن تكون «الربى» «و كل واد» مفعولين مقدمين. (راجع «اللسان» في مادة رعب).

4- هذا المعنى للمراح بضم الميم. و أما بفتحها فهو الموضع الذي يروح إليه القوم أو يروحون منه كالمغدي للموضع الذي يغدي منه أو إليه.

5- كذا في الأصول. و لعل صوابه: «أطراف تراها في أذنابه كأنها معلقة به». و المراد بالسماء السحاب.

6- لقد ورد في «اللسان» في مادتي «هدب و سف» أن هذا البيت يروى أيضا لعبيد بن الأبرص.

7- في الأصول: «إذا علاه» و التصويب عن «معاجم اللغة». و قول المؤلف «يطفح» تفسير لمعنى الفعل لازما. و قوله بعد ذلك: «يقال زعبه السيل إذا ملأه» تفسير لمعناه متعديا. فكان ينبغي أن يكون «و يقال... إلخ» بالواو للدلالة على أنه لازم و متعد.

وفد نصيب على عبد العزيز بن مروان و مدحه فأجازه:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني جميع بن عليّ النّميريّ عن عبد اللّه بن عبد العزيز بن محجن بن النّصيب، قال الزبير و كتب إليّ بذلك عبد اللّه بن عبد العزيز يذكره عن عوضة بنت النّصيب قالت:

وفد أبي على عبد العزيز بن مروان بمصر، فوقف على الباب فاستأذن فلم يؤذن له. فأرسل إليه حاجبه فقال:

استنشده، فإن كان شعره رديئا فارددہ، و إن كان جيّدا/فأدخله. فقال نصيب: قد جلبنا شيئا للأمير، فإن قبله نشرناه عليه و إلاّ طويناه و رجعنا به. فقال عبد العزيز: إنّ هذا لكلام رجل ذهن، فأدخله. فلمّا واجهه أنشده قصيدته التي يقول فيها:

ألا هل أتى الصقر بن مروان أنّني *** أردّ لدي الأبواب عنه و أحجب

و أنّي ثويت اليوم و الأمس قبله *** على الباب حتى كادت الشمس تغرب

و أنّي إذا رمت الدخول تردّني *** مهابة قيس و الرّتاج المضبّب(1)

قال: و كان حاجب عبد العزيز يسمى قيسا. قال: و تشبيب هذه القصيدة:

ألا أيها الرّبع المقيم بعنبب *** سقتك السّواقي من مراح و معزب

قال: فلمّا دخل على عبد العزيز أعجب بشعره و أوجهه(2)، و قال للفرزدق: كيف تسمع هذا الشعر؟ قال: حسن إلاّ من لغته. قال: هذا و اللّه أشعر منك!. قال: و قال نصيب فيها أيضا:

و أهلي بأرض نازحون و ما لهم *** كاسب غيري و لا متقلّب

فهل تلحقنّيهم بعبل(3) مواشك *** على الأين من نجب ابن مروان أصهب

أبو بكرات إن أردت افتحاله *** و ذو ثبتات بالرّديفين متعب

فقال له عبد العزيز: أدخل على المهاري(4) فخذ منها ما شئت، فلو كنت سألت غيره لأعطيته. فدخل فردّه الجمّال.

فقال عبد العزيز: دعه فإنما يأخذ الذي نعت، فأخذه.

/قال الزّبير و حدّثني بعض أصحابنا عن محمد بن عبد العزيز قال:

نزل عبد العزيز بن عبد الوهّاب على المهدي بعنبب من وادي السّراة الذي عنى نصيب بقوله:

ألا أيها الرّبع الخلاء بعنبب

و المهدي(5) هو الذي يقول فيه الشاعر:

اسلمي يا دار من هند *** بالسّويقات إلى المهدي

ص: 34

1- رتاج مضبب: مجعولة له ضبة.

2- أوجهه: جعله وجيها و شرفه.

3- العبل: الضخم. و المواشك: السريع. و الأين: الإعياء و التعب. و في هذا البيت إقواء.

4- المهرية: إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان و هو أبو قبيلة.

5- الظاهر أنه اسم موضع و لم نقف عليه. (و سويقة): اسم لمواضع كثيرة. و لعل «السويقات» موضع بعينه.

صوت له يجمع ثماني نغم و قد مدحه إسحاق

صوت

و هو يجمع من النّغم ثمانيا:

يا من لقلب مقصر *** ترك المنى لفواتها

/و تظلّف النفس التي *** قد كان من حاجاتها

و طلابك الحاجات من *** سلمى و من جاراتها

كتطرّد العنس الذّمو *** ل(1) الفضل من مثناتها

قوله: «يا من لقلب مقصر» تأسّف على شبابه، و يدلّ على ذلك قوله:

و تظلّف النفس التي *** قد كان من حاجاتها

يقال: اظلف نفسك عن كـذا أي أمنعها منه لئلا بكون لها أثر فيه. و هو مأخوذ من ظلف الأرض و هو المكان(2) الذي لا أثر فيه. قال عوف بن الأحوص:

أ لم أظلف(3) عن الشعراء عرضي *** كما ظلف الوسيقة بالكراع

/الوسيقة: الجماعة من الإبل. يعني أنها تساق فلا يوجد لها أثر في الكراع، و هو منقطع الجبل. قال الشاعر:

أمست كراع الغميم(4) موحشة *** بعد الذي قد خلا، من العجب

و قوله:

كتطرّد العنس الذّمو *** ل الفضل من مثناتها

يقول: طلابك هذه الحاجات ضلال و تتابع كتطرّد العنس (و هي الناقة المذكّرة الخلق) الفضل من مثناتها. و التطرّد:

التتبّع، و مثله قول الشاعر:

خبطت الصّبا خبط البعير خطامه *** فلم أنتبه للشّيب حتى علانيا

الشعر لمسافر بن أبي عمرو بن أميّة بن عبد شمس. و الغناء لابن محرز ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. و هذا الصوت يجمع من النّغم ثمانيا، و كذلك ذكر إسـحاق و وصف أنه لم يجمع شـيء من الغناء قديمه و حديثه إلى عصـره من النغم ما جمعه هذا الصوت، و وصف أنه لو تلطّف متلطّف لأن يجمع النّغم العشـر في صوت واحد لأمكنه ذلك، بعد أن يكون فهما بالصناعة طويل المعاناة لها و بعد أن

يتعب نفسه في ذلك حتى يصحّ له. فلم يقدر على ذلك سوى عبيد اللّه بن عبد اللّه إلى وقتنا هذا.

ص: 35

1- ناقة ذمول: تسير سيرا سريعا لينا. و المثناة الحبل.

2- أي المكان الصلب الذي لا يبقى فيه أثر للمشي.

3- أي عميت عليهم أثري. و قوله: «كما ظلف الوسيقة بالكراع» قال ابن الأعرابي: هذا رجل سل إبلا فأخذ في كراع من الأرض لئلا تستبين آثارها فتتبع. (عن «لسان العرب» مادة ظلف).

4- كراع الغميم: موضع بين مكة و المدينة.

3 - ذكر مسافر و نسبه

اشارة

نسبه و هو أحد السادات المعروفين بأزواد الركب:

مسافر بن أبي عمرو بن أميّة، و يكنى أبا أميّة. و قد تقدّم نسبه و أنساب أهله. و أمّه آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، و هي أمّ أبي معيط أبان بن عمرو بن أميّة. و أبو معيط و مسافر أخوان لأب و أمّ، و هما أخوا عمومتهما أبي العاصي و أخويه من بني أميّة الذين أمّهم آمنة، لأنّ أبا عمرو تزوجها بعد أبيه. و كان سيّدا جوادا، و هو أحد أزواد(1) الركب، و إنما سمّوا بذلك لأنهم كانوا لا يدعون غريبا و لا مارّ طريق و لا محتاجا يجتاز بهم إلاّ أنزلوه و تكفّلوا به حتى يظعن.

مناقضاته عمارة بن الوليد:

و هو أحد شعراء قريش، و كان يناقض عمارة(2) بن الوليد الذي أمر النّجاشيّ السواحر فسحرته. فمن ذلك قول عمارة:

خلق البيض الحسان لنا *** و جياد الرّيط و الأزر

كابرا كنّا أحقّ به *** حين صيغ الشمس و القمر

/و قال مسافر يردّ عليه:

أعمار بن الوليد و قد *** يذكر الشّاعر من ذكره

هل أخو كأس محقّقها *** و موقّ صحبه سكره

و محيّيهم إذا شربوا *** و مقلّ فيهم هذره

/خلق البيض الحسان لنا *** و جياد الرّيط و الحبره

كابرا كنّا أحقّ به *** كلّ حيّ تابع أثره

خطب هندا بنت عتبة و لما تزوجت أبا سفيان مرض و اعتل حتى مات:

و له شعر ليس بالكثير. و الأبيات التي فيها الغناء يقولها في هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، و كان يهواها. فخطبها إلى أبيها بعد فراقها الفاكه بن المغيرة، فلم ترض ثروته و ماله. فوفد على النّعمان يستعينه على أمره

1- أزواد الركب: ثلاثة نفر من قريش: مسافر بن أبي عمرو بن أمية، و زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ، و أبو أمية

بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم. سـموا بذلك لأنه لم يكن يتزوّد معهم أحد في سـفره و كانوا يطعمون كل من يصـحبهم و يكفونه الزاد. و كـان ذلـك خلقـا من أخلاـق قريش؛ و لكن لم يسم بهـذا الاـسم إلاّ هؤلاء الثلاثـة. (راجع «ما يعول عليه في المضاف و المضاف إليه»).

2- سيأتي الكلام عنه في هذه الترجمة.

ثم عاد، فكان أوّل من لقيه أبو سفيان، فأعلمه بتزويجه من هند. فأخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني ابن أبي سلمة عن هشام، قال ابن عمّار و قد حدّثناه ابن أبي سعد عن عليّ بن الصبّاح عن هشام، قال ابن عمّار و حدّثنيه عليّ بن محمد بن سليمان النّوفليّ عن أبيه - دخل حديث بعضهم في بعض -:

أنّ مسافر بن أبي عمرو بن أميّة كان من فتيان قريش جمالا و شعرا و سخاء. قالوا: فعشق هندا بنت عتبة بن ربيعة و عشقته، فاتّهم بها و حملت منه. قال بعض الرواة: فقال معروف بن خرّبوذ: فلما بان حملها أو كاد قالت له:

اخرج، فخرج حتى أتى الحيرة، فأتى عمرو بن هند فكان ينادمه. و أقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها، فلقي مسافرا، فسأله عن حال قريش و الناس، فأخبره و قال له فيما يقول: و تزوّجت هندا بنت عتبة.

فدخله من ذلك ما اعتلّ معه حتى استسقى(1) بطنه. قال ابن خرّبوذ: قال مسافر في ذلك:

ألاّ إنّ هندا أصبحت منك محرما *** و أصبحت من أدنى حموّتها حما

و أصبحت كالمقمور جفن سلاحه *** يقلّب بالكفّين قوسا و أسهما

فدعا له عمرو بن هند الأطبّاء، فقالوا: لا دواء له إلاّ الكيّ. فقال له: ما ترى؟ قال: افعل. فدعا له الذي يعالجه فأحمى مكاويه، فلما صارت كالنار قال: ادع/أقواما يمسكونه. فقال لهم مسافر: لست أحتاج إلى ذلك. فجعل يضع المكاوي عليه. فلما رأى صبره ضرط الطبيب، فقال مسافر:

قد يضرط العير و المكواة في النار

لما مات رثاه أبو طالب:

اشارة

- فجرت مثلا - فلم يزده إلاّ ثقلا. فخرج يريد مكة. فلما انتهى إلى موضع يقال له هبالة(2) مات فدفن بها، و نعي إلى قريش. فقال أبو طالب بن عبد المطّلب يرثيه:

ليت شعري مسافر بن أبي عم *** رو و ليت يقولها المحزون

رجع الركب سالمين جميعا *** و خليلي في مرمس(3) مدفون

بورك الميّت الغريب كما بو *** رك نضر(4) الرّيحان و الزيتون

بيت صدق على هبالة قدحا *** لت فياف من دونه و حزون

/مدره يدفع الخصوم بأيد *** و بوجه يزينه العرنين

1- استسقى بطنه: اجتمع فيه ماء أسفر. و هو المعروف بمرض الاستسقاء.

2- قال البكري في «معجم ما استعجم»: إن هبالة: موضع لبني عقيل. و قال ياقوت في كتابه «معجم البلدان» بعد كلام: و قال أبو زياد: هبالة و هيبل من مياه بني نمير. ثم ذكر موت مسافر بن أبي عمرو بها و رثاه أبي طالب بن عبد المطلب له.

3- المرمس: القبر.

4- كذا في «معجم ياقوت»: و في الأصول: «نضح الرمان». و النضح: «البلل. و لعله يعني به العصير.

كم خليل رزئته و ابن عمّ *** و حميم قضت عليه المنون

فتعزّيت بالتّأسّي و بالصب *** ر و إنّي بصاحبي لضنين

غنّى في هذين البيتين يحيى المكّيّ ثاني ثقيل بالوسطى من رواية ابنه و الهشاميّ.

و أنشدنا الحرميّ قال أنشدنا الزبير لأبي طالب بن عبد المطّلب في مسافر بن أبي عمرو:

ألا إنّ خير الناس غير مدافع *** بسرو سحيم(1) غيّبته المقابر

/تبكّي أباها أمّ وهب و قد نأى *** و ريسان(2) أمسى دونه و يحابر

على خير حاف من معدّ و ناعل *** إذا الخير يرجى أو إذا الشرّ حاضر

تنادوا و لا أبو أميّة فيهم *** لقد بلغت كظّ النفوس الحناجر(3)

قال و قال النّوفليّ: إنّ البيتين:

ألا إنّ هندا أصبحت منك محرما

و الذي بعده لهشام بن المغيرة، و كانت عنده أسماء بنت مخرمة النّهشليّة، فولدت له أبا جهل و أخاه الحارث، ثم غضب عليها فجعلها مثل ظهر أمّه – و كان أوّل ظهار كان – فجعلته قريش طلاقا. فأرادت أسماء الانصراف إلى أهلها، فقال لها هشام: و أين الموعد؟ قالت: الموسم. فقال لها ابناها: أقيمي معنا فأقامت معهما. فقال المغيرة بن عبد اللّه و هو أبو زوجها: أما و اللّه لأزوجنّك غلاما ليس بدون هشام، فزوّجها أبا ربيعة ولده الآخر، فولدت له عيّاشا و عبد اللّه. فذلك قول هشام:

تحدّثنا أسماء أن سوف نلتقي *** أحاديث طسم(4)، إنما أنت حالم

و قوله:

ألا أصبحت أسماء حجرا محرّما *** و أصبحت من أدنى حموّتها حما

قال النّوفليّ في خبره و حدّثني أبي: أنه إنما كان مسافر خرج إلى النّعمان بن المنذر يتعرّض لإصابة مال ينكح به هندا، فأكرمه النعمان و استظرفه و نادمه و ضرب عليه قبّة من أدم حمراء. و كان الملك إذا فعل ذلك برجل عرف قدره منه و مكانه عنده. و قدم أبو سفيان بن حرب في بعض تجاراته، فسأله مسافر عن حال الناس بمكة، /فذكر له أنه تزوّج هندا؛ فاضطرب مسافر حتى مات. و قال بعض الناس: إنه استسقى بطنه فكوي فمات بهذا السبب. قال النّوفليّ: فهو أحد من قتله العشق.

1- كذا في ج: و نسخه الشنقيطي مصححة بقلمه. و سرو سحيم: موضع. و في سائر الأصول: «بسرولنجم» و هو تحريف.

2- في م: «ديسان». و يحابر: اسم قبيلة.

3- يريد لقد بلغت القلوب الحناجر لكظ النفوس أي لكربها و امتلائها بالهم و الحزن.

4- طسم: إحدى القبائل العربية القديمة البائدة.

خبر طلاق هند بنت عتبة من الفاكه بن المغيرة:

اشارة

فأمّا خبر هند و طلاق الفاكه بن المغيرة إيّاها، فأخبرني به أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني أبو السّكين زكريّا بن يحيى بن عمرو بن حصن بن حميد بن حارثة الطائيّ قال حدّثني عمّي زحر(1) بن حصن عن جدّه حميد بن حارثة قال:

كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة، و كان الفاكه من فتيان قريش، و كان له بيت للضيافة بارز من البيوت يغشاه الناس من غير إذن. فخلا البيت ذات يوم، فاضطجع هو و هند فيه ثم نهض لبعض حاجته. و أقبل رجل ممّن كان يغشى البيت فولجه، فلما رآها رجع هاربا، و أبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها برجله/و قال: من هذا الذي خرج من عندك!؟ قالت: ما رأيت أحدا و لا انتبهت حتى أنبهتني. فقال لها: ارجعي إلى أمّك. و تكلّم الناس فيها، و قال لها أبوها: يا بنيّة! إنّ الناس قد أكثروا فيك، فأنبئيني نبأك، فإن يكن الرجل عليك صادقا دسست عليه من يقتله فتنقطع عنك المقالة، و إن يك كذبا حاكمته إلى بعض كهّان اليمن. فقالت: لا و اللّه ما هو عليّ بصادق. فقال له: يا فاكه، إنك قد رميت بنتي بأمر عظيم، فحاكمني إلى بعض كهّان اليمن. فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم و خرج عتبة في جماعة من عبد مناف و معهم هند و نسوة. فلمّا شارفوا البلاد و قالوا غدا نرد على الرجل تنكّرت حال هند. فقال لها عتبة: إنّي أرى ما حلّ بك من تنكّر الحال، و ما ذاك إلاّ لمكروه عندك.

قالت: لا و اللّه يا أبتاه ما ذاك لمكروه، و لكنّي أعرف أنكم تأتون بشرا يخطئ و يصيب، و لا آمنه أن يسمني ميسما يكون عليّ سبّة. فقال/لها: إني سوف أختبره لك، فصفر بفرسه حتى أدلى(2)، ثم أدخل في إحليله حبّة برّ و أوكأ عليها بسير. فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم و نحر لهم. فلما قعدوا قال له عتبة: جئناك في أمر و قد خبأت لك خبئا أختبرك به فانظر ما هو؟ قال: ثمرة في كمرة(3). قال: إني أريد أبين من هذا. قال: حبّة برّ في إحليل مهر. قال: صدقت، انظر في أمر هؤلاء النسوة. فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها و يقول: انهضي، حتى دنا من هند فقال لها: انهضي غير رسحاء(4) و لا زانية، و لتلدنّ ملكا يقال له معاوية. فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها، فنثرت يدها من يده و قالت: إليك عنّي! فو اللّه لأحرص أن يكون ذلك من غيرك، فتزوجها أبو سفيان.

و قد قيل: إنّ بيتي مسافر بن أبي عمرو أعني:

ألا إنّ هندا أصبحت منك محرما

لابن عجلان(5).

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني عبد اللّه بن عليّ بن الحسن عن أبي نصر عن الأصمعيّ عن عبد اللّه بن أبي سلمة عن أيّوب عن ابن سيرين قال:

1- في الأصول: «أبو زحر» و هو خطأ. (راجع شرح «القاموس» مادة زحر).

2- أدلى الفرس و غيره: أخرج جرذانه ليبول أو يضرب.

3- الكمرة: رأس الذكر.

4- الرسح: خفة العجيزة و لصوقها.

5- هو عبد اللّه بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب، شاعر جاهلي و هو أحد المتيمين من الشعراء و من قتله الحب منهم. و كان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم على ذلك، فتزوجت زوجا غيره فمات أسفا عليها. (انظر ترجمته في «الأغاني» ج 19 ص 102 طبعة بولاق).

خرج عبد اللّه بن العجلان في الجاهليّة فقال:

ألا إنّ هندا أصبحت منك محرما *** و أصبحت من أدنى حموّتها حما

فأصبحت كالمقمور جفن سلاحه *** يقلّب بالكفّين قوسا و أسهما

/شعر لمسافر في الفخر:

ثم مدّ بهما صوته فمات. قال ابن سيرين: فما سمعت أن أحدا مات عشقا غير هذا. و مما يغنّي فيه من شعر مسافر بن أبي عمرو و هو من جيّد شعره قوله يفتخر:

صوت

أ لم نسق الحجيج و نن *** حر المذلاقة(1) الرّفدا

و زمزم من أرومتنا *** و نفقأ عين من حسدا

و إنّ مناقب الخيرا *** ت لم نسبق بها عددا

فإن نهلك فلم نملك *** و هل من خالد خلدا

غنّاه ابن سريج رملا بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه لسائب خاثر لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى من رواية حمّاد. و فيه للزّفّ ثقيل بالوسطى.

فأما خبر عمارة بن الوليد و السبب الذي من أجله أمر النّجاشي السواحر فسحرته

ما كان بين عمرو و عمارة لدى النجاشي:

فإن الواقديّ ذكره عن عبد اللّه بن جعفر بن أبي عون قال:

كان عمارة بن الوليد المخزوميّ بعد ما مشت(2) قريش بعمارة إلى أبي طالب خرج هو و عمرو بن العاص بن وائل السّهميّ، و كانا كلاهما تاجرين، إلى النجاشيّ، و كانت/أرض الحبشة لقريش متجرا و وجها، و كلاهما مشرك شاعر فاتك و هما في جاهليّتهما، و كان عمارة معجبا بالنساء صاحب محادثة(3)؛ فركبا في السفينة ليالي فأصابا من خمر معهما. فلما انتشى عمّارة قال لامرأة عمرو بن العاص: قبّليني. فقال لها عمرو: قبّلي ابن عمّك فقبّلته. و حذر عمرو على زوجته فرصدها و رصدته، فجعل إذا شرب معه أقلّ عمرو من الشراب و أرقّ لنفسه بالماء مخافة أن يسكر فيغلبه عمارة على أهله. و جعل عمارة يراودها على نفسها فامتنعت منه. ثم إنّ عمرا جلس إلى ناحية السفينة يبول،

1- كذا في «اللسان» (مادتي ذلق و رفد). و المذلاقة: يريد بها النوق السريعة السير و في الأصول: «الدلافة» و هو تحريف. و الرفد: جمع رفود و هي التي تملأ الرفد (و هو بالفتح و الكسر القدح الضخم) من النوق في حلبة واحدة.

2- قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و إسلامه و إجماعه لفراقهم في ذلك و عداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغني: «يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش و أجمله. فخذه فلك عقله و نصره و اتخذه ولدا فهو لك و أسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك و دين آبائك و فرق جماعة قومك و سفه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجل كرجل. فقال: و اللّه لبئس ما تسومونني! أ تعطونني ابنكم أغذوه لكم و أعطيكم ابني تقتلونه! هذا و اللّه ما لا يكون أبدا». («سيرة ابن هشام» ج 1 ص 169).

3- يحتمل أن تكون: «صاحب مخادنة». و الرجل يوصف بأنه حدث نساء كما يوصف بأنه خدنهن.

فدفعه عمارة في البحر. فلمّا وقع فيه سبح حتى أخذ بالقلس(1) فارتفع فظهر على السفينة. فقال له عمارة: أما و اللّه لو علمت يا عمرو أنك تحسن السّباحة ما فعلت. فاضطغنها عمرو و علم أنه أراد قتله. فمضينا على وجههما ذلك حتى قدما أرض الحبشة و نزلاها. و كتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص أن اخلعني و تبرّأ من جريرتي إلى بني المغيرة و جميع بني مخزوم. و ذلك أنه خشي على أبيه أن يتبع بجريرته و هو يرصد لعمارة ما يرصد. فلما ورد الكتاب على العاص بن وائل مشى في رجال من قومه منهم نبيه و منبّه ابنا الحجّاج(2) إلى بني المغيرة و غيرهم من بني مخزوم فقال: إنّ هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم، و كلاهما فاتك صاحب شرّ، و هما غير مأمونين على أنفسهما و لا ندري ما يكون. و إنّي أبرأ إليكما من عمرو و من جريرته و قد خلعته. فقالت بنو المغيرة و بنو مخزوم:

أنت تخاف عمرا على عمارة! و قد خلعنا نحن عمارة و تبرّأنا إليك من جريرته، فخلّ بين الرجلين. فقال السّهميّون(3): قد قبلنا، /فابعثوا مناديا بمكة أنّا قد خلعناهما. و تبرّأ كلّ قوم من صاحبهم و مما جرّ عليهم، فبعثوا مناديا ينادي بمكة بذلك. فقال الأسود بن المطّلب: بطل و اللّه دم عمارة بن الوليد آخر الدهر!. فلما اطمأنّا بأرض الحبشة لم يلبث عمارة أن دبّ لامرأة النجاشيّ فأدخلته فاختلف إليها. فجعل إذا رجع من مدخله يخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره. فجعل عمرو يقول: ما أصدّقك أنك قدرت على هذا الشأن، إنّ المرأة أرفع من ذلك.

فلما أكثر على عمرو مما كان يخبره، و قد كان صدّقه و لكن أحبّ التثبّت، و كان عمارة يغيب عنه حتى يأتيه في السّحر، و كان في منزل واحد معه، و جعل عمارة يدعوه إلى أن يشرب معه فيأبى عمرو و يقول: إنّ هذا يشغلك عن مدخلك، و كان عمرو يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دفعه إن هو رفعه إلى النجاشيّ. فقال له في بعض ما يذكر له من أمرها: إن كنت صادقا فقل لها تدهنك من دهن النجاشيّ الذي لا يدّهن به غيره فإنّي أعرفه، لو أتيتني به لصدّقتك. ففعل عمارة [فجاء(4)] بقارورة من دهنه، فلمّا شمّه عرفه. فقال له عمرو عند ذلك: أنت صادق! لقد أصبت شيئا ما أصاب/أحد مثله قطّ من العرب و نلت من امرأة الملك شيئا ما سمعنا بمثل هذا - و كانوا أهل جاهليّة - ثم سكت عنه، حتى إذا اطمأنّ دخل على النجاشيّ فقال: أيها الملك! إنّ ابن عمّي سفيه، و قد خشيت أن يعرّني(5) عندك أمره، و قد أردت أن أعلمك شأنه. [و لم أفعل(6)] حتى استثبتّ أنّه(7) قد دخل على بعض نسائك فأكثر. و هذا من دهنك قد أعطيه و دهنني منه. فلما شمّ النجاشيّ الدّهن قال: صدقت، هذا دهني الذي لا يكون إلاّ عند نسائي. ثم دعا بعمارة/و دعا بالسواحر، فجرّدوه من ثيابه فنفخن في إحليله، ثم خلى سبيله فخرج هاربا(8).

فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطّاب. فخرج إليه عبد اللّه بن أبي ربيعة - و كان اسمه قبل أن

1- القلس: حبل غليظ من حبال السفن.

2- هما نبيه و منبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم، كانا من أشراف قريش، ماتا على الشرك في غزوة بدر؛ قتل الأوّل حمزة بن المطلب، و الثاني أبو اليسر أخو بني سلمة. («السيرة» ج 1 ص 324، 436، 475، 510).

3- السهميون: قوم عمرو بن العاص، و بنو سهم من هصيص بن كعب بن لؤي.

4- زيادة عن «تجريد الأغاني».

5- عره: لطخه بعيب.

6- التكملة عن «تجريد الأغاني».

7- في الأصول: «حتى استثبت و أنه...» بزيادة الواو.

8- في «تجريد الأغاني» «فخرج هاربا هائما على وجهه مع الوحش. و متى رأى الإنس هرب منهم و طلع له شعر غطى جميع بدنه. و لم يزل كذلك مدّة أيام النبيّ صلى اللّه عليه و سلم و أيام أبي بكر رضي اللّه عنه و صدرا من خلافة عمر رضي اللّه عنه، فخرج إليه... إلخ».

يسلم بحيرا فسمّاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عبد اللّه – فرصده على ماء بأرض الحبشة، و كان يرده مع الوحش، فورد، فلما وجد ريح الإنس هرب، حتّى إذا أجهده العطش ورد فشرب حتى تملأ(1)، و خرجوا في طلبه. فقال عبد اللّه بن أبي ربيعة:

فسعيت إليه فالتزمته، فجعل يقول لي: يا بحير أرسلني! يا بحير أرسلني! إني أموت إن أمسكتموني. قال عبد اللّه:

و ضغطته(2) فمات في يدي مكانه. فواراه ثم انصرف. و كان شعره قد غطّى على كل شيء منه.

قال الواقـديّ عن ابن أبي الزّناد: و قال عمرو لعمارة: يا فائـد، إن كنت تحبّ أن أصـدّقك بهـذا أو أقبله منك فأتني بثوبين أصـفرين. فلمّا رأى النجاشيّ الثوبين قال له عمرو: أ تعرف الثوبين؟ قال نعم.

و قال الواقديّ عن ابن أبي الزّناد عن أبيه، قال النجاشيّ لعمارة: إنّي أكره أن أقتل قرشيّا، و لو قتلت قرشيّا لقتلتك، فدعا بالسواحر.

شعر عمرو بن العاص في عمارة:

فقال عمرو بن العاص يذكر عمارة و ما صـنع به – قال الواقديّ أخبرني ابن أبي الزّناد أنه سـمع ذلك من ابن ابنه عمرو بن شعيب بن عبد اللّه بن عمرو يذكره لحدّه –:

/

تعلّم عمار أنّ من شرّ شيمة *** لمثلك أن يدعى ابن عمّ له ابنما

و إن كنت ذا بردين أحوى مرجّلا *** فلست براع(3) لابن عمّك محرما

إذا المرء لم يترك طعاما يحبّه *** و لم ينه قلبا غاويا حيث يمّما

قضى وطرا منه يسيرا و أصبحت *** إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

فليس الفتى و لو أتمّت(4) عروقه *** بذي كرم إلاّ بأن يتكرّما

صحبت من الأمر الرفيق طريقه *** و ولّيت غيّ الأمر من قد تلوّما

من الآن فانزع عن مطاعم جمّة *** و عالج أمور المجد لا تتندّما

شعر خولة بنت ثابت في عمارة:

قال إسحاق و حدّثني الأصمعيّ: أنّ خولة بنت ثابت أخت حسّان قالت في عمارة لمّا سحر:

يا ليلتي(5) لم أنم و لم أكد *** أقطعها بالبكاء و السّهد

أبكي على فتية رزئتهم *** كانوا جبالي فأوهنوا عضدي

كانوا جمالي و نصرتي و بهم *** أمنع ضيمي و كلّ مضطهد

فبعدهم أرقب النجوم و أذ *** ري الدمع و الحزن و ألج كبدي

ص: 42

1- كذا في «تجريد الأغاني». و تملأ الرجل من الطعام و الشراب: امتلأ. و في الأصول: «ملأ».

2- كذا في أ، م و في سائر الأصول: «و ضبطته».

3- كذا في «تجريد الأغاني». و في الأصول: «براء».

4- أتمت عروقه: بلغت تمامها في الكرم.

5- في الأصول: «يا ليتني» و هو تحريف.

قال الأصمعيّ و اجتاز ابن سريج بطويس و معه فتية من قريش و هو يغنّيهم في هذا/الصوت، فوقف حتى سمعه، ثم أقبل عليهم فقال: هذا و اللّه سيّد من غنّاه.

هـذه الأصوات التي ذكرتها الجامعة للنّغم العشـر و الثماني النّغم(1) منها هي المشـهورة المعروفـة عنـد الرّواة و في روايات الرّواة و عند المغنّين.

كان عبيد اللّه يراسل المعتضد على لسان جواريه:

و كان عبيـد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر يراسل المعتضد باللّه إذا استزار جواريه على ألسـنتهم و مع ذوي الأنس عنده من رسـله: مع أحمد بن الطّيّب و ثابت بن قرّة/الطائي، يذكر النّغم و تفصيل مجاريها و معانيها حتى فهم ذلك.

فصنع لحنا فجمع النّغم العشر في قول دريد بن الصّمّة:

يا ليتني فيها جذع *** أخبّ فيها و أضع

كان المكتفي يراسله في الغناء:

و صـنع صـنعة متقنة جيّدة، منها ما سـمعناه من المحسنين و المحسنات و منها ما لم نسمعه، يكون مبلغها نحو خمسين صوتا. و قد ذكرت من ذلك ما صلح في أغاني الخلفاء. ثم صنع مثل ذلك للمكتفي(2) باللّه لرغبته في هذه الصناعة.

فوجدت رقعة بخطه كتب بها إلى المكتفي نسختها: «قال إسحاق بن إبراهيم حين صاغ عند أبي العبّاس عبد اللّه بن طاهر بأمره لحنه في:

يوم تبدي لنا قتيلة عن جي *** د تليع(3) تزينه الأطواق

و شتيت كالأقحوان جلاه الطّل فيه عذوبة و اتّساق إني نظرت مع إبراهيم و تصـفّحت غناء العرب كلّه، فلم نجد في جميع غناء العرب صوتا أطول إيقاعا من:

عادك الهمّ ليلة الإيجاف(4) *** من غزال مخضّب الأطراف

و لحنه خفيف ثقيل لابن محرز؛ فإن إيقاعه ستة و خمسون دورا. ثم لحن معبد:

هريرة ودّعها و إن لام لائم *** غداة غد أم أنت للبين واجم

و هو أحد سبعته(5). و لحنه خفيف ثقيل، و دور إيقاعه سـتّة و خمسون دورا، إلا أن صوت ابن محرز سداسـيّ في العروض من الخفيف، و صوت معبد ثماني من الطويل؛ فصوت ابن محرز أعجب لأنه أقصـر. و ما زلنا حتى تهيّأ لنا شـعر رباعيّ في سـيّدنا أمير المؤمنين أطال اللّه بقاءه، دور إيقاعه سـتّة و خمسون دورا، و هو يجمع من النّغم/العشـر ثمانيا؛ و هـذا ظريف جـدّا بـديع لم يكن مثله. و أمّا الصوت الذي في تهنئة النّوروز فلأنفسنا عملناه؛ إذ لم يكن لنا من

1- في الأصول: «الثماني نغم» بدون أداة التعريف في المضاف إليه.

2- في الأصول: «بالمكتفي» و هو تحريف.

3- تليع: طويل.

4- الإيجاف: سرعة السير.

5- أي أحد أصواته السبعة و هي مدنه المعروفة. و في الأصول: «أحد سبعاته».

يدبّر مثل هذا معه غيره. و قد كتبنا شعره و شعر الآخر، و إيقاع كلّ واحد منهما خفيف ثقيل، و الصنعة فيهما تستظرف:

جمع الخلائف(1) كلّهم لجميع(2) ما *** بلغوا و أعطوا في الإمام المكتفي

و له الهدايا ألف نوروز و ه *** ذا الشعر منها لحنه لم يعرف

و الآخر:

دولة المكتفي الخلي *** فة تفنى مدى الدّول

يوم عيد و يوم عر *** س فما بعدها أمل

الصنعة في البيت الأوّل خاصّة تدور على ستة و خمسين إيقاعا».

هكذا وجدت في الرقعة بخط عبيد اللّه. و ما سمعت أحدا يغنّي هذين الصوتين. و قد عرضتهما على غير واحد من المتقدّمين/و من مغنّيات القصور فما عرفهما أحد منهن. و ذكرتهما في الكتاب لأنّ شريطته توجب ذكرهما.

الأرمال الثلاثة المختارة

الأرمال المختارة و الكلام عنها:

أخبرني يحيى بن عليّ و محمد بن خلف وكيع و الحسين بن يحيى قالوا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي، قال أبو أحمد رحمه اللّه و أخبرني أبي أيضا عن إسحاق، و أخبرنا عليّ بن عبد العزيز قال حدّثنا عبيد اللّه بن خرداذبه قال قال إسحاق: أجمع العلماء بالغناء أن أحسن رمل غنّي رمل:

فلم أر كالتّجمير منظر ناظر

ثم رمل:

أ فاطم مهلا بعض هذا التدلّل

و لو عاش ابن سريج حتى يسمع لحني الرمل:

لعلّك إن طالت حياتك أن ترى

لاستحيا أن يصنع بعده شيئا. و في روايتي وكيع و عليّ بن يحيى «و لعلم(3) أني نعم الشاهد له».

1- كذا في ح. و في سائر الأصول: «الخلائق» بالقاف.

2- كذا في الأصول: و لعله: «بجميع».

3- لعل الواو من زيادات النساخ.

نسبة الأصوات و أخبارها:

صوت

الصوت الأوّل من هذه الأرمال في شعر ابن أبي ربيعة:

فلم أر كالتّجمير منظر ناظر *** و لا كليالي الحجّ أفلتن ذا هوى

فكم من قتيل ما يباء(1) به دم *** و من غلق رهنا إذا لفّه منى

و من مالئ عينيه من شيء غيره *** إذا راح نحو الجمرة البيض كالدّمى

يسحّبن أذيال المروط بأسوق(2) *** خدال و أعجاز مآكمها(3) روا

عروضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. و الغناء لابن سريج رمل بالبنصر. و قد كان علّويه فيما بلغنا صنع فيه رملا، و في «أ فاطم مهلا» خفيف رمل، و في «لعلّك إن طالت حياتك» رملا آخر، و لم يصنع شيئا و سقطت ألحانه فيها فما تكاد تعرف. و هذه الأبيات يقولها عمر بن أبي ربيعة في بنت مروان بن الحكم.

ابن أبي ربيعة و أم عمرو بنت مروان:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا ابن كناسة عن أبي بكر بن عيّاش قال:

حجّت أمّ عمرو بنت مروان، فلما قضت نسكها أتت عمر بن أبي ربيعة و قد أخفت نفسها في نساء معها، فحادثته ثم انصرفت، و عادت إليه منصرفها من عرفات و قد أثبتها. فقالت له: لا تذكرني في شعرك، و بعثت إليه بألف دينار. فقبلها و اشترى بها ثيابا من ثياب اليمن و طيبا فأهداه إليها فردّته. فقال: إذا و اللّه أنهبه الناس فيكون مشهورا؛ فقبلته. و قال فيها:

أيّها الرائح المجدّ ابتكارا *** قد قضى من تهامة الأوطارا

من يكن قلبه الغداة خليّا *** ففؤادي بالخيف أمسى مطارا

ليت ذا الدهر كان حتما علينا *** كلّ يومين حجّة و اعتمارا

قال ابن كناسة قال ابن عيّاش: فلما وجّهت منصرفة قال فيها:

فكم من قتيل ما يباء به دم *** و من غلق رهنا إذا لفّه منى

/قال: و يروى «و من غلق رهن» كأنه قال و من رهن غلق؛ لا يجعل من نعت الرهن. كأنه جعل الإنسان غلقا و جعله رهنا؛ كما يقال: كم من عاشق مدنف، و من كلف صبّ.

قـال الزّبير و حـدّثني مسـلم بن عبـد اللّه بن مسـلم بن جنـدب عن أبيه قال: أنشـده ابن أبي عتيق فقال: إن في نفس الجمل ما ليس في نفس الجمّال.

ص: 45

1- أباء فلان القتيل بالقاتل: قتله به. يريـد: كم من قتيل يطل دمه و لا يؤخذ له بثأر. و غلق الرهن في يد المرتهن يغلق غلقا. لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط. يريد: كم من قلوب أسيرة لا يقدر أصحابها على افتكاكها.

2- الأسؤق: جمع ساق. و الخدال: الممتلئة.

3- المأكمة: العجيزة.

قال: و قال عبد اللّه بن عمر، و قد أنشده عمر بن أبي ربيعة شعره هذا: يا ابن أخي! أ ما اتّقيت اللّه حيث تقول:

ليت ذا الدهر كان حتما علينا *** كلّ يومين حجّة و اعتمارا

فقال له عمر بن أبي ربيعة: بأبي أنت و أمي! إني وضعت ليتا حيث لا تغنى.

أمر عمر بن عبد العزيز بنفيه ثم خلاه لما تاب:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، و أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عبيد اللّه بن عبد اللّه عن إسحاق، و أخبرني ببعض هذا الخبر الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكار قال حدّثنا مصعب بن عثمان:

أنّ عمر بن عبد العزيز لمّا ولي الخلافة لم تكن له همة إلا عمر بن أبي ربيعة و الأحوص. فكتب إلى عامله على المدينة: «قد عرفت عمر و الأحوص بالخبث و الشرّ. فإذا أتاك كتابي هذا فاشددهما و احملهما إليّ». فلما أتاه الكتاب حملهما إليه. فأقبل على عمر فقال له هيه!

فلم أر كالتّجمير منظر ناظر *** و لا كليالي الحجّ أفلتن ذا هوى

و كم مالئ عينيه من شيء غيره *** إذا راح نحو الجمرة البيض كالدّمى

فإذا لم يفلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يفلتون! أما و اللّه لو اهتممت بأمر حجّك لم تنظر إلى شيء غيرك! ثم أمر بنفيه. فقال: يا أمير المؤمنين، أو خير من ذلك؟ قال: و ما هو؟ قال: أعاهد اللّه ألاّ أعود إلى مثل هذا الشعر و لا أذكر النساء في شعر أبدا و أجدّد توبة على يديك. قال: أو تفعل؟ قال نعم. فعاهد اللّه على توبة و خلاّه. ثم دعا بالأحوص فقال هيه!

نفى الأحوص و لم يطلقه إلا يزيد بن عبد الملك:

اللّه بيني و بين قيّمها *** يهرب منّي بها و أتّبع

با اللّه بين قيّمها و بينك! ثم أمر بنفيه إلى بيش(1)، و قيل إلى دهلك و هو الصحيح، فنفي إليها، فلم يزل بها. فرحل إلى عمر عدّة من الأنصار فكلّموه في أمره و سألوه أن يقدمه و قالوا له: قد عرفت نسبه و قدمه و موضعه و قد أخرج إلى بلاد/الشرك، فنطلب إليك أن تردّه إلى حرم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و دار قومه. فقال لهم عمر: من الذي يقول:

فما هو إلاّ أن أراها فجاءة *** فأبهت حتى ما أكاد أحير

- و في رواية الزبير «أجيب» مكان «أخير» - قالوا: الأحوص(2). قال: فمن الذي يقول:

أدور و لو لا أن أرى أمّ جعفر *** بأبياتكم ما درت حيث أدور

و ما كنت زوّارا و لكنّ ذا الهوى *** إذا لم يزر لا بدّ أن سيزور

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

1- بيش: من بلاد اليمن قرب دهلك. و دهلك جزيرة في بحر اليمن، مرسى بين بلاد اليمن و الحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة و هي تجاه مصوع. و كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

2- نسب هذا البيت لعروة بن حزام. (انظره في ترجمته ج 20 ص 156 من «الأغاني» طبع بلاق).

كأنّ لبنى صبير(1) غادية *** أو دمية زيّنت بها البيع

اللّه بيني و بين قيّمها *** يهرب منّي بها و أتّبع

/قالوا: الأحوص. قال: إن الفاسق عنها يومئذ لمشغول، و اللّه لا أردّه ما كان لي سلطان. فمكث هناك بعد ولاية عمر صادرا من ولاية يزيد بن عبد الملك ثم خلاّه.

قال: و كتب إلى عمر بن عبد العزيز من موضعه - قال الزّبير: أنشدنيها عبد الملك بن عبد العزيز ابن بنت الماجشون قال أنشدنيها يوسف بن الماجشون يعني هذه الأبيات -:

أيا راكبا إمّا عرضت فبلّغن *** هديت أمير المؤمنين رسائلي

و قل لأبي حفص إذا ما لقيته *** لقد كنت نفّاعا قليل الغوائل

أ في اللّه أن تدنوا ابن حزم(2) و تقطعوا *** قوى حرمات بيننا و وصائل(3)

/فكيف ترى للعيش طيبا و لذّة *** و خالك أمسى موثقا في الحبائل

و ما طمع الحزميّ في الجاه قبلها *** إلى أحد من آل مروان عادل

وشى و أطاعوه بنا و أعانه *** على أمرنا من ليس عنّا بغافل

و كنت أرى أنّ القرابة لم تدع *** و لا الحرمات في العصور الأوائل

إلى أحد من آل مروان ذي حجّى(4) *** بأمر كرهناه مقالا لقائل

يسرّ بما أنهى العدوّ و إنه *** كنافلة لي من خيار النوافل

فهل ينقصنّي القوم أن كنت مسلما *** بريئا بلائي في ليال قلائل

ألا ربّ مسرور بنا سيغيظه *** لدي غبّ أمر عضّه بالأنامل

رجا الصّلح منّي آل حزم بن فرتنى *** على دينهم جهلا و لست بفاعل

ألا قد يرجّون الهوان فإنهم *** بنو حبق(5) ناء عن الخير فائل

على حين حلّ القول بي و تنظّرت *** عقوبتهم منّي رءوس القبائل

فمن يك أمسى سائلا بشماتة *** بما حلّ بي أو شامتا غير سائل

فقد عجمت منّي العواجم ما جدا *** صبورا على عضّات تلك التلاتل(6)

إذا نال لم يفرح و ليس لنكبة *** إذا حدثت بالخاضع المتضائل

قال الزبير: و قال الأحوص أيضا:

1- الصبير: السحابة البيضاء.

2- يريد به أبا بكر بن محمد عمرو بن حزم والي المدينة لعمر بن عبد العزيز.

3- في ح: «و وسائلي» و الوصائل: جمع وصيلة، و هي ما يوصل به الشيء.

4- كذا في ح: و في سائر الأصول: «ذي حمى».

5- الحبق، الضراط.

6- التلاتل: الشدائد.

هل أنت أمير المؤمنين فإنّني *** بودّك من ودّ العباد لقانع

متمّم أجر قد مضى و صنيعة *** لكم عندنا أو ما تعدّ الصنائع

فكم من عدوّ سائل ذي كشاحة *** و منتظر بالغيب ما أنت صانع

فلم يغن عنه ذلك و لم يخل سبيل عمر، حتى ولي يزيد بن عبد الملك فأقدمه و قد غنّته حبابة بصوت في شعره.

/أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال هشام بن حسّان:

كان السبب في ردّ يزيد بن عبد الملك الأحوص أن جميلة غنّته يوما:

كريم قريش حين ينسب و الّذي *** أقرّت له بالملك كهلا و أمردا

فطرب يزيد و قال: ويحك! من كريم قريش هذا؟ قالت: أنت يا أمير المؤمنين، و من عسى أن يكون ذلك غيرك! قال: و من قائل هذا الشعر فيّ؟ قالت: الأحوص و هو منفيّ. فكتب بردّه/و حمله إليه و أنفذ إليه صلات سنيّة. فلمّا قدم إليه أدناه و قرّبه و أكرمه. و قال له يوما في مجلس حافل: و اللّه لو لم تمت إلينا بحقّ و لا صهر و لا رحم إلاّ بقولك:

و إني لأستحييكم أن يقودني *** إلى غيركم من سائر الناس مطمع

لكفاك ذلك عندنا. قال: و لم يزل ينادمه و ينافس به حتى مات. و أخبار الأحوص في هذا السبب و غيره قد مضت مشروحة في أوّل ما مضى من ذكره و أخباره؛ لأن الغرض هاهنا ذكر بقية خبره مع عمر بن أبي ربيعة في الشعرين اللّذين أنكرهما عليهما عمر بن عبد العزيز و أشخصا من أجلهما.

سليمان بن عبد الملك و نفيه ابن أبي ربيعة إلى الطائف:

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أحمد بن زهير قال: مصعب بن عبد اللّه قال:

حجّ سليمان بن عبد الملك و هو خليفة، فأرسل إلى عمر بن أبي ربيعة فقال له: أ لست القائل:

فكم من قتيل ما يباء به دم *** و من غلق رهنا إذا لفّه منى

و من مالئ عينيه من شيء غيره *** إذا راح نحو الجمرة البيض كالدّمى

يسحّبن أذيال المروط بأسؤق *** خدال و أعجاز مآكمها روا

/أوانس يسلبن الحليم فؤاده *** فيا طول ما شوق و يا طول مجتلى(1)

قال نعم. قال لا جرم و اللّه لا تحضر الحجّ العام مع الناس! فأخرجه إلى الطائف.

ابن أبي عتيق و غناء ابن سريج:

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي حدّثني ابن الكلبيّ عن أبي مسكين و عن صالح بن حسّان قال:

قدم ابن أبي عتيق إلى مكة فسمع غناء ابن سريج:

1- كذا في أو «ديوانه» طبع مطبعة السعادة ص 16. و في سائر الأصول: «و يا طول ما اجتلى».

فلم أر كالتجمير منظر ناظر *** و لا كليالي الحجّ أفلتن ذا هوى

فقال: ما سمعت كاليوم قطّ، و ما كنت أحسب أن مثل هذا بمكة، و أمر له بمال و حدره معه إلى المدينة، و قال:

لأصغّرنّ(1) إلى معبد نفسه و لأهدينّ إلى المدينة شيئا لم ير أهلها مثله حسنا و ظرفا و طيب مجلس و دماثة خلق و رقّة منظر و مقة(2) عند كل أحد. فقدم به المدينة و جمع بينه و بين معبد. فقال لابن سريج: ما تقول فيه؟ قال: إن عاش كان مغنّي بلاده.

أبو السائب و ابن سريج:

و قال إسحاق و حدّثني المدائني عن جرير قال: قال لي أبو السائب يوما: ما معك من مرقصات ابن سريج؟ فغنّيته:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

فقال: كما أنت حتى أتحرم لهذا بركعتين.

الوليد بن عبد الملك يأمر والي المدينة أن يشخص إليه ابن سريج:

حدّثني الحسين قال قال حمّاد قرأت على أبي و حدّثني أبو عبد اللّه الزبيري قال:

كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أشخص إليّ ابن سريج. فورد الرسول إلى الوالي، فمرّ في بعض طريقه على ابن سريج و هو جالس بين قرني بئر و هو يغنّي:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

/فقال له الرسول: تاللّه ما رأيت كاليوم قطّ و لا رأيت أحمق ممّن يتركك و يبعث إلى غيرك. فقال له ابن سريج: أمّا و اللّه ما هو بقدم و لا ساق، و لكنه بقسم و أرزاق. ثم مضى الرسول فأوصل الكتاب، و بعث الولي إلى ابن سريج فأحضره. فلما رآه الرسول قال: قد عجبت أن يكون المطلوب غيرك.

عبد اللّه بن الزّبير يعجب لسماع غناء ابن سريج:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال رقي عبد اللّه بن الزّبير أبا قبيس(3)ليلا، فسمع/غناء فنزل هو و أصحابه يتعجّبون و قال: لقد سمعت صوتا إن كان من الإنس إنه لعجب، و إن كان من الجن لقد أعطوا شيئا كثيرا. فاتّبعوا الصوت فإذا ابن سريج يتغنّى في شعر عمر:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

و من هذه الأرمال الثلاثة:

1- في جميع الأصول: «لأقصدن» و قد صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته كما صححناها.

2- المقة: المحبة.

3- أبو قبيس: جبل بمكة.

ثاني الأرمال الثلاثة في شعر امرئ القيس:

صوت

أ فاطم مهلا بعض هذا التدلّل *** و إن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

أغرّك منّي أنّ حبّك قاتلي *** و أنّك مهما تأمري القلب يفعل

الشعر لامرئ القيس. و الغناء في هذين البيتين من الرمل المختار لإسحاق بالبنصر. و في هذين البيتين مع أبيات أخر من هذه القصيدة ألحان شتّى لجماعة نذكرها هاهنا و من غنّى فيها، ثم نتبع ما يحتاج إلى ذكره منها، و قد يجمع سائر ما يغنّى فيه من القصيدة معه:

شيء من معلقته و شرحه:

قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل *** بسقط اللّوى بين الدّخول فحومل

فتوضح فالمقراة لمن يعف رسمها *** لما نسجتها من جنوب و شمال

أ فاطم مهلا بعض هذا التّدلّل *** و إن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

/و إن كنت قد ساءتك منّي خليفة *** فسلّي ثيابي من ثيابك تنسل

أغرّك منّي أنّ حبّك قاتلي *** و أنّك مهما تأمري القلب يفعل

و ما ذرفت عيناك إلاّ لتضربي *** بسهميك في أعشار قلب مقتّل

تسلّت عمايات الرجال عن الصّبا *** و ليس فؤادي عن هواك بمنسلي

ألا أيّها اللّيل الطويل ألا انجل *** بصبح و ما الإصباح فيك بأمثل

و بيضة خدر لا يرام خباؤها *** تمتّعت من لهو بها غير معجل

تجاوزت أحراسا إليها و معشرا *** عليّ حراصا لو يسرّون مقتلي

ألا ربّ يوم صالح لك منهما(1) *** و لا سيما يوم بدارة جلجل

و يوم عقرت للعذارى مطيّتي *** فوا عجبي من رحلها المتحمّل(2)

و قد أغتدي و الطير في وكناتها *** بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا *** كجلمود صخر حطّه السيل من عل

فقلت لها سيري و أرخى زمامه *** و لا تبعدينا من جناك المعلّل

عروضه من الطويل. و سقط اللوى منقطعه. و اللّوى: المستدقّ من الرمل حيث يستدق فيخرج منه إلى اللّوى.

1- الضمير في «منهما» مرجعه في قوله: كدأبك من أم الحويرث قبلها و جارتها أم الرباب بمأسل و يروى: «صالح لك منهم» يعني النساء و أهلهن. قال التبريزي: و أجود الروايات: «ألا ـ رب يوم لك منهن صالح» على ما فيه من الكف، و هو حذف النون من مفاعيلن. (راجع «شرح التبريزي للمعلقات» طبع أوروبا).

2- لما نحر ناقته للعذارى اقتسمن متاع راحلته: تحمل هذه حشيته و تلك طنفسته فكان ذلك مثار عجبه.

و الـدّخول و حومـل و توضـح و المقراة: مواضـع مـا بين إمّرة إلى أسود(1) العين. و قال أبو عبيـدة في سـقط اللوى و سـقط الولـد و سـقط النار/سـقط و سـقط و سـقط ثلاث لغات. و قال أبو زيد: اللوى: أرض تكون بين الحزن و الرمل فصـلا بينهما. و قال الأصـمعيّ: قوله «بين الدّخول فحومل» خطأ و لا يجوز إلا بواو «و حومل»؛ لأنه لا يجوز أن يقال:

رأيت فلانا بين زيد فعمرو، إنما يقال و عمرو؛ و يقال: رأيت زيدا فعمرا إذا رأى كلّ/واحد منهما بعد صاحبه.

و قال غيره: يجوز «فحومل» كما يقال: مطرنا بين الكوفـة فالبصـرة، كأنه قال: من الكوفـة إلى البصـرة، يريد أن المطر لم يتجاوز ما بين هاتين الناحيتين؛ و ليس هذا مثل بين زيد فعمرو. و يعف رسـمها: يدرس. و نسـجتها: ضـربتها مقبلة و مدبرة فعفتها. يعني أن الجنوب تعفي هذا الرسم إذا هبّت و تجيء الشـمأل فتكشـفه. و قال غير أبي عبيـدة: المقراة ليس اسم موضع إنما هو الحوض الـذي يجمع فيه الماء. و الرسم: الأثر الذي لا شخص له. و يروي «لما نسجته» يعني الرسم. و يقال عفا يعفو عفوّا و عفاء؛ قال الشاعر:

على آثار من ذهب العفاء

يعني محو الأثر. و فاطمـة التي خاطبها فقال «أ فاطم مهلا» بنت العبيـد بن ثعلبـة بن عامر بن عوف بن كنانـة بن عوف بن عـذرة، و هي التي يقول فيها:

لا و أبيك ابنة العامريّ(2)

«و أزمعت صـرمي»، يقال أزمعت و أجمعت و عزمت و كله سواء. يقول: إن كنت عزمت على الهجر فأجملي. و يقول الأسـير: أجملوا في قتلي، قتلة أحسن من هذه، أي على رفق و جميل. و الصّرم: القطيعة، و الصّرم المصدر؛ يقال:

/صـرمته أصـرمه صـرما مفتوح إذا قطعته، و منه سيف صارم أي قاطع، و منه الصّرام(3)، و منه الصـرائم و هي القطع من الرمـل تنقطع من معظمه. قوله: «سـلّي ثيابي من ثيابك» كناية، أي اقطعي أمري من أمرك. و قوله تنسل: تبن عنها. و يقال للسنّ إذا بانت فسقطت و النّصل إذا سقط: نسل ينسل، و هو النسيل و النّسال.

و قال قوم: الثياب: القلب. و قوله: «و ما ذرفت عيناك» أي ما بكيت إلاّ لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتّل. قال الأصمعيّ: يعني أنك ما بكيت إلاّ لتخرقي قلبا معشّـرا، أي مكسّرا، شبهه بالبرمة إذا كانت قطعا، و يقال: برمة أعشار. قال: و لم أسمع للأعشار واحدا. يقول: لتضربي بسـهميك أي بعينيك فتجعلي قلبي مخرّقا فاسـدا كما يخرّق الجابر أعشار البرمـة؛ فالبرمة تنجبر إذا أخرقت و أصـلحت، و القلب لا ينجبر. قال: و مثله قوله:

رمتك ابنة البكريّ عن فرع ضالة

أي نظرت إليك فأفرحت قلبك. و قال غير الأصمعيّ و هو قول الكوفيين: إنما هذا مثل أعشار الجزور، و هي تنقسم

1- إمرة: منزل في طريق من البصرة بعد القريتين إلى جهة مكة، و بعد رامة و هي منهل. و أسود العين: جبل بنجد يشرف على طريق البصرة

إلى مكة.

2- يريد قوله: فلا و أبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفرّ في قصيدته التي مطلعها: أ حار بن عمرو كأني خمر و يعدو على المرء ما يأتمر

3- الصرام (بفتح الصاد و كسرها): جذاذ النخل أي أوان إدراكه.

على عشـرة أنصباء، فضربت فيها بسهميك المعلى(1) و له سـبعة أنصـباء و الرقيب و له ثلاثة أنصـباء، فأراد أنها ذهبت بقلبه كلّه. مقتّل أي مذلّل، يقال بعير مقتّل أي مذلّل. تسلّت: ذهبت. يقال: سلوت عنه و سليت إذا طابت نفسك بتركه. قال رؤية:

لو أشرب السّلوان ما سليت

/و العمايات: الجهالات. عدّ الجهل عمي. و الصّبا: اللعب. قال ابن السّكّيت: صبا يصبو صبوا و صبوا(2) و صباء و صبا. انجل: انكشف. و الأمر الجليّ: المنكشف. و قوله: أنا ابن جلا أي أنا ابن المكشوف الأمر المشـهور غير المستور، و منه جلاء العروس و جلاء السيف. و قوله «فيك بأمثل» يقول: إذا جاءني الصـباح و أنا فيك فليس ذلك بأمثل، لأن الصبح قد يجيء و الليل مظلم بعد. يقول: ليس الصبح بأمثل و هو فيك، أي يريد أن يجيء منكشـفا منجليا لا سواد فيه. و لو أراد أن الصـباح فيك أمثل من الليل لقال: منك بأمثل و مثله قول حميد بن ثور في ذكر مجيء/الصبح و الليل باق:

فلما تجلّى الصبح عنها و أبصرت *** و في غبش الليل الشخوص الأباعد

غبش الليل: بقيّته. هذا قول يعقوب بن السّكّيت. «و بيضة خدر» شبّه المرأة بالبيضة لصفائها و رقّتها. «غير معجل» أي لم يعجلني أحد عما أريـده منها. و الخباء: ما كان على عمودين أو ثلاثـة. و البيت: ما كان على سـتة أعمدة إلى تسـعة. و الخيمة: من الشّعر. و قوله: «يسـرّون مقتلي»، قال الأصمعيّ: يسرّونه، و روى غيره: يشرّون بالشين المعجمة أي يظهرونه. و قال الشاعر:

فما برحوا حتى أتى اللّه نصره *** و حتى أشرّت بالأكفّ الأصابع(3)

أي أظهرت. و قـال غيرهمـا: لو يسـرّونه: من الإسـرار أي لو يسـتطيعون قتلي لأسـرّوه من الناس و قتلوني. قال أبو عبيـدة: «دارة جلجل» في الحمى، و قال ابن الكلبيّ:

/هي عنـد عين كنـدة. و يروى سـيما مخفّفة و سـيّما مشدّدة. و يقال: ربّ رجل و ربّ رجل و ربّت(4) رجـل. و من القرّاء من يقرأ رُبَمٰا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مخفّفة. و قرأ عليه رجل «ربّما» فقال له: أظنّك يعجبك الرّبّ(5).

و يروى:

فيا عجبا من رحلها المتحمّل

1- سـهام الميسر عشرة و هي: الفذ و التوأم و الضريب و يقال له الرقيب و الحلس (بالكسر) و النافس و المسبل (بضم الميم و كسر الباء) و المعلى، و ثلاثة ليس لها شيء و هي الوغد و السفيح و المنيح. قال ابن الأنباري: فأما الفذ فله سهم واحد إن فاز و على صاحبه غرم سهم أن خاب. و التوأم له سهمان أن فاز و عليه سهمان إن خاب... و هكذا على الترتيب.

2- في الأصول: «صبيا»، و التصويب عن كتب اللغة.

3- ورد هذا البيت في «اللسان» (مادة شرر) هكذا: فما برحوا حتى رأى اللّه صبرهم و حتى أشرت بالأكف المصاحف و ذكر أنه لكعب بن جعيل أو للحصـين بن الحمام المري يـذكره يوم صـفين. يريـد: و حتى نشـرت المصاحف و رفعها أصـحاب معاويـة بالأكف على أطراف

الرماح.

4- و فيها لغات أخرى غير ذلك.

5- الرب: ما يطبخ من الثمر.

أي يا عجبا لسفهي و سبابي يومئذ. و يروي:

و قد أغتدي و الطير في وكراتها

بالراء. قال أبو عبيدة: و الأكنات في الجبال كالتّماريد(1) في السهل، و الواحدة أكنة و هي الوقنات، و الواحدة أقنة، و قد وقن يقن. و قال الأصمعيّ: إذا أوى الطير إلى وكره قيل وكر يكر و وكن يكن، و يقال: إنه جاءنا و الطير وكّن ما خرجن. و المنجرد: القصير الشّعرة، و ذلك من العتق. و الأوابد: الوحش، و تأبّدت: توحّشت، و تأبّد الموضع إذا توحّش و قيد الأوابد: يعني الفرس. يقول: هو قيد لها لأنها لا تفوته كأنها مقيّدة. و الهيكل: العظيم من الخيل و من الشجر؛ و منه سمّي بيت النصارى الهيكل. و قال أبو عبيدة: يقال: قيد الأوابد و قيد الرّهان، و هو الذي كأن طريدته في قيد له إذا طلبها، و كأن مسابقه في الرّهان مقيّد. قال أبو عبيدة: و أوّل من قيّدها امرؤ القيس. و المنجرد: القصير الشّعرة الصافي الأديم. و الهيكل الذكر، و الأنثى هيكلة، و الجمع هياكل، و هو العظيم العبل الكثيف الليّن. و قوله «مكرّ مفرّ» يقول: إذا شئت أن أكرّ عليه وجدته، و كذلك إذا أردت أن أفرّ عليه أو أقبل أو أدبر. و الجلمود:

الصخرة. و وصفها بأن السيل/حطّها من عل لأنها إذا كانت في أعلى الجبل كان أصلب لها. «من عل»: من فوق.

و يقال من عل عل و من علا و من علو و من عال و من علو و من معال. و قوله «سيري و أرخى زمامه» أي هوّني عليك الأمر و لا تبالي أعقر أم سلم. «و جناك» كلّ شيء اجتنيته من قبلة و ما أشبه: ذلك هو الجنى، و هو من الإنسان مثل الجنى من الشجر أي ما اجتنى من ثمره. و المعلّل: الملهّي.

غنّى في «قفا نبك»، و «أ فاطم مهلا»، و «أغرّك» و «و ما ذرفت عيناك» معبد لحنا من الثقيل الأوّل بالسّبّابة في مجرى الوسطى. و غنّى معبد أيضا في الأوّل و الرابع من هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى. و غنّى سعيد بن جابر في الأربعة الأبيات رملا. و غنّت عريب في:

أغرّك مني أن حبّك قاتلي

و بعده شعر ليس منه و هو:

/

فلا تحرجي من سفك مهجة عاشق *** بلى فاقتلي ثم اقتلي ثم فاقتلي(2)

فلا تدعي أن تفعلي ما أردته *** بنا، ما أراك اللّه من ذاك فافعلي

و لحنها فيها خفيف رمل. و غنّى ابن محرز في «تسلّت عمايات الرجال» و بعده «ألا أيها الليل الطويل» ثاني ثقيل بالوسطى. و غنّى فيهما عبد اللّه بن العباس الرّبيعيّ ثاني ثقيل آخر بالسبّابة في مجرى البنصر. و غنّت جميلة في «تسلت عمايات الرجال» و بعده «ألا رب يوم لك» لحنا من الثقيل الأوّل عن الهشامي. و غنّت عزّة الميلاء في «تسلّت عمايات الرجال» و بعده «و يوم عقرت للعذارى مطيتي» ثقيلا أوّل آخر عن الهشاميّ. و غنّت حميدة جارية ابن تفّاحة في «و بيضة خدر» و «تجاوزت أحراسا» لحنا من الثقيل الأوّل بالوسطى. و لطويس في «قفا نبك» /و بعده «فتوضح فالمقراة» ثقيل أوّل آخر. و في «أ فاطم مهلا» و «أغرّك مني أن حبّك قاتلي» ليزيد بن الرّحال هزج. و لأبي عيسى بن الرشيد في «وفد أغتدي» و «مكرّ مفرّ» ثقيل أوّل. و لفليح في «قفا نبك» و بعده «أغرّك منّي» رمل.

1- التماريد: جمع تمراد (بالكسر) و هو برج صغير للحمام.

2- لعل صوابه: «ثمت اقتلي» لقبح اجتماع حرفي عطف متواليين.

و قيل: إن لمعبد في «و بيضة خدر» لحنا من الثقيل الأوّل، و قيل: هو لحن حميدة. و لعريب في هذين البيتين خفيف ثقيل من رواية أبي العبيس. و غنّى سلام بن الغسّال - و قيل بل عبيدة أخوه - في «و إن كنت قد ساءتك مني» و «أغرّك مني» رملا بالوسطى. و غنّى في «فقلت لها سيرى و أرخى زمامه» سعدويه بن نصر ثاني ثقيل. و غنّى في «قفا نبك» و بعده «فتوضح فالمقراة» إبراهيم الموصليّ ثقيلا أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن ابن المكّيّ. و زعم حبش أن لإسحاق فيهما ثقيلا. و غنّى في «أغرّك مني» و «و ما ذرفت» ابن سريج خفيف رمل بالوسطى من رواية ابن المكّيّ، و قيل: بل هو من منحوله. و غنّى بديح مولى ابن جعفر في «و ما ذرفت عيناك» بيتا واحدا ثقيلا أوّل مطلقا في مجرى الوسطى عن ابن المكّيّ. فجميع ما جمع في هذه المواضع مما وجد في شعر «قفا نبك» من الأغاني صحيحها و المشكوك فيه منها اثنان و عشرون لحنا: منها في الثقيل الأوّل تسعة أصوات، و في الثقيل الثاني ثلاثة أصوات، و في الرمل أربعة أصوات، و في خفيف الرمل صوتان، و في الهزج صوت، و في خفيف الثقيل ثلاثة أصوات.

4 - ذكر امرئ القيس و نسبه و أخباره

نسبه من قبل أبويه:

قال الأصمعيّ: هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور و هو كندة. و قال ابن الأعرابيّ: هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور و هو كندة. و قال محمد بن حبيب: هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الملك ابن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع(1) بن معاوية بن كندة. و قال بعض الرّواة: هو امرؤ القيس بن السّمط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور و هو كندة. و قالوا جميعا: كندة هو كندة بن عفير بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. و قال/ابن الأعرابيّ: ثور هو كندة بن مرتع بن عفير بن الحارث بن مرّة بن عديّ بن أدد ابن زيد بن عمرو بن مسمع بن عريب بن عمرو بن زيد بن كهلال.

و أمّ امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كليب و مهلهل ابني ربيعة التغلبيّين. و قال من زعم أنه امرؤ القيس بن السّمط: أمّه تملك بنت عمرو بن زبيد بن مذحج رهط عمرو بن معد يكرب. قال من ذكر هذا و أنّ أمّه تملك: قد ذكر ذلك امرؤ القيس في شعره فقال:

ألا هل أتاها و الحوادث جمّة *** بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

بيقر أي جاء العراق و الحضر. و يقال: بيقر الرجل إذا هاجر. و قال يعقوب بن السّكّيت: أمّ حجر أبي امرئ القيس أمّ قطام بنت سلمة امرأة من عنزة(2).

كنيته و لقبه:

و يكنى امرؤ القيس، على ما ذكره أبو عبيدة، أبا الحارث. و قال غيره: يكنى أبا وهب. و كان يقال له الملك الضّلّيل، و قيل له أيضا ذو القروح و إياه عنى الفرزدق بقوله:

وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا *** و أبو زيد و ذو القروح و جرول

يعني بأبي يزيد المخبّل السّعديّ، و جرول الحطيئة.

1- ضبطه الحافظ في «التبصير» كمحسن و ضبطه الصاغاني في «العباب» كمحدّث.

2- صححها الشنقيطي في نسخته: «من كندة».

مولده و منزله:

قال: و ولد ببلاد بني أسد. و قال ابن حبيب: كان ينزل المشقّر من اليمامة. و يقال: بل كان ينزل في حصن بالبحرين.

سبب تسمية آبائه بأسمائهم:

و قال جميع من ذكرنا من الرّواة: إنما سمّي كندة لأنه كند أباه أي عقّه. و سمّي مرتع بذلك لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مرتعا له و لماشيته. و سمّي حجر آكل المرار بذلك لأنه لما أتاه الخبر بأن الحارث بن جبلة كان نائما في حجر امرأته هند و هي تفليه جعل يأكل المرار (و هو نبت شديد المرارة) من الغيظ و هو لا يدري. و يقال: بل قالت هند للحارث و قد سألها: ما ترين حجرا فاعلا؟ قالت: كأنّك به قد أدركك في الخيل و هو كأنه بعير قد أكل المرار.

قال: و سمّي عمرو المقصور لأنه قد قصر(1) على ملك أبيه أي أقعد فيه كرها.

قصة جده الحارث بن عمرو مع قباذ و ابنه أنوشروان:

أخبرني بخبره، على ما قد سقته و نظمته، أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة و لم يتجاوزه، و روى بعضه عن عليّ بن الصّبّاح عن هشام بن الكلبيّ، و أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد عن عليّ بن الصّبّاح عن هشام بن الكلبيّ، قال ابن أبي سعد و أخبرني دارم بن عقال بن حبيب الغسّانيّ أحد ولد السّموءل بن عادياء عن أشياخه، و أخبرنا إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة، و أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ/قال حدّثني عمّي يوسف عن عمه إسماعيل، و أضفت إلى ذلك رواية ابن الكلبيّ مما لم أسمعه من أحد و رواية الهيثم بن عديّ و يعقوب بن السّكّيت و الأثرم و غيرهم، لما في ذلك من الاختلاف، و نسبت رواية كلّ راو إذا خالف رواية غيره إليه، قالوا:

كان عمرو بن حجر و هو المقصور ملكا بعد أبيه، و كان أخوه معاوية و هو الجون(2) على اليمامة، و أمّهما شعبة بنت أبي معاهر بن حسان بن عمرو بن تبّع. و لما مات ملك بعده ابنه الحارث، و كان شديد الملك بعيد الصّيت. و لما ملك قباذ بن فيروز خرج في أيام ملكه رجل يقال له مزدك فدعا الناس إلى الزندقة و إباحة الحرم و ألاّ يمنع أحد منهم أخاه/ما يريده من ذلك. و كان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملا على الحيرة و نواحيها. فدعاه قباذ إلى الدخول معه في ذلك فأبى. فدعا الحارث بن عمرو فأجابه؛ فشدّد له ملكه و أطرد(3) المنذر عن مملكته و غلب على ملكه. و كانت أمّ أنوشروان بين يدي قباذ يوما، فدخل عليه مزدك. فلما رأى أمّ أنوشروان قال القباذ: ادفعها لي لأقضي حاجتي منها؛ فقال: دونكها. فوثب إليه أنوشروان فلم يزل يسأله و يضرع إليه أن يهب له أمّه حتى قبّل رجله فتركها له؛ فكانت تلك في نفسه. فهلك قباذ على تلك الحال، و ملك أنوشروان فجلس في مجلس الملك.

و بلغ المنذر هلاك قباذ فأقبل إلى أنوشروان و قد علم خلافه على أبيه فيما كانوا دخلوا فيه. فأذن أنوشروان للناس، فدخل عليه مزدك ثم دخل عليه المنذر. فقال أنوشروان: إني كنت تمنّيت أمنيّتين أرجو أن يكون اللّه قد جمعهما

1- في الأصول: «اقتصر».

2- كذا في «شرح القاموس» و نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. و في الأصول: «الجوف» بالفاء و هو تحريف.

3- أي أمر بطرده.

لي. فقال مزدك: و ما هما أيها الملك؟ قال: تمنّيت أن أملك فاستعمل هذا الرجل الشريف (يعني المنذر) و أن أقتل هؤلاء الزنادقة. فقال له مزدك: أو تستطيع أن تقتل/الناس كلّهم؟! قال: إنك لها هنا يا ابن الزانية! و اللّه ما ذهب نتن ريح جوربك من أنفي منذ قبّلت رجلك إلى يومي هذا! و أمر به فقتل و صلب، و أمر بقتل الزنادقة فقتل منهم ما بين جازر(1) إلى النّهروان إلى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق و صلبهم؛ و سمّي يومئذ أنوشروان. و طلب أنوشروان الحارث بن عمرو؛ فبلغه ذلك و هو بالأنبار، و كان بها منزله - و إنما سمّيت الأنبار لأنه كان يكون بها أهراء(2) الطعام و هي الأنابير - فخرج هاربا في هجائنه و ماله و ولده فمرّ بالثّويّة(3)؛ و تبعه المنذر بالخيل من تغلب و بهراء(4) و إياد، فلحق بأرض كلب(5) فنجا، و انتهبوا ماله و هجائنه. و أخذت بنو تغلب ثمانية و أربعين نفسا من بني آكل المرار؛ فقدم بهم على المنذر فضرب رقابهم بحفر الأملاك في ديار بني مرينا(6) العباديّين بين دير هند و الكوفة.

فذلك قول عمرو بن كلثوم:

فآبوا بالنّهاب و السّبايا *** و أبنا بالملوك مصفّدينا

و فيهم يقول امرؤ القيس:

ملوك من بني حجر بن عمرو *** يساقون العشيّة يقتلونا

فلو في يوم معركة أصيبوا *** و لكن في ديار بني مرينا

و لم تغسل جماجمهم بغسل(7) *** و لكن في الدماء مرمّلينا(8)

تظلّ الطير عاكفة عليهم *** و تنتزع الحواجب و العيونا

/قالوا: و مضى الحارث فأقام بأرض كلب. فكلب يزعمون أنهم قتلوه. و علماء كندة تزعم أنه خرج إلى الصيد فألظّ(9) بتيس من الظّباء فأعجزه، فآلى أليّة ألاّ يأكل أوّلا إلا من كبده. فطلبته الخيل ثلاثا فأتي بعد ثالثة و قد هلك جوعا، فشوي له بطنه، فتناول فلذة من كبده فأكلها حارّة فمات. و في ذلك يقول الوليد بن عديّ الكنديّ في أحد بني بجيلة:

فشووا فكان شواؤهم خبطا له *** إن المنيّة لا تجلّ جليلا

/و زعم ابن قتيبة أن أهل اليمن يزعمون أن قباذ بن فيروز لم يملّك الحارث بن عمرو و أن تبّعا الأخير هو الذي

1- كذا في «معجم البلدان» لياقوت. و جازر: قرية من نواحي النهروان. و في أ، م: «جاذر» بالذال المعجمة. و في سائر الأصول: «حاذر» بالحاء المهملة و هو تحريف. و النهروان: ثلاث، أعلى و أوسط و أسفل، و هي كورة واسعة بين واسط و بغداد من الجانب الشرقي.

2- كذا في «نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. و الأهراء: الأكوام. و في الأصول: «إهداء الطعام» بالدال و هو تحريف.

3- الثوية: موضع قريب من الكوفة، و قيل بالكوفة.

4- بهراء: قبيلة باليمن.

5- كذا في أ، م، و هو موضع بين قومس و الري. و في سائر الأصول: «أرض كليب» و هو تحريف.

6- بنو مرينا: قوم من أهل الحيرة.

7- الغسل: ما يغسل به الرأس من خطمي و طين و أشنان و نحوه.

8- مرملين: ملطخين.

9- ألظ به: لزمه و ألح عليه ليصطاده.

ملّكه. قال: و لما أقبل المنذر(1) إلى الحيرة هرب الحارث و تبعته خيل فقتلت ابنه عمرا و قتلوا ابنه مالكا بهيت(2).

و صار الحارث إلى مسحلان(3) فقتلته كلب. و زعم غير ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه.

الحارث بن عمرو و تمليكه أولاده على قبائل العرب:

و قال الهيثم بن عديّ حدّثني حمّاد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد عن سعية(4) بن عريض من يهود تيماء قال: لمّا قتل الحارث بن أبي شمر الغسّانيّ عمرو بن حجر ملّك بعده ابنه الحارث بن عمرو، و أمّه بنت عوف بن محلّم بن ذهل بن شيبان و نزل الحيرة. فلما تفاسدت القبائل من نزار أتاه أشرافهم فقالوا: إنّا في دينك و نحن نخاف أن تنفانى فيما يحدث بيننا، فوجّه معنا بنيك ينزلون فينا فيكفّون بعضنا عن بعض. ففرّق ولده في قبائل العرب، فملّك ابنه حجرا على بني أسد و غطفان/و ملّك ابنه شرحبيل قتيل يوم الكلاب(5) على بكر بن وائل بأسرها و بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم(6) و الرّباب. و ملّك ابنه معد يكرب و هو غلفاء(7) (سمّي بذلك لأنه كان يغلّف رأسه) على بني تغلب و النّمر بن قاسط و سعد بن زيد مناة و طوائف من بني دارم [ابن مالك] بن حنظلة و الصنائع و هم بنو رقيّة قوم كانوا يكونون مع الملوك من شذّاذ العرب. و ملّك ابنه عبد اللّه على عبد القيس، و ملّك ابنه سلمة على قيس.

مقتل حجر أبي امرئ القيس:

و قال ابن الكلبيّ حدّثني أبي: أنّ حجرا كان في بني أسد، و كانت له عليهم إتاوة في كل سنة مؤقّتة؛ فغبر(8)

1- كذا في ج و هو المناسب لما سبق في هذه القصة. و في سائر الأصول: «من الحيرة» و هو تحريف.

2- هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار.

3- مسحلان: موضع.

4- هو أخو السموأل.

5- الكلاب (بضم أوله): اسم ماء بين الكوفة و البصرة، و قيل ماء بين جبلة و شمام. و كان للعرب يومان مشهوران بيوم الكلاب. فأمّا الأول فإن الحارث بن عمرو فرق أولاده على القبائل ملوكا كما ذكر المؤلف؛ فلما مات تداعت القبائل و تحزبت فوقعت حرب بين ولديه شرحبيل و أصحابه، و سلمة و أصحابه، فقتل شرحبيل يومئذ. و قد أشار إليه امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها: أرانا موضعين لحتم غيب و نسحر بالطعام و بالشراب فقال: و أعلم أنني عما قليل سأنشب في شبا ظفر و ناب كما لاقى أبي حجر و جدّي و لا أنسى قتيلا في الكلاب و أما الكلاب الثاني فكان بين بني سعد و الرباب، و بين بني الحارث بن كعب و قبائل اليمن، قتل فيه عبد يغوث بن صلاة الحارثي بعد أن أسر، و قال و هو مأسور قصيدته المشهورة التي مطلعها: أيا راكبا إما عرضت فبلغن نداماي من نجران أن لا تلاقيا (راجع «معجم البلدان» لياقوت).

6- في ب، س، ح: «... و بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة و طوائف من بني دارم بن تميم» بزيادة «و طوائف من بني دارم» و اعلم عليها في ح بالمداد الأحمر كأنه ترميج لها.

7- كذا في نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه و «اللسان» (مادة غلف) و «معجم البلدان» (في الكلام على الكلاب). و في الأصول: «غلفى». و غلف رأسه: لطخه بالمسك.

8- غبر: لبث و بقي و في الأصول: «فعمر».

ذلك دهرا. ثم بعث إليهم جابيه الـذي كان يجبيهم، فمنعوه ذلك - و حجر يومئـذ بتهامة - و ضـربوا رسـله و ضـرجوهم(1) ضرجا شديدا قبيحا. فبلغ ذلك حجرا؛ فسار إليهم بجنـد من ربيعـة و جند من جند أخيه من قيس و كنانة، فأتاهم/و أخذ سـراتهم، فجعل يقتّلهم بالعصا - فسـمّوا عبيد العصا - و أباح الأموال، و صيّرهم إلى تهامة، و إلى باللّه ألاّ يساكنوهم في بلد أبدا، و حبس منهم عمرو بن مسعود بن كندة(2) بن فزارة الأسديّ و كان سيّدا، و عبيد بن الأبرص الشاعر. فسارت بنو أسد ثلاثا. ثم إنّ عبيد بن الأبرص قام فقال: أيّها الملك اسمع مقالتي:

يا عين(3) فابكي ما بني *** أسد فهم أهل النّدامه

أهل القباب الحمر و النّ *** عم المؤبّل(4) و المدامة

و ذوي الجياد الجرد و الأسل المثقّفة المقامة حلاّ(5) أبيت اللّعن حلاّ إنّ فيما قلت آمه

في كلّ واد بين يث *** رب فالقصور إلى اليمامه

تطريب عان أو صيا *** ح محرّق أو صوت هامه

و منعتهم نجدا فقد *** حلّوا على وجل تهامه

برمت بنو أسد كما *** برمت ببيضتها الحمامه

جعلت لها عودين من *** نشيم(6) و آخر من ثمامه

إمّا تركت تركت عف *** وا أو قتلت فلا ملامه

/أنت المليك عليهم *** و هم العبيد إلى القيامه

ذلّوا لسوطك مثل ما *** ذلّ الأشيقر(7) ذو الخزامة

/قال: فرقّ لهم حجر حين سمع قوله، فبعث في أثرهم فأقبلوا. حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم، و هو عوف بن ربيعة بن سوادة(8) بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، فقال لبني أسد:

يـا عبـادي! قـالوا: لبّيـك ربّنـا. قال: من الملك الأصـهب، الغلاّب غير المغلّب، في الإبل كأنها الزّبرب، لا يعلق رأسه الصّـخب، هـذا دمه ينثعب(9)، و هذا غدا أوّل من يسلب. قالوا: من هو يا ربّنا؟ قال: لو لا أن تجيش نفس جاشية،

1- ضرجه: أدماه أي جعل دمه يسيل من الضرب.

2- في ح و «تجريد الأغاني»: «ابن كلدة».

3- في «كتاب الشعر و الشعراء»: «يا عين ما خابكي بني... إلخ».

4- المؤبل: المقتنى.

5- حلا أي تحلل من يمينك. و الآمة: العيب.

6- النشم: شجر جبلي تتخذ منه القسيّ. و الثمامة: نبت بالبادية.

7- الأشيقر: تصغير الأشقر و هو الأحمر من الدواب. و الخزامة: حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يشد بها الزمام فإن كانت من صفر فهي برة. و في الأصول: «الحزامة» بالحاء المهملة و هو تصحيف.

8- في ج: سواءة».

9- كذا في «تجريد الأغاني» و انثعب الدم: جرى. و في ب، س: «يتشعب». و في سائر الأصول: «ينشعب» و هما تحريف.

لأخبرتكم أنه حجر ضاحية. فركبوا كلّ صعب و ذلول، فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حجر فهجموا على قبّته. و كان حجّابه من بني الحارث بن سعد يقال لهم بنو خدّان بن خنثر منهم معاوية بن الحارث و شبيب و رقيّة و مالك و حبيب، و كان حجر قد أعتق أباهم من القتل. فلمّا نظروا إلى القوم يريدون قتله خيّموا عليه ليمنعوه و يجيروه. فأقبل عليهم علباء بن الحارث الكاهليّ، و كان حجر قد قتل أباه، فطعنه من خللهم فأصاب نساه فقتله.

فلما قتلوه قالت بنو أسد: يا معشر كنانة و قيس، أنتم إخواننا و بنو عمّنا، و الرجل بعيد النسب منّا و منكم، و قد رأيتم ما كان يصنع بكم هو و قومه. فانتهبوهم فشدّوا على هجائنه فمزّقوها و لفّوه في ريطة بيضاء و طرحوه على ظهر الطريق. فلمّا رأته قيس و كنانة انتهبوا أسلابه. و وثب عمرو بن مسعود فضمّ عياله و قال: أنا لهم جار قال ابن الكلبيّ: و عدّة قبائل من بني أسد يدّعون قتل حجر و يقولون: إنّ علباء كان الساعي في قتله و صاحب المشورة و لم يقتله هو.

قال ابن حبيب: خدّان في بني أسد و خدّان في بني تميم و في بني جديلة بالخاء مفتوحة، و خدّان مضمومة في الأزد، و ليس في العرب غير هؤلاء.

/قال أبو عمرو الشّيبانيّ: بل كان حجر لمّا خاف من بني أسد استجار عوير بن شجنة أحد بني عطارد بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم لبنته هند بنت حجر و عياله. و قال لبني أسد لمّا كثروه: أمّا إذا كان هذا شأنكم فإني مرتحل عنكم و مخلّيكم و شأنكم؛ فواعدوه على ذلك. و مال على خالد بن خدّان أحد بني سعد بن ثعلبة.

فأدركه علباء بن الحارث أحد بني كاهل فقال: يا خالد اقتل صاحبك لا يفلت فيعرّك(1) و إيّانا بشرّ، فامتنع خالد.

و مرّ علباء بقصدة(2) رمح مكسورة فيها سنانها، فطعن بها في خاصرة حجر و هو غافل فقتله. ففي ذلك يقول الأسديّ:

و قصدة علباء بن قيس بن كاهل *** منيّة حجر في جوار ابن خدّان

و ذكر الهيثم بن عديّ أنّ حجرا لمّا استجار عوير بن شجنة لبنيه و قطينه(3) تحوّل عنهم فأقام في قومه مدّة، و جمع لبني أسد جمعا عظيما من قومه و أقبل مدلاّ بمن معه من الجنود. فتآمرت بنو أسد بينها و قالوا: و اللّه لئن قهركم هذا ليحكمنّ عليكم حكم الصبيّ! فما خير عيش يكون بعد قهر و أنتم بحمد اللّه أشدّ العرب! فموتوا كراما.

فساروا إلى حجر و قد/ارتحل نحوهم فلقوه فاقتتلوا قتالا شديدا. و كان صاحب أمرهم علباء بن الحارث، فحمل على حجر فطعنه فقتله، و انهزمت كندة و فيهم يومئذ امرؤ القيس فهرب على فرس له شقراء و أعجزهم، و أسروا من أهل بيته رجالا و قتلوا و ملئوا أيديهم من الغنائم، و أخذوا جواري حجر و نساءه و ما كان معه من شيء فاقتسموه بينهم.

و قال يعقوب بن السّكّيت حدّثني خالد الكربيّ قال: كان سبب قتل حجر أنه كان وفد إلى أبيه الحارث بن عمرو في مرضه الذي مات فيه و أقام عنده حتى هلك، ثم أقبل راجعا إلى بني أسد و قد كان أغار عليهم في النّساء و أساء ولايتهم، و كان يقدّم/بعض ثقله أمامه و يهيّأ نزله ثم يجيء و قد هيّئ له من ذلك ما يعجبه فينزل، و يقدّم مثل ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فيضرب له في المنزلة الأخرى. فلما دنا من بلاد بني أسد و قد بلغهم موت أبيه

1- عرّ فلان فلانا بشر: أصابه به.

2- القصدة: القطعة.

3- القطين هنا: الخدم و الحاشية.

طمعوا فيه. فلما أظلّهم و ضربت قبابه اجتمعت بنو أسد إلى نوفل بن ربيعة بن خدّان، فقال: يا بني أسد! من يتلقّى هذا الرجل منكم فيقتطعه؟ فإني قد أجمعت على الفتك به. فقال له القوم: ما لذلك أحد غيرك. فخرج نوفل في خيله حتى أغار على الثّقل فقتل من وجد فيه، و ساق الثّقل و أصاب جاريتين قينتين لحجر، ثم أقبل حتى أتى قومه. فلما رأوا ما قد حدث و أتاهم به عرفوا أن حجرا يقاتلهم و أنه لا بدّ من القتال، فحشد الناس لذلك، و بلغ حجرا أمرهم، فأقبل نحوهم. فلما غشيهم ناهضوه القتال و هم بين أبرقين من الرمل في بلادهم يدعيان اليوم أبرقي حجر، فلم يلبثوا حجرا أن هزموا أصحابه و أسروه فحبسوه. و تشاور(1) القوم في قتله، فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حبسوه ليروا فيه رأيهم: أيّ قوم! لا تعجلوا بقتل الرجل حتّى أزجر لكم. فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله.

فلمّا رأى ذلك علباء خشي أن يتواكلوا في قتله؛ فدعا غلاما من بني كاهل، و كان ابن أخته و كان حجر قتل أباه زوج أخت علباء، فقال: يا بنيّ، أعندك خير فتثأر بأبيك و تنال شرف الدهر و إنّ قومك لن يقتلوك؟!. فلم يزل بالغلام حتى حرّبه(2)، و دفع إليه حديدة و قد شحذها و قال: أدخل عليه مع قومك ثم اطعنه في مقتله: فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها ثم دخل على حجر في قبّته التي حبس فيها. فلمّا رأى الغلام غفلة وثب عليه فقتله، فوثب القوم على الغلام. فقالت بنو كاهل: ثأرنا و في أيدينا. فقال الغلام: إنما ثأرت بأبي، فخلّوا عنه. و أقبل كاهنهم المزدجر فقال: أي قوم! قتلتموه! ملك شهر، و ذلّ دهر. أما و اللّه لا تحظون عند الملوك بعده أبدا.

وصيته لبنيه عند موته:

قال ابن السّكّيت: و لما طعن الأسديّ حجرا و لم يجهز عليه، أوصى و دفع كتابه إلى رجل و قال له: انطلق إلى ابني نافع - و كان أكبر ولده - فإن بكى و جزع فاله عنه، و استقرهم واحدا واحدا حتى تأتي امرأ القيس - و كان أصغرهم - فأيّهم لم يجزع فادفع إليه سلاحي و خيلي و قدوري و وصيّتي. و قد كان بيّن في وصيّته من قتله و كيف كان خبره. فانطلق الرجل بوصيّته إلى نافع ابنه: فأخذ التراب فوضعه على رأسه. ثم استقراهم واحدا واحدا فكلّهم فعل ذلك، حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر و يلاعبه بالنّرد؛ فقال له: قتل حجر. فلم يلتفت إلى قوله، و أمسك نديمه. فقال له امرؤ القيس: /اضرب فضرب. حتى إذا فرغ قال: ما كنت لأفسد عليك دستك. ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كلّه فأخبره. فقال: الخمر عليّ و النساء حرام حتى أقتل من بني أسد مائة و أجزّ نواصي(3)مائة. و في ذلك يقول:

أرقت و لم يأرق لما بي نافع *** و هاج لي الشوق الهموم الروادع

و قال ابن الكلبيّ: حدّثني أبي عن ابن الكاهن الأسديّ: أنّ حجرا كان طرد امرأ القيس و آلى ألاّ يقيم معه أنفة من قوله الشعر، و كانت الملوك تأنف من ذلك، فكان يسير في أحياء العرب و معه أخلاط من شذّاذ العرب من طيّئ و كلب و بكر بن وائل، فإذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم، و خرج إلى الصيد فتصيّد ثم عاد فأكل و أكلوا معه و شرب الخمر و سقاهم و غنّته قيانه. و لا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ثم

1- في الأصول: «و شاور القوم».

2- حربه: حرشه.

3- يريد: حتى أقتل منهم مائة و آسر مائة. و كان من عادات العرب أنه إذا أسر الرجل منهم آخر و أراد أن يمن عليه جز ناصيته (و هي الشعر في مقدّم الرأس) و أطلقه، فتكون الناصية عنده فخرا.

ينتقل عنه إلى غيره. فأتاه خبر أبيه و مقتله و هو بدمّون من أرض اليمن، أتاه به رجل من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصّاف. فلما أتاه بذلك قال:

/

تطاول الليل على دمّون *** دمّون إنّا معشر يمانون

و إنّنا(1) لأهلها محبّون

ثم قال: ضيّعني صغيرا و حمّلني دمه كبيرا. لا صحو اليوم و لا سكر غدا. «اليوم خمر، و غدا أمر» فذهبت مثلا. ثم قال:

خليليّ لا في اليوم مصحى لشارب *** و لا في غد إذ ذاك ما كان يشرب

ثم شرب سبعا. فلمّا صحا آلى ألا يأكل لحما، و لا يشرب خمرا، و لا يدّهن بدهن، و لا يصيب امرأة، و لا يغسل رأسه من جنابة، حتى يدرك بثاره. فلما جنّة الليل رأى برقا فقال:

أرقت لبرق بليل أهلّ *** يضيء سناه بأعلى الجبل

أتاني حديث فكذّبته *** بأمر تزعزع منه القلل

بقتل بني أسد ربّهم *** ألا كلّ شيء سواه جلل(2)

فأين ربيعة عن ربّها *** و أين تميم و أين الخول

أ لا يحضرون لدي بابه *** كما يحضرون إذا ما أكل

و روى الهيثم عن أصحابه أنّ امرأ القيس لمّا قتل أبوه كان غلاما قد ترعرع، و كان في بني حنظلة مقيما لأنّ ظئرة كانت امرأة منهم. فلما بلغه ذلك قال:

يا لهف هند إذ خطئن(3) كاهلا *** القاتلين الملك الحلاحلا(4)

/تاللّه لا يذهب شيخي باطلا *** يا خير شيخ حسبا و نائلا

و خيرهم – قد علموا – فواضلا(5) *** يحملننا و الأسل النّواهلا

و حيّ صعب و الوشيج الذّابلا *** مستثفرات بالحصى جوافلا(6)

1- كذا في شرح «القاموس» (مادة دمن) و «معجم البلدان» لياقوت: و في الأصول: «و إنما لأهلها محبون».

2- جلل: هاهنا بمعنى هين.

3- كذا في «ديوانه» و نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. و خطئ هاهنا بمعنى أخطأ. و كاهل أبو فخذ من بني أسد، و هو كاهل بن دودان بن أسد بن خزيمة. (راجع «ديوان امرئ القيس» ص 78 نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم 15 أدب ش. و في الأصول: «حظين» بالحاء المهملة و الظاء المعجمة.

4- الحلاحل: السيد الكريم. و قد ورد هذا الرجز في نسخ «ديوانه» مختلفا في ترتيب شطراته. و يريد بالضمير في خطئن الخيل و بالقاتلين بني أسد.

5- ورد بدل هذا الشطر في إحدى نسخ «الديوان» قوله: نحن جلبنا القرح القوافلا و القرح: (بضم القاف و تشديد الراء مفتوحة) جمع قارح، و هو من الخيل ما كان في الخامسة من سنه. و القوافل: الضوامر.

6- جوافل: مسرعات، يقال: جفل و أجفل إذا أسرع.

يعني صعب بن عليّ بن بكر بن وائل. معنى قوله «مستثفرات بالحصى»: يريد أنها أثارت الحصى بحوافرها لشدّة جريها حتى ارتفع إلى أثفارها(1) فكأنها استثفرت به.

هند بنت حجر يجيرها عوير بن شجنة:

و قال/الهيثم بن عديّ: لمّا قتل حجر انحازت بنته و قطينه إلى عوير بن شجنة. فقال له قومه: كل أموالهم فإنهم مأكولون، فأبى. فلما كان الليل حمل هندا و قطينها و أخذ بخطام جملها و أشأم بهم في ليلة طخياء مدلهمّة.

فلما أضاء البرق أبدى عن ساقيه و كانت حمشتين(2). فقالت هند: ما رأيت كالليلة ساقي واف. فسمعها فقال يا هند: هما ساقا غدر شرّ. فرمى بها النّجاد حتى أطلعها نجران، و قال لها: إني لست أغني عنك شيئا وراء هذا الموضع، و هؤلاء قومك، و قد برئت خفارتي. فمدحه امرؤ القيس بعدّة قصائد، منها قوله في قصيدة له:

ألا إنّ قوما كنتم أمس دونهم *** هم منعوا جاراتكم آل غدران(3)

عوير و من مثل العوير و رهطه *** أبرّ بميثاق و أوفى بجيران

هم أبلغوا الحيّ المضيّع أهله *** و ساروا بهم بين الفرات و نجران

/و قوله:

ألا قبح اللّه البراجم كلّها *** و جدّع يربوعا و عفّر دارما

فما فعلوا فعل العوير و رهطه *** لدى باب حجر إذ تجرّد قائما

و قال ابن قتيبة في خبره: إنّ القصة المذكورة عن عوير كانت مع أبي حنبل و جارية ابن مرّ. قال و يقال: بل كانت مع عامر بن جوين الطائيّ و إن ابنته أشارت عليه بأخذ مال حجر و عياله، فقام و دخل الوادي ثم صاح: ألا إنّ عامر بن جوين وفى، فأجابه الصّدى بمثل قوله، فقال: ما «أحسن هذا! ثم دعا ابنته بجذعة(4) من غنم فاحتلبها و شرب و استلقى على قفاه و قال:

و اللّه لا أغدر ما أجزأتني جذعة. ثم نهض و كانت ساقاه حمشتين، فقالت ابنته: و اللّه ما رأيت كاليوم ساقي واف.

فقال: و كيف بهما إذا كانتا ساقي غادر! هما و اللّه حينئذ أقبح.

امرؤ القيس يستعدي بكرا و تغلب على بني أسد:

و قال ابن الكلبيّ عن أبيه و يعقوب بن السّكّيت عن خالد الكلابيّ:

إن امرأ القيس ارتحل حتى نزل بكرا و تغلب، فسألهم النصر على بني أسد. فبعث العيون على بني أسد فنذروا(5) بالعيون و لجئوا إلى بني كنانة. و كان الذي أنذرهم بهم علباء بن الحارث. فلما كان الليل قال لهم علباء:

1- الأثفار: جمع ثفر (بالتحريك) و هو السير الذي في مؤخرة السرج تحت ذنب الدابة. و أما الثفر (بفتح فسكون و بضم فسكون) فهو لجميع ضروب السباع و لكل ذات مخلب كالحياء للناقة.

2- حمشتين: دقيقتين.

3- آل غدران (بالضم): بطن من العرب.

4- الجذعة: الفتية.

5- نذروا: علموا فحذروا.

يا معشـر بني أسـد تعلمون! و اللّه إنّ عيون امرئ القيس قـد أتتكم و رجعت إليه بخبركم، فارحلوا بليل و لا تعلموا بني كنانة، ففعلوا. و أقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر و تغلب حتى انتهى إلى بني كنانـة و هو يحسـبهم بني أسـد فوضع السّلاح فيهم و قـال: يـا لثارات الملك! يا لثارات الهمام! فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت: أبيت اللّعن! لسنا لك بثأر، /نحن من كنانة، فدونك ثأرك فاطلبهم فإن القوم قد شاروا بالأمس. فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم تلك - فقال في ذلك:

أ لا يا لهف هند إثر قوم *** هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم جدّهم(1) ببني أبيهم *** و بالأشقين ما كان العقاب

و أفلتهنّ علباء جريضا(2) *** و لو أدركنه صفر الوطاب

يعني ببني أبيهم(3) بني كنانة، لأن أسدا و كنانة ابني خزيمة أخوان.

أخبرني أبو خليفة عن محمد/بن سلاّم قال:

سمعت رجلا سأل يونس عن قوله «صـفر الوطاب»، فقال: سألنا رؤبـة عنه فقال: لو أدركوه قتلوه و ساقوا إبله فصـفرت و طابه من اللّبن. و قال غيره: صفر الوطاب أي إنه كان يقتل فيكون جسمه صفرا من دمه كما يكون الوطاب صفرا من اللّبن.

[و أدركهم(4)] ظهرا و قد تقطّعت خيله و قطع أعناقهم العطش، و بنو أسد جامّون(5) على الماء، فنهد إليهم فقاتلهم حتى كثرت الجرحى و القتلى فيهم، و حجز اللّيل بينهم، و هربت بنو أسـد. فلما أصـبحت بكر و تغلب أبوا أن يتّبعوهم و قالوا له: قد أصـبت ثأرك. قال: و اللّه ما فعلت و لا أصبت من بني كاهل و لا من غيرهم/من بني أسد أحدا. قالوا: بلى، و لكنك رجل مشئوم. و كرهوا قتالهم بني كنانة(6) و انصرفوا عنه. و مضى هاربا لوجهه حتى لحق بحمير.

يلجأ إلى عمرو بن المنذر:

و قال ابن السّكّيت حدّثني خالد الكلابيّ: أن امرأ القيس لمّا أقبل من الحرب على فرسه الشّقراء لجأ إلى ابن عمّته عمرو بن المنذر - و أمّه هنـد بنت عمرو بن حجر بن آكل المرار، و ذلك بعـد قتل أبيه و أعمامه و تفرّق ملك أهل بيته، و كان عمرو يومئـذ خليفة لأبيه المنذر ببقّة و هي بين الأنبار و هيت - فمدحه و ذكر صهره و رحمه و أنه قد تعلّق بحباله و لجأ إليه. فأجاره، و مكث عنده زمانا. ثم بلغ المنذر مكانه عنده فطلبه، و أنذره عمرو فهرب حتى أتى حمير.

1- الجد: الحظ. و الأشقين: جمع أشقى، أي وقى بني أسد حظهم إذ وقع العقاب بالأشقين بني أبيهم و هم كنانة.

2- أفلتهنّ جريضا أي أفلتهنّ بعد جهد و مشقة. و الأصل في الجرض: الغصص بالريق. و ظاهر أن مرجع الضمير في «أفلتهن» و «أدركنه» الخيل التي كروا بها عليهم.

3- في الأصول: يعني بأبيهم بني كنانة» و هو غير مستقيم.

4- التكملة عن «تجريد الأغاني».

5- كـذا في أ، م: و جامون: مجتمعون مستريحون. و في «تجريـد الأغاني»: «جاثمون». و في سائر الأصول: «حامون» بالحاء المهملـة، و هو تصحيف.

6- أظن أن صوابه: «بني أسد».

يستنصر أزدشنوءة:

و قال ابن الكلبيّ و الهيثم بن عديّ و عمر بن شبّة و ابن قتيبة:

فلمّا امتنعت بكر بن وائل و تغلب من اتّباع بني أسد خرج من فوره ذلك إلى اليمن فاستنصر أزدشنوءة، فأبوا أن ينصروه و قالوا: إخواننا و جيراننا.

و مرثد الخير الحميري:

فنزل بقيل يدعى مرثد الخير بن ذي جدن الحميريّ، و كانت بينهما قرابة، فاستنصره و استمدّه على بني أسد، فأمدّه بخمسمائة رجل من حمير؛ و مات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم.

و قرمل بن الحميم:

و قام بالمملكة بعده رجل من حمير يقال له قرمل بن الحميم و كانت أمّه سوداء، فردّد امرأ القيس و طوّل عليه حتى همّ بالانصراف و قال:

و إذ نحن ندعو مرثد الخير ربّنا *** و إذ نحن لا ندعى عبيدا لقرمل

فأنفذ له ذلك الجيش؛ و تبعه شذّاذ من العرب، و استأجر من قبائل العرب رجالا، فسار بهم إلى بني أسد.

و مرّ بتبالة(1) و بها صنم للعرب تعظّمه يقال له/ذو الخلصة(2)؛ فاستقسم(3) عنده بقداحة و هي ثلاثة الآمر و الناهي و المتربّص، فأجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، فجمعها و كسرها و ضرب بها وجه الصنم و قال: مصصت بظر أمّك! لو أبوك قتل ما عقتني. ثم خرج فظفر ببني أسد. و يقال: إنه ما استقسم عند ذي الخلصة بعد ذلك بقدح حتى جاء أمر اللّه بالإسلام و هدمه جرير بن عبد اللّه البجليّ.

طلبه المنذر فهرب و نزل بالحارث بن شهاب:

قالوا: و ألحّ المنذر في طلب امرئ القيس و وجّه الجيوش في طلبه من إياد و بهراء و تنوخ و لم تكن لهم طاقة، و أمدّه أنوشروان بجيش من الأساورة فسرّحهم في طلبه. و تفرّقت حمير و من كان معه عنه. فنجا في عصبة من بني آكل المرار حتى نزل بالحارث بن شهاب من بني يربوع بن حنظلة، و مع امرئ القيس أدراع خمسة: الفضفاضة و الضيافة و المحصّنة و الخربق(4) و أمّ الذيول كنّ لبني آكل المرار يتوارثونها ملكا عن/ملك. فقلّما لبثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث إليه المنذر مائة من أصحابه يوعده بالحرب إن لم يسلم إليه بني آكل المرار فأسلمهم؛ و نجا امرؤ القيس و معه يزيد بن معاوية بن الحارث و بنته هند (بنت امرئ القيس) و الأدرع و السلاح و مال كان بقي معه، فخرج على وجهه حتى وقع في أرض طيّئ.

ثم نزل على سعد بن الضباب الإيادي:

و قيل: بل نزل قبلهم(5) على سعد بن الضّباب الإياديّ سيّد قومه فأجاره.

1- تبالة: موضع بين مكة و اليمن على مسيرة سبع ليال من مكة.

2- ذو الخلصة: مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج، و كان سدنتها بني أمامة من باهلة بن أعصر و كانت تعظمها و تهدي لها خثعم و بجيلة و أزد السراة و من قاربهم من بطون العرب من هوازن. («الأصنام» لابن الكلبي ص 43).

3- الاستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما فقسم للمرء مما لم يقسم.

4- في أ، م: «الخريق». و في «تجريد الأغاني»: «الحريق».

5- كذا في «تجريد الأغاني»: و في الأصول: «قبله».

/قال ابن الكلبيّ: و كانت أمّ سعد بن الضّباب تحت حجر أبي امرئ القيس فطلّقها و كانت حاملا و هو لا يعرف، فتزوجها الضّباب فولدت سعدا على فراشه، فلحق نسبه به. فقال امرؤ القيس يذكر ذلك:

يفاكهنا سعد و ينعم بالنا *** و يغدو(1) علينا بالجفان و بالجزر

و نعرف فيه من أبيه شمائلا *** و من خاله و من يزيد و من حجر

سماحة ذا و برّ ذا و وفاء ذا *** و نائل ذا إذا صحا و إذا سكر

و المعلّى بن تيم:

ثم تحوّل عنه فوقع في أرض طيّئ(2) فنزل برجل من بني جديلة يقال له المعلّى بن تيم. ففي ذلك يقول:

كأنّي إذ نزلت على المعلّى *** نزلت على البواذخ من شمام(3)

فما ملك العراق على المعلّى *** بمقتدر و لا ملك الشام

أقرّ حشى امرئ القيس بن حجر *** بنو تيم مصابيح الظلام

ثم ببني نبهان:

قالوا: فلبث عنده و اتّخذ إبلاً هناك. فغدا قوم من بني جديلة يقال لهم بنو زيد فطردوا الإبل. و كانت لامرئ القيس رواحل مقيّدة عند البيوت خوفا من أن يدهمه أمر ليسبق عليهن. فخرج حينئذ فنزل ببني نبهان من طيّئ، فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جديلة، فرجعوا إليه بلا شيء. فقال في ذلك:

و أعجبني مشي الحزقّة خالد *** كمشي أتان حلّئت بالمناهل(4)

/فدع عنك نهبا صيح في حجراته(5) *** و لكن حديثا ما حديث الرّواحل

ففرّقت عليه بنو نبهان فرقا(6) من معزى يحلبها. فأنشأ يقول:

إذا ما لم تجد إبلا فمعزى *** كأن قرون جلّتها(7) العصى

1- ورد هذا الشطر في «ديوانه» هكذا: بمثنى الرقاق المترعات و بالجزر

2- في الأصول: «من أرض طيّئ» و هو تحريف. و عبارة «تجريد الأغاني»: «ثم تحول عنه فنزل بأرض طي عند رجل...».

3- شمام: اسم جبل لباهلة.

4- هذه رواية «الديوان». و الحزقة: القصير الذي يقارب الخطو. و حلئت: منعت عن الماء و طردت مرة بعد مرة. و في الأصول: عجبت له

5- الحجرات: النواحي. يقول: دع النهب الذي صاح المنتهب في نواحيه و أخذه، و حدّثني حديث الرواحل و هي الإبل التي ذهبت بها ما فعلت. (راجع «اللسان» في مادة حجر و «شرح ديوانه»).

6- الفرق: القطيع من الغنم و البقر و الظباء، و قيل: هو ما دون المائة من الغنم. و من جعل الألف في «معزى» للتأنيث منه من الصرف، و من جعلها للإلحاق صرف، و هو الأرجح.

7- الجلة: المسان (بفتح الميم و تشديد النون كبيرات السن). و يروى هذا الشطر في «ديوانه»: ألا إلا تكن إبل فمعزى

إذا ما قام حالبها أرنّت(1) *** كأن القوم صبّحهم نعيّ

فتملأ بيتنا أقطا(2) و سمنا *** و حسبك من غنّى شبع و ريّ

ثم نزل بعامر بن جوين:

فكان عنـدهم ما شاء اللّه. ثم خرج فنزل بعامر بن جوين و اتخـذ عنـده إبلا، و عامر يومئذ أحد الخلعاء الفتّاك قد تبرّأ قومه من جرائره، فكان عنده ما شاء اللّه، ثم همّ أن يغلبه على أهله و ماله، ففطن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به و هو قوله:

فكم بالصعيد(3) من هجان مؤبّلة *** تسير صحاحا ذات قيد و مرسله

أردت بها فتكا فلم أرتمض(4) له *** و نهنهت نفسي بعد ما كدت أفعله(5)

/و كان عامر أيضا يقول يعرّض بهند بنت امرئ القيس:

/

ألا حيّ هندا و أطلالها *** و تظعان هند و تحلا لها

هممت بنفسي كلّ الهموم *** فأولى لنفسي أولى لها(6)

سأحمل نفسي على آلة(7)*** فإمّا عليها و إمّا لها

هكذا روى ابن أبي سعد عن دارم بن عقال. و من الناس من يروي هذه الأبيات للخنساء في قصيدتها:

ألا ما لعيني ألا ما لها *** لقد أخضل الدمع سربالها

ثم بحارثة بن مر:

قالوا: فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه و خافه على أهله و ماله، تغفّله و انتقل إلى رجل من بني ثعل يقال له حارثة بن مرّ فاستجار به. فوقعت الحرب بين عامر و بين الثّعليّ، فكانت في ذلك أمور كثيرة. قال دارم بن عقال في خبره:

فلمّا وقعت الحرب بين طيّئ من أجله، خرج من عنـدهم فنزل برجـل من بني فزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن، فطلب منه الجوار حتى يرى ذات عيبه(8). فقال له الفزاريّ: يا ابن حجر، إني أراك في خلل من قومك و أنا أنفس(9)

1- روايـة «الـديوان» في هـذا البيت: إذا مشت حوالبهـا أرنت كـأن الحي صـبحهم نعى ببنـاء الفعل (مشت) للمجهول. و مشت حوالبها: مسحت بالكف ليدر اللبن. و الحوالب: العروق التي تدر اللبن في الضرع واحدها حالب. و أرنت: صوتت. و يحتمل أن تكون المعزى هى

المرنة، و أن يكون الإرنان صوت الشخب الذي يقع في الإناء من كثرة اللبن.

2- الأقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض مثل الجبن.

3- كذا في «تجريد الأغاني»: و في ج: «فكم من سعيد». و في سائر النسخ: «فكم بالصحيح» و هما تحريف.

4- ارتمض: حزن، أي فلم أحزن و لم آسف له. و نهته: كف.

5- نصب الفعل على تقدير «أن» أي بعد ما كدت أن أفعله، و هو شاذ.

6- أولى لك: كلمة توعد و تهديد، و قد تكون كلمة تلهف، يقولها الرجل إذا حاول شيئا فأفلته من بعد ما كاد يصيبه.

7- الآلة هنا: الحالة.

8- يريد: ينظر في أمره و يصلح من شأنه.

9- أنفس به: أضنّ به.

بمثلك من أهل الشرف، و قد كدت بالأمس تؤكل في دار طيّئ، و أهل البادية أهل برّ لا أهل حصون تمنعهم، و بينك و بين أهل اليمن ذؤبان من قيس، أ فلا أدلّك على بلد! فقد جئت قيصر و جئت النّعمان فلم أر لضيف نازل و لا لمجتد مثله و لا مثل صاحبه. قال: من هو و أين منزله؟ قال: السّموءل بتيماء، و سوف أضرب لك مثله، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذات عيبك، و هو في حصن حصين و حسب كبير. فقال له امرؤ القيس/و كيف لي به؟ قال: أوصلك إلى من يوصلك إليه؛ فصحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له الرّبيع(1) بن ضبع الفزاري ممن يأتي السموأل فيحمله و يعطيه. فلمّا صار إليه قال له الفزاريّ: إنّ السموأل يعجبه الشعر. فتعال نتناشد له أشعارا. فقال امرؤ القيس: قل حتى أقول. فقال الربيع:

قل للمنيّة أيّ حين نلتقي *** بفناء بيتك في الحضيض المزلق

و هي طويلة يقول فيها:

و لقد أتيت بني المصاص مفاخرا *** و إلى السموأل زرته بالأبلق

فأتيت أفضل من تحمّل حاجة *** إن جئته في غارم أو مرهق

عرفت له الأقوام كلّ فضيلة *** و حوى المكارم سابقا لم يسبق

قال: فقال امرؤ القيس:

طرقتك هند بعد طول تجنّب *** و هنا و لم تك قبل ذلك تطرق

و هي قصيدة طويلة، و أظنّها منحولة لأنها لا- تشاكل كلام امرئ القيس، و التوليد فيها بيّن، و ما دوّنها في «ديوانه» احد من الثّقات؛ و أحسبها مما صنعه دارم لأنه من ولد السموأل و مما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا(2).

قال فوفد الفزاريّ بامرئ القيس إليه. فلما كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرة وحشية مرميّة. فلما نظر إليها أصحابه قاموا فذكّوها. فبينما هم كذلك إذا هم بقوم قنّاصين من بني ثعل(3). فقالوا لهم: من أنتم؟ /فانتسبوا لهم، و إذا هم من جيران السموأل فانصرفوا جميعا. و قال امرؤ القيس:

/

ربّ رام من بني ثعل *** مخرج كفّيه من قتره(4)

عارض زوراء من نشم *** مع باناة على وتره(5)

- هكذا في رواية ابن دارم. و يروى «غير باناة» و «تحت باناة» -

1- في «المشتبه» أنه اختلف فيه هل هو بفتح الراء أو ضمها.

2- وردت هذه الجملة هكذا في الأصول. و لعل صوابها «أو مما صنعه من روى عنه فلم تكتب هنا».

3- ثعل: قبيلة من طيّئ.

4- القتر: جمع قترة و هي بيت الصائد الذي يكمن فيه للوحش لئلا تراه فتنفر منه.

5- يقال: عرض الرامي القوس عرضا إذا أضجعها ثم رمى عنها. و زوراء: معوجة. و النشم: شجر تتخذ منه القسي. و الرواية التي كتب عنها الشراح هي رواية «غير باناة» و الباناة لغة طيّئ في البانية كما يقولون في ناصية ناصاة و في قارية قاراة. و البانية من القسي: التي لصق و ترها بكبدها حتى كاد ينقطع و ترها في بطنها من لصوقه بها، و هو عيب. و «على» بمعنى «عن» أي غير بانية عن الوتر. و على هذا الوجه يكون «غير» بنصب الراء صفة لزوراء. و يجوز أن يكون بكسر الراء على أنه من صفة الرامي، يقال رجل باناة و هو الذي ينحني صلبه إذا رمى فيذهب سهمه على وجه الأرض، و على هذا تكون «على» هنا في موضعها.

إذ أتته الوحش واردة *** فتثنّى النزع في يسره(1)

فرماها في فرائصها *** بإزاء الحوض أو عقره(2)

برهيش(3) من كنانته *** كتلظّي الجمر في شرره

/راشه من ريش ناهضة *** ثم أمهاه على حجره(4)

فهو لا تنمي رميّته(5) *** ما له لا عدّ من نفره

طلب إلى السموأل أن يكتب له إلى الحارث ليوصله إلى قيصر:

قال: ثم مضى القوم حتى قدموا على السّموءل، فأنشده الشعر، و عرف لهم حقّهم، فأنزل المرأة في قبّة أدم و أنزل القوم في مجلس له براح؛ فكان عنده ما شاء اللّه. ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغسّانيّ بالشأم ليوصله إلى قيصر؛ فاستنجد له رجلا، و استودع(6) عنده المرأة و الأدراع و المال، و أقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمّه. فمضى حتى انتهى إلى قيصر؛ فقبله و أكرمه و كانت له عنده منزلة.

لما وصل إلى قيصر دس له عنده الطماح حتى سمه بحلة خلعها عليه:

فاندسّ رجل من بني أسد يقال له الطمّاح، و كان امرؤ القيس قد قتل أخا له من بني أسد، حتى أتى إلى بلاد الروم فأقام مستخفيا. ثم إن قيصر ضمّ إليه جيشا كثيفا و فيهم جماعة من أبناء الملوك. فلما فصل قال لقيصر قوم من أصحابه: إن العرب قوم غدر و لا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه. و قال ابن الكلبيّ: بل قال له الطمّاح: إنّ امرأ القيس غويّ عاهر و إنه لمّا انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك و يواصلها، و هو قائل

1- واردة: عطاشا. و تثنى: انعطف. و يروى: «فتنحى» و «فتمتى» أي تمطى و معناه: مدّ و نزع. و النزع الرمي عن القوس. و في يسره - كما في «شرح ديوانه»، رواية أبي سهل (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم 13 أدب ش) - أي في يسر السهم للرمي. قال أبو سهل: يقول القوس في يساره فإذا اشتدّ يساره تابع مدّه فنفذ السهم أجود و إلا لم ينفذ جيدا. و في «اللسان» (مادة يسر) عن الجوهري أن اليسرة بالتحريك أسرار الكف (خطوطها) إذا كانت غير ملتزقة و هي تستحب. قال شمر: و يقال في فلان يسر؛ و أنشد: فتمتى النزع في يسره قال: هكذا روى عن الأصمعي و فسره حيال وجهه. و يروى: «في يسره» بضم الياء و فتح السين جمعا ليسرى، و يروى «في يسره» بضمتين جمعا ليسار.

2- الفرائص: جمع فريصة و هي التي ترعد من الدابة عند مرجع الكتف تتصل بالفؤاد. و إزاء الحوض: مصب الماء فيه. و عقره: موضع الشاربة، يريد أن هذا الرامي حاذق خبير بالرمي لا يرميها إلا في مقتل. و خص إزاء الحوض أو عقره لأنه مكان تأمن فيه و تطمئن إليه، فهو أمكن له فيما يريد منها.

3- الرهيش: السهم الضامر الخفيف.

4- الناهض الذي وفر جناحه و نهض للطيران. و أدخل الهاء في ناهضة للمبالغة أو لأنه أراد الأنثى، كما يقال صقر و صقرة. قال أبو بكر: و

خص ريش النواهض لأن ريشها ألين و أطول و ريش المسان لا خير فيه. أمهاه: أرقه. و قال أبو عبيدة: أمهاه: سقاه الماء.

5- أي لا ترتفع من مكانها الذي أصابها فيه السهم لحذق الرامي؛ يقال: أنميت الصيد فنمى ينمي و ذلك أن ترميه فتصيبه و يذهب عنك فيموت بعد ما يغيب. و معنى لا عد من نفره: أماته اللّه فلا يعد من قومه، و المراد التعجب منه، كما يقال: قاتله اللّه في موضع المدح و التعجب.

6- في ج: «و استودعه».

في ذلك أشعارا يشهّرها بها في العرب فيفضحها و يفضحك. فبعث إليه حينئذ بحلّة وشي مسمومة منسوجة بالذهب و قال له: إني أرسلت إليك بحلّتي التي كنت ألبسها تكرمة لك، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن و البركة، و اكتب إليّ بخبرك من منزل منزل. فلما/وصلت إليه لبسها و اشتدّ سروره بها؛ فأسرع فيه السمّ و سقط جلده؛ فلذلك سمّي ذا القروح، و قال في ذلك:

لقد طمح الطمّاح من بعد أرضه *** ليلبسني ممّا يلبّس أبؤسا(1)

فلو أنها نفس بموت سويّة *** و لكنّها نفس تساقط أنفسا

قال: فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تدعى أنقرة احتضر بها؛ فقال:

رب خطبة مسحنفره *** و طعنة مثعنجره(2)

و جفنة متحيّره *** حلّت بأرض أنقره

و رأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدفنت في سفح جبل يقال له عسيب؛ فسأل عنها فأخبر بقصتها، فقال:

/

أجارتنا إنّ المزار قريب *** و إنّي مقيم ما أقام عسيب

/أجارتنا إنّا غريبان هاهنا *** و كلّ غريب للغريب نسيب

ثم مات فدفن إلى جنب المرأة، فقبره هناك.

عبد الملك بن عمير يحدث عمر بن هبيرة بحديث عنه فيسرّ به و يجيزه:

أخبرني محمد بن القاسم عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال:

قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة، فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من وجوه الكوفة فسمروا عنده، ثم قال:

ليحدّثني كلّ رجل منكم أحدوثة و ابدأ أنت يا أبا عمر(3). فقلت أصلح اللّه الأمير! أ حديث الحقّ أم حديث الباطل؟ قال: بل حديث الحق. قلت: إنّ امرأ القيس آلى بأليّة ألاّ يتزوّج امرأة حتى يسألها عن ثمانية و أربعة و ثنتين؛ فجعل

1- في «ديوانه»: و بدلت قرحا داميا بعد صحة لعل منايانا تحولن أبؤسا لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسني من دائه ما تلبسا

2- يقال: اسحنفر في خطبته إذا مضى و اتسع في كلامه. و المثعنجرة: السائلة، يقال: ثعجر الدم فاثعنجر إذا صبه فانصب. و الجفنة المتحيرة: الممتلئة طعاما و دسما. و هذه الشطرة الثالثة غير متزنة. و قد ورد هذا الشعر في مقدمة «ديوانه» المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم 13 أدب ش: و طعنة مثعنجره و خطبة مسحنفره و جفنة مدعثره تبقى غدا بأنقره و الجفنة المدعثرة: و ورد في «اللسان» (مادة

ثعجر) و كتاب «الشـعر و الشـعراء» و ليس فيهما هـذا الشـطر؛ ففي «اللسان»: رب جفنـة مثعنجره و طعنـة مسـحنفره تبقى غدا بأنقره و في «الشعر و الشعراء»: و طعنة مسحنفره و جفنة مثعنجره تبقى غدا بأنقره

3- يكنى عبد الملك بن عمير أبا عمر و أبا عمرو.

يخطب النساء، فإذا سألهنّ عن هذا قلن أربعة عشر. فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة كأنها البدر ليلة تمامه، فأعجبته، فقال لها: يا جارية! ما ثمانية و أربعة و اثنتان؟. فقالت: أمّا ثمانية فأطباء الكلبة. و أمّا أربعة فأخلاف الناقة. و أمّا اثنتان فثديا المرأة. فخطبها إلى أبيها فزوّجه إيّاها. و شرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال، فجعل لها ذلك، و أن يسوق إليها مائة من الإبل و عشرة أعبد و عشر و صائف و ثلاثة أفراس ففعل ذلك. ثم إنه بعث عبدا له إلى المرأة و أهدى إليها نحيا(1) من سمن و نحيا من عسل و حلّة من عصب. فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلّة و لبسها فتعلّقت بعشرة فانشقّت، و فتح النّحيين فطعم أهل الماء منهما فنقصا. ثم قدم على حيّ المرأة و هم خلوف(2). فسألها عن أبيها و أمّها و أخيها و دفع إليها هديّتها. فقالت له: أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرّب بعيدا و يبعّد قريبا، و أن أمّي ذهبت تشقّ النّفس/نفسين، و أنّ أخي يراعي الشمس، و أن سماءكم انشقّت، و أنّ وعاءيكم نضبا. فقدم الغلام على مولاه فأخبره. فقال: أمّا قولها إنّ أبي ذهب يقرّب بعيدا و يبعّد قريبا، فإنّ أباها ذهب يحالف قوما على قومه. و أمّا قولها ذهبت أمّي تشقّ النفس نفسين، فإنّ أمّها ذهبت تقبل(3) امرأة نفساء. و أمّا قولها: إنّ أخي يراعي الشمس، فإنّ أخاها في سرح له يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به. و أمّا قولها: إن سماءكم انشقّت، فإن البرد الذي بعثت به انشقّ. و أمّا قولها إن وعاءيكم نضبا، فإنّ النّحيين اللّذين بعثت بهما نقصا، فاصدقني. فقال: يا مولاي، إني نزلت بماء من مياه العرب، فسألوني عن نسبي فأخبرتهم أنّي ابن عمّك، و نشرت الحلّة فانشقّت، و فتحت النّحيين فأطعمت منهما أهل الماء. فقال: أولى لك!.

ثم ساق مائة من الإبل و خرج نحوها و معه الغلام، فنزلا منزلا. فخرج الغلام يسقي الإبل فعجز؛ فأعانه امرؤ القيس؛ فرمى به الغلام في البئر، و خرج حتى أتى المرأة بالإبل، و أخبرهم أنه زوجها. فقيل لها: قد جاء زوجك.

فقالت: و اللّه ما أدري أ زوجي هو أم لا! و لكن انحروا له جزورا و أطعموه من كرشها و ذنبها ففعلوا. فقالت: اسقوه لبنا حازرا (و هو الحامض) فسقوه فشرب. فقالت: افرشوا له عن، الفرث(4) و الدم، ففرشوا له فنام. فلما أصبحت أرسلت إليه: إني أريد أن أسألك. فقال: سلي عمّا شئت. فقالت: ممّ تختلج شفتاك؟ قال: لتقبيلي إيّاك. قالت:

فممّ يختلج كشحاك؟ قال: لالتزامي إيّاك. قالت: فممّ يختلج فخذاك؟ قال: لتوزّكي إيّاك. قالت: عليكم العبد فشدّوا أيديكم/به، ففعلوا. قال: و مرّ قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر، فرجع إلى حيّه، فاستاق مائة من الإبل و أقبل إلى امرأته. فقيل لها: قد جاء/زوجك. فقالت: و اللّه ما أدري أ هو زوجي أم لا و لكن انحروا له جزورا فأطعموه من كرشها و ذنبها ففعلوا. فلما أتوه بذلك قال: و أين الكبد و السّنام و الملحاء(5)! فأبى أن يأكل.

فقالت: اسقوه لبنا حازرا. فأبى أن يشربه و قال: فأين الصّريف(6) و الرّثيئة!. فقالت: افرشوا له عند الفرث و الدم.

فأبى أن ينام و قال: افرشوا لي فوق التّلعة الحمراء، و اضربوا عليها خباء. ثم أرسلت إليه: هلمّ شريطتي عليك في المسائل الثلاث. فأرسل إليها أن سلي عمّا شئت. فقالت: ممّ تختلج شفتاك قال: لشربي المشعشعات. قالت: فممّ

1- النحي: الزق.

2- خلوف: غيب.

3- يقال: قبلت القابلة المرأة إذا تلقت ولدها عند ولادته.

4- الفرث: السرجين ما دام في الكرش.

5- الملحاء: لحم في الصلب من الكاهل إلى العجز من البعير.

6- الصريف: الحليب الحار ساعة يصرف عن الضرع. و الرئينة: اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته.

يختلج كشحاك، قال: للبسي الحبرات. قالت: فممّ تختلج فخذاك؟ قال: لركضي المطهّمات. فقالت: هذا زوجي لعمري! فعليكم به، و اقتلوا العبد، فقتلوه. و دخل امرؤ القيس بالجارية. فقال ابن هبيرة: حسبكم! فلا خير في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو؛ و لن تأتينا بأعجب منه فقمنا و انصرفنا. و أمر لي بجائزة.

مفاوضات امرئ القيس و قبائل أسد بعد موت حجر:

نسخت من كتاب جدّي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطّه رحمه اللّه حدّثني الحسن بن سعيد عن أبي عبيدة قال أخبرني سيبويه النحويّ أنّ الخليل بن أحمد أخبره قال:

قدم على امرئ القيس بن حجر بعد مقتل أبيه رجال من قبائل بني أسد كهول و شبّان، فيهم المهاجرين خداش ابن عمّ عبيد بن الأبرص، و قبيصة بن نعيم، و كان في بني أسد مقيما و كان ذا بصيرة بمواقع الأمور وردا و إصدارا(1) يعرف ذلك له من كان محيطا بأكناف بلده من العرب. فلما علم بمكانهم أمر بإنزالهم و تقدّم بإكرامهم و الإفضال عليهم، و احتجب عنهم ثلاثا. فسألوا من حضرهم من رجال كندة، /فقال: هو في شغل بإخراج ما في خزائن حجر من السّلاح و العدّة. فقالوا: اللّهم غفرا، إنما قدمنا في أمر نتناسى به ذكر ما سلف و نستدرك به ما فرط، فليبلّغ ذلك عنّا. فخرج عليهم في قباء و خفّ و عمامة سوداء؛ و كانت العرب لا تعتمّ بالسّواد إلاّ في التّرات.

فلمّا نظروا إليه قاموا له، و بدر إليه قبيصة: إنك في المحلّ و القدر و المعرفة بتصرّف الدهر و ما تحدثه أيّامه و تتنقّل به أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ و لا تذكرة مجرّب. و لك من سؤدد منصبك و شرف أعراقك و كرم أصلك في العرب محتمل يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة، و رجوع عن هفوة. و لا تتجاوز الهمم إلى غاية إلاّ رجعت إليك فوجدت عندك من فضيلة الرأي و بصيرة الفهم و كرم الصفح في الذي كان من الخطب الجليل الذي عمّت رزيته نزارا و اليمن، و لم تخصص كندة بذلك دوننا للشّرف البارع. كان لحجر التاج و العمّة فوق الجبين الكريم و إخاء الحمد و طيب الشّيم. و لو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك و لفديناه منه، و لكن مضى به سبيل لا يرجع أولاه على أخراه و لا يلحق أقصاه أدناه. فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال: إمّا أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتا، و أعلاها في بناء المكرمات صوتا، فقدناه إليك بنسعه(2)تذهب مع شفرات حسامك/قصدته(3) فيقول رجل: امتحن بهلك عزيز فلم تستلّ سخيمته إلاّ بتمكينه من الانتقام، أو فداء بما يروح من بني أسد من نعمها فهي ألوف تجاوز الحسبة فكان ذلك فداء رجعت به القضب إلى أجفانها لم يردده تسليط الإحن على البرآء؛ و إما أن/توادعنا حتى تضع الحوامل فنسدل الأزر و نعقد الخمر فوق الرايات.

قال: فبكى ساعة ثم رفع رأسه فقال: لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم، و إني لن أعتاض به جملا أو ناقة فأكتسب بذلك سبّة الأبد و فتّ العضد. و أمّا النّظرة(4) فقد أوجبتها الأجنّة في بطون أمّهاتها، و لن أكون لعطبها سببا، و ستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك، تحمل القلوب حنقا و فوق الأسنّة علقا(5)

1- كان ينبغي أن يكون «... بمواقع الأمور إيرادا و إصدارا» أو «... وردا و صدرا».

2- النسع: سير مضفور يجعل زماما للبعير و غيره. و في الحديث: «يجر نسعة في عنقه».

3- كذا في ج: و القصدة: العنق. و في سائر الأصول: «قصيدته» و هو تصغير «قصدة» و قد ورد في الأصول: هكذا: «تذهب مع شفرات حسامك ثنائي قصيدته». و لم نفهم لكلمة «ثنائي» هاهنا معنى.

4- النظرة: الإمهال.

5- العلق: الدم.

إذا جالت الخيل في مأزق *** تصافح(1) فيه المنايا النفوسا

أ تقيمون أم تنصرفون؟ قالوا: بل ننصرف بأسوإ الاختيار، و أبلى الاجترار لمكروه و أذيّة، و حرب و بليّة. ثم نهضوا عنه، و قبيصة يقول متمثّلا:

لعلك أن تستوخم(2) الموت إن غدت *** كتائبنا في مأزق الموت تمطر(3)

فقال امرؤ القيس: لا و اللّه لا أستوخمه، فرويدا ينكشف لك دجاها عن فرسان كندة و كتائب حمير. و لقد كان ذكر غير هذا أولى بي إذ كنت نازلا بربعي؛ و لكنك قلت فأجبت. فقال قبيصة: ما نتوقّع فوق قدر المعاتبة و الإعتاب. قال امرؤ القيس: فهو ذاك.

أصوات معبد المعروفة بالقابها و هي خمسة

أصوات معبد الخمسة و ألقابها:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه، و أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق، و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه، و أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه عن إسحاق:

/أن معبدا كان يسمّي صوته:

هريرة ودّعها و إن لام لائم

الدّوّامة لكثرة ما فيه من الترجيع. و يسمّي صوته:

عاود القلب من تذكّر جمل

المنمنم. و يسمّي صوته:

أ من آل ليلى بالملا متربّع

معقّصات القرون أي يحرك خصل الشعر. و يسمّي صوته:

[جعل(4) اللّه جعفرا لك بعلا

المتبختر. و يسمي صوته]:

ضوء برق بدا لعينيك أم شبّت *** بذي الأثل من سلامة(4) نار

[مقطّع الأثفار(4)].

1- كذا في ج: و في سائر الأصول: «تدافع».

2- استوخم الشيء: لم يستمرئه.

3- لعلها «تخطر».

4- التكملة أثبتناها من بيان نسبة الأصوات فيما يأتي ص 132.

نسبة هذه الأصوات و أخبارها

هريرة ودّعها و إن لام لائم *** غداة غد أم أنت للبين واجم

لقد كان في حول ثواء ثويته *** تقضّى لبانات و يسأم سائم

مبتّلة هيفاء رود شبابها *** لها مقلتا ريم و أسود فاحم

و وجه نقيّ اللّون صاف يزينه *** مع الحلي لبّات لها و معاصم

الواجم: الساكت المطرق من الحزن، يقال: وجم يجم وجوما. و قوله: «لقد كان في حول ثواء ثويته»: قال الكوفيون: أراد لقد كان في ثواء حول ثويته، فجعل ثواء بدلا من حول. و أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم عن يونس قال: كان أبو عمرو بن العلاء يعيب/قول الأعشى:

لقد كان في حول ثواء ثويته

/جدّا و يقول: ما أعرف له معنى و لا وجها يصحّ. قال أبو خليفة: و أمّا أبو عبيدة فإنه قال: معناه لقد كان في ثواء حول ثويته. و اللّبانات و المآرب و الحوائج و الأوطار واحد. و المبتلّة: الحسنة الخلق. و الهيفاء: اللطيفة الخصر. و الرّئم: الظبي. و الفاحم: الشديد السواد. و قال: لبّات لها و إنما لها لبّة واحدة و لكنّ العرب تقول ذلك كثيرا؛ يقال: لها لبّات حسان، يراد اللّبّة و ما حولها. و المعاصم: موضع الأسورة، و واحدها معصم.

الشعر للأعشى. و الغناء لمعبد، و له فيه لحنان، أحدهما و هو الملقّب بالدوّامة خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، و الآخر ثقيل عن الهشاميّ و ابن خرداذبه.

5 - أخبار الأعشى و نسبه

نسبه و كنيته:

الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. و يكنى أبا بصير.

لقب أبيه قتيل الجوع:

و كان يقال لأبيه قيس بن جندل قتيل الجوع، سمي بذلك لأنه دخل غارا يستظل فيه من الحرّ، فوقعت صخرة عظيمة من الجبل فسدّت فم الغار فمات فيه جوعا. فقال فيه جهنّام و اسمه عمرو و هو من قومه من بني قيس بن ثعلبة يهجوه و كانا يتهاجيان:

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندل *** و خالك عبد من خماعة(1) راضع

شاعر جاهلي:

و هو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية و فحولهم و تقدّم على سائرهم، و ليس ذلك بمجمع عليه لا فيه و لا في غيره.

أشعر الناس إذا طرب:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال سألت يونس النحوي: من أشعر الناس؟ قال: لا أومئ إلى رجل بعينه و لكني أقول: امرؤ القيس إذا غضب، و النابغة إذا رهب، و زهير إذا رغب، و الأعشى إذا طرب.

قبيلته أشعر القبائل عند حسان:

أخبرني ابن عمّار عن ابن مهرويه عن حذيفة بن محمد عن ابن سلاّم بمثله.

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه و أبي مسكين.

/أن حسانا سئل: من أشعر الناس؟ فقال: أ شاعر بعينه أم قبيلة؟ قالوا: بل قبيلة. قال: الزّرق من بني قيس بن ثعلبة، و هذا حديث يروى أيضا عن غير حسان.

فاخر ابن شفيع بقبيلته بني ثعلبة عبد العزيز بن زرارة:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار عن ابن مهرويه قال حدّثنا عبدة بن عصمة عن فراس بن خندف عن عليّ بن شفيع قال:

1- خماعة: بطن من العرب سموا باسم خماعة بنت جشم بن ربيعة بن زيد مناة. و الراضع: اللئيم.

إني لواقف بسوق حجر(1) إذ أنا برجل من هيئته و حاله عليه مقطّعات خزّ و هو على نجيب مهريّ عليه رحل لم أر قطّ أحسن منه و هو يقول: من يفاخرني من ينافرني ببني عامر بن صعصعة فرسانا و شعراء و عددا و فعالا؟! قلت:

أنا. قال: بمن؟ قلت: ببني ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل. فقال: أ ما بلغك أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم نهى عن المنافرة؟ ثم ولّى هاربا. قلت: من هذا؟ قيل: عبد العزيز بن زرارة بن جزء بن سفيان الكلابيّ.

هو صناجة العرب:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا/عمر بن شبّة قال:

قال أبو عبيدة: من قدّم الأعشى يحتجّ بكثرة طواله الجياد و تصرفه في المديح و الهجاء و سائر فنون الشعر، و ليس ذلك لغيره. و يقال: هو أوّل من سأل بشعره، و انتجع به أقاصي البلاد. و كان يغنّى في شعره، فكانت العرب تسمّيه صنّاجة العرب.

أخبرني المهلّبيّ و الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: سمعت خلاّدا الأرقط يقول سمعت خلفا الأحمر يقول:

لا يعرف من أشعر الناس كما لا يعرف من أشجع الناس و لا من كذا و لا من كذا، لأشياء ذكرها خلف و نسيتها أنا. أبو زيد عمر بن شبّة يقول هذا.

كان أبو عمرو بن العلاء يقدمه:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي يوسف قال حدّثني عمّي إسماعيل بن أبي محمد قال أخبرني أبي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقدّم الأعشى.

سئل مروان بن أبي حفصة عن أشعر الناس فقدمه بشعره:

و قال هشام بن الكلبيّ أخبرني أبو قبيصة المجاشعيّ أن مروان بن أبي حفصة سئل: من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

كلا أبويكم كان فرع دعامة *** و لكنّهم زادوا و أصبحت ناقصا

يعني الأعشى.

قدمه حماد على جميع الشعراء حين سأله المنصور عن ذلك:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي قال قال سلمة بن نجاح أخبرني يحيى بن سليم الكاتب قال:

بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة(2) إلى حمّاد الراوية أسأله عن أشعر الشعراء. قال: فأتيت باب حمّاد فاستأذنت و قلت: يا غلام! فأجابني إنسان من أقصى بيت في الدار فقال: من أنت؟ فقلت: يحيى بن سليم رسول

1- حجر: مدينة باليمامة.

2- لعل الأصل: «بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين إلى حماد الراوية بالكوفة... إلخ».

أمير المؤمنين. قال: ادخل رحمك اللّه! فدخلت أتسمّت(1) الصوت حتى وقفت على باب البيت، فإذا حمّاد عريان على فرجه دستجة(2) شاهسفرم. فقلت: إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس. فقال: نعم! ذلك الأعشى صنّاجها.

أوصى أبو عمرو بن العلاء الناس بشعره:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال سمعت أبا عبيدة يقول سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: عليكم بشعر الأعشى، فإني شبّهته بالبازي يصيد ما بين العندليب إلى الكركيّ.

وضعه جني في المرتبة الثالثة بعد امرئ القيس و طرفة:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال سمعت أبا عبيدة يقول:

بلغني أن رجلا من أهل البصرة حجّ - و روى هذا الحديث ابن الكلبيّ عن شعيب بن عبد الرحمن أبي معاوية النحويّ عن رجل من أهل البصرة أنه حجّ - قال فإني لأسير في ليلة إضحيانة(3) إذ نظرت إلى رجل شابّ راكب على ظليم قد زمّه بخطامه و هو يذهب عليه و يجيء، و هو يرتجز و يقول:

هل يبلغنيهم إلى الصّباح *** هقل(4) كأن رأسه جماح

الجمّاح: أطراف النبت الذي يسمى الحليّ و هو سنبله، إلاّ أنه ليس بخشن(5) يشبه أذناب الثعالب(6). قال:

و الجمّاح أيضا سهيم يلعب به الصّبيان يجعلون مكان زجّه طينا - قال: فعلمت أنه ليس بإنسيّ، فاستوحشت منه.

فتردّد عليّ ذاهبا و راجعا حتى أنست به؛ فقلت: من أشعر الناس يا هذا؟ قال: الذي يقول:

و ما ذرفت عيناك إلاّ لتضربي *** بسهميك في أعشار قلب مقتّل

قلت: و من هو؟ قال: امرؤ القيس. قلت: فمن الثاني؟ قال: الذي يقول:

تطرد القرّ بحرّ ساخن *** و عكيك(7) القيظ إن جاء بقرّ

/قلت: و من يقوله؟ قال: طرفة. قلت: و من الثالث؟ قال: الذي يقول:

و تبرد برد رداء العرو *** س بالصّيف رقرقت(8) فيه العبيرا

قلت: و من يقوله؟ قال: الأعشى، ثم ذهب به.

1- تسمت الشيء: قصد نحوه.

2- كذا في أو «شـفاء الغليل». و الدسـتجة: الحزمة و الشاهسـفرم: نوع من الريحان يقال له الريحان السلطاني.، فارسي معرب. و في سائر الأصول: «دستجة شاهسفره» و هو تحريف.

3- ليلة إضحيانة: مضيئة.

4- الهقل: الفتى من النعام.

5- في الأصول: «بحسن» و هو تصحيف.

6- ذنب الثعلب: نبات على هيئة أذناب الثعالب.

7- العكيك: صـفة من العك أو العكك و هو شـدة الحر في سـكون الريـح. و ورد البيت في «اللسان» و فيه لفظـة «صادق» بدل «ساخن». يصف جارية بأنها تطرد عن ملتزمها شدة برد الشتاء بحرارتها، و تطرد عنه شدة قيظ الصيف بطراوتها.

8- رقرق الطيب في الثوب: أجراه فيه.

هو أستاذ الشعراء في الجاهلية و جرير أستاذهم في الإسلام:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني أبو عدنان قال و قال لي يحيى بن الجون العبديّ راوية بشّار:

نحن حاكة الشّعر في الجاهليّة و الإسلام و نحن أعلم الناس به، أعشى بني قيس بن ثعلبة أستاذ الشعراء في الجاهليّة.

و جرير بن الخطفى أستاذهم في الإسلام.

حديث الشعبي عنه:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال:

قال الشّعبيّ: الأعشى أغزل الناس في بيت، و أخنث الناس في بيت، و أشجع الناس في بيت. فأمّا أغزل بيت فقوله:

غرّاء فرعاء مصقول عوارضها *** تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل(1)

و أمّا أخنث بيت فقوله:

قالت هريرة لمّا جئت زائرها *** ويلي عليك و ويلي منك يا رجل

و أمّا أشجع بيت فقوله:

قالوا الطّراد فقلنا تلك عادتنا *** أو تنزلون فإنا معشر نزل

حماد الراوية يسأل عن أشعر العرب فيجيب من شعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد قال ذكر الهيثم بن عديّ أن حمّادا الراوية سئل عن أشعر العرب، قال الذي يقول:

نازعتهم قضب الرّيحان متّكئا *** و قهوة مزّة(2) راووقها خضل

كان قدريا و كان لبيد مثبتا:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثنا أبو عليّ العنزيّ قال حدّثني محمد بن معاوية الأسديّ قال حدّثني رجل عن أبان بن تغلب عن سماك بن حرب قال قال لي يحيى بن متّى راوية الأعشى و كان نصرانيّا عباديّا و كان معمّرا قال:

/كان الأعشى قدريّا(3) و كان لبيد مثبتا. قال لبيد:

من هداه سبل الخير اهتدى *** ناعم البال و من شاء أضلّ

و قال الأعشى.

استأثر اللّه بالوفاء و بال *** عدل و ولّى الملامة الرّجلا

ص: 78

1- الوجي: وصف من الوجي، و هو أن يجد ألما في رجليه عند المشي. و الوحل: الماشي في الوحل.

2- المزة و المزاء: التي فيها مزازة. و الراووق: الباطية، أي إناء الخمر. و استعمال الراووق في الباطية قليل، و المعروف أن الراووق المصفاة التي تروّق و تصفى فيها الخمر. و الخضل: الدائم الندى.

3- القدرية: جاحد و القدر أي ينكرون أن اللّه قدّر على عباده الشر، و هو ما ذهبت إليه فرقة من المسلمين يقال لهم المعتزلة.

قلت: فمن أين أخذ الأعشى مذهبه؟ قال: من قبل العباديّين نصارى الحيرة، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقّنوه ذلك.

هريرة عشيقته:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أبو شراعة في مجلس الرّياشيّ قال حدّثنا مشايخ بني قيس بن ثعلبة قالوا:

كانت هريرة التي يشبّب بها الأعشى أمة سوداء لحسّان بن عمرو بن مرثد.

و أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن فراس بن الخندف قال:

كانت هريرة و خليدة أختين قينتين كانتا لبشر بن عمرو بن مرثد، و كانتا تغنّيانه النّصب(1)، و قدم بهما اليمامة لمّا هرب من النّعمان. قال ابن دريد فأخبرني عمّي عن ابن الكلبيّ بمثل ذلك.

مدح المحلق الكلابي و ذكر بناته فتزوّجن:

اشارة

و أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ عن الرّياشيّ مما أجازه له عن العتبيّ عن رجل من قيس عيلان قال:

كان/الأعشى يوافي سوق عكاظ في كلّ سنة، و كان المحلّق الكلابيّ مئناثا(2) مملقا. فقالت له امرأته: يا أبا كلاب، ما يمنعك من التعرّض لهذا الشاعر! /فما رأيت أحدا اقتطعه إلى نفسه إلا و أكسبه خيرا. قال: ويحك! ما عندي إلا ناقتي و عليها الحمل!. قالت: اللّه يخلفها عليك. قال: فهل له بدّ من الشّراب و المسوح(3)؟ قالت: إنّ عندي ذخيرة لي و لعلّي أن أجمعها. قال: فتلقّاه قبل أن يسبق إليه أحد و ابنه يقوده فأخذ الخطام؛ فقال الأعشى: من هذا الذي غلبنا على خطامنا؟ قال: المحلّق. قال: شريف كريم، ثم سلّمه إليه فأناخه؛ فنحر له ناقته و كشط له عن سنامها و كبدها، ثم سقاه، و أحاطت بناته به يغمزنه و يمسحنه. فقال: ما هذه الجواري حولي؟ قال: بنات أخيك و هنّ ثمان شريدتهن قليلة. قال: و خرج من عنده و لم يقل فيه شيئا. فلما وافى سوق عكاظ إذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها و إذا الأعشى ينشدهم.

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة *** إلى ضوء نار باليفاع تحرّق

تشبّ لمقرورين يصطليانها *** و بات على النار النّدى و المحلّق

رضيعي لبان ثدي أمّ تحالفا *** بأسحم(4) داج عوض لا نتفرّق

فسلّم عليه المحلّق؛ فقال له: مرحبا يا سيّدي بسيّد قومه. و نادى: يا معاشر العرب، هل فيكم مذكار(5) يزوّج ابنه إلى الشريف الكريم!. قال: فما قام من مقعده و فيهنّ مخطوبة إلا و قد زوّجها. و في أول القصيدة عناء و هو:

1- النصب: ضرب من أغاني العرب شبيه بالحداء.

2- المثناث: الذي اعتاد أن يلد الإناث.

3- المسوح: جمع مسح و هو كساء من شعر كثوب الرهبان.

4- بأسحم داج: قيل المراد به الليل، و قيل سواد حلمة الثدي، و قيل الرحم. و عوض: أبدا. يقول: هو و الندى رضعا من ثدي واحد و تحالفا ألا يتفرّقا أبدا. (راجع «لسان العرب» مادة عوض).

5- المذكار: الذي اعتاد أن يلد الذكور.

صوت

أرقت و ما هذا السّهاد المؤرّق *** و ما بي من سقم و ما بي معشق

و لكن أراني لا أزال بحادث *** أغادى بما لم يمس عندي و أطرق

/غنّاه ابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه لحن ليونس من كتابه غير مجنّس.

و فيه لابن سريج ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق و عمرو.

اسم المحلق الكلابي و سبب كنيته و سبب اتصاله بالأعشى:

أخبرني أبو العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد اللّه عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل قال:

اسم المحلّق عبد العزّى(1) بن حنتم بن شدّاد بن ربيعة بن عبد اللّه بن عبيد و هو أبو بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. و إنما سمّي محلّقا لأن حصانا له عضّه في وجنته فحلّق فيه حلقة.

قال: و أنشد الأعشى قصيدته هذه [كسرى(2)] ففسّرت له؛ فلما سمعها قال: إن كان هذا سهر لغير سقم و لا عشق فما هو إلا لصّ.

و ذكر عليّ بن محمد النّوفليّ في خبر المحلّق مع الأعشى غير هذه الحكايات، و زعم أن أباه حدّثه عن بعض الكلابيّين من أهل البادية قال:

كان لأبي المحلّق شرف فمات و قد أتلف ماله، و بقي المحلّق و ثلاث أخوات له و لم يترك لهم إلا ناقة واحدة و حلّتي برود حبرة كان يشهد فيهما الحقوق(3). فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد منزله باليمامة، فنزل الماء الذي به المحلّق، فقراه أهل الماء فأحسنوا قراه. فأقبلت عمّة المحلّق فقالت: يا ابن أخي! هذا الأعشى قد/نزل بمائنا و قد قراه أهل الماء، و العرب تزعم أنه لم يمدح قوما إلاّ رفعهم، /و لم يهج قوما إلا وضعهم؛ فانظر ما أقول لك و احتل في زقّ من خمر من عند بعض التّجّار فأرسل إليه بهذه الناقة و الزّقّ و بردي أبيك؛ فو اللّه لئن اعتلج الكبد و السّنام و الخمر في جوفه و نظر إلى عطفيه في البردين، ليقولنّ فيك شعرا يرفعك به. قال: ما أملك غير هذه الناقة، و أنا أتوقّع رسلها(4). فأقبل يدخل و يخرج و يهمّ و لا يفعل؛ فكلّما دخل على عمّته حضّته؛ حتى دخل عليها فقال:

قد ارتحل الرجل و مضى. قالت: الآن و اللّه أحسن ما كان القرى! تتبعه ذلك مع غلام أبيك - مولى له أسود شيخ - فحيثما لحقه أخبره عنك أنك كنت غائبا عن الماء عند نزوله إيّاه، و أنّك لمّا وردت الماء فعلمت أنه كان به كرهت أن يفوتك قراه؛ فإنّ هذا أحسن لموقعه عنده. فلم تزل تحضّه حتى أتى بعض التّجار فكلّمه أن يقرضه ثمن زقّ خمر و أتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه؛ فوجّه بالناقة و الخمر و البردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه؛ فكلما مرّ بماء قيل:

ارتحل أمس عنه، حتى صار إلى منزل الأعشى بمنفوحة اليمامة فوجد عنده عدّة من الفتيان قد غدّاهم بغير لحم

1- في الأصول: «عبد العزيز بن خيثم». و التصويب عن شرح «القاموس» (مادة حلق و حنتم).

2- تكملة عن «كتاب الشعر و الشعراء».

3- كذا في «تجريد الأغاني». و في الأصول: «إلا ناقة واحدة و حلتي برود جيدة كان يسدّ بها الحقوق» و هو تحريف.

4- الرسل: اللبن.

و صبّ لهم فضيخا(1) فهم يشربون منه، إذ قرع الباب فقال: انظروا من هذا؟ فخرجوا فإذا رسول المحلّق يقول كذا و كذا. فدخلوا عليه و قالوا: هذا رسول المحلّق الكلابيّ أتاك بكيت و كيت. فقال: ويحكم! أعرابيّ و الذي أرسل إليّ لا قدر له! و اللّه لئن اعتلج الكبد و السّنام و الخمر في جوفي لأقولنّ فيه شعرا لم أقل قطّ مثله. فواثبه الفتيان و قالوا: غبت عنّا فأطلت الغيبة ثم أتيناك فلم تطعمنا لحما و سقيتنا الفضيخ و اللّحم و الخمر ببابك، لا نرضى بدا منك. فقال:

ائذنوا له؛ فدخل فأدّى الرسالة و قد أناخ الجزور بالباب و وضع الزّقّ و البردين بين يديه. قال: أقره السلام و قل له:

وصلتك رحم، سيأتيك ثناؤنا. /و قام الفتيان إلى الجزور فنحروها و شقّوا خاصرتها عن كبدها و جلدها عن سنامها ثم جاءوا بهما، فأقبلوا يشوون، و صبّوا الخمر فشربوا، و أكل معهم و شرب و لبس البردين و نظر إلى عطفيه فيهما فأنشأ يقول:

أرقت و ما هذا السهاد المؤرّق

حتى انتهى إلى قوله:

أيا مسمع سار الذي قد فعلتم *** فأنجد أقوام به ثم أعرقوا(2)

هب تعقد الأحمال في كلّ منزل *** و تعقد أطراف الحبال و تطلق(3)

قال: فسار الشّعر و شاع في العرب. فما أتت على المحلّق سنة حتى زوّج أخواته الثلاث كلّ واحدة على مائة ناقة، فأيسر و شرف.

و ذكر الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية عن معقل عن أبي بكر الهلاليّ قال:

خرج الأعشى إلى اليمن يريد قيس بن معد يكرب، فمرّ ببني كلاب، فأصابه مطر في ليلة ظلماء، فأوى إلى فتى من بني بكر بن كلاب، فبصر به المحلّق و هو [عبد العزّى بن] حنتم بن شدّاد بن ربيعة بن عبد اللّه بن عبيد بن كلاب و هو يومئذ غلام له ذؤابة، فأتى أمّه فقال: يا أمّه! رأيت رجلا أخلق به أن يكسبنا مجدا. قالت: و ما تريد يا بنيّ؟ قال: نضيفه اللّيلة. فأعطته جلبابها فاشترى به عشيرا(4) من جزور و خمرا؛ فأتى الأعشى، فأخذه/إليه، فطعم و شرب و اصطلى، ثم اصطبح فقال فيه:

/

أرقت و ما هذا السّهاد المؤرّق

و الرواية الأولى أصحّ.

سألته امرأة أن يشيب ببناتها فشبب بهنّ فزوّجهنّ:

أخبرني أحمد بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن نعيم قال حدّثنا قعنب بن المحرز عن الأصمعيّ قال حدّثني رجل قال:

1- الفضيخ: شراب يتخذ من بسر مفضوخ و هو أن يجعل التمر في إناء ثم يصب الماء الحار عليه حتى تستخرج حلاوته.

2- أعرقوا: أتوا العراق.

3- الروايـة في «تجريد الأغاني»: به توضع الأحلاس في كل منزل و تعقد أطراف النسوع و تطلق و الأحلاس: جمع حلس و هو كل شـيء ولي ظهر الدابة و البعير تحت الرحل و السرج و القتب.

4- العشير: جزء من عشرة أجزاء كالعشر.

جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت: إنّ لي بنات قد كسدن عليّ، فشبّب بواحدة منهنّ لعلها أن تنفق. فشبّب بواحدة منهنّ، فما شعر الأعشى إلا بجزور(1) قـد بعث به إليه. فقال: ما هـذا؟ فقالوا: زوّجت فلانة. فشـبّب بالأخرى فأتاه مثل ذلك، فسأل عنها فقيل: زوّجت. فما زال يشـبّب بواحدة فواحدة منهنّ حتى زوّجن جميعا.

أسره رجل من كلب كان قد هجاه فاستوهبه منه شريح بن السموأل:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا يحيى بن أبي سعيد الأمويّ عن محمد بن السائب الكلبيّ قال:

هجا الأعشى رجلا من كلب فقال:

بنو الشهر الحرام فلست منهم *** و لست من الكرام بني عبيد

و لا من رهط جبّار بن قرط *** و لا من رهط حارثة بن زيد

– قال: و هؤلاء كلّهم من كلب – فقال الكلبيّ: لا أبا لك! أنا أشرف من هؤلاء. قال: فسبّه الناس بعد بهجاء الأعشى إيّاه، و كان متغيّظا عليه. فأغار على قوم قد بات فيهم الأعشـى فأسـر منهم نفرا و أسر الأعشى و هو لا يعرفه، ثم جاء حتى نزل بشريح بن السموأل بن عادياء الغسّانيّ صاحب تيماء بحصنه الذي يقال له الأبلق. فمرّ شريح بالأعشى؛ فناداه الأعشى:

/

شريح لا تتركنّي بعد ما علقت *** حبالك اليوم بعد القدّ أظفاري

قد جلت ما بين بانقيا(2) إلى عدن *** و طال في العجم ترددي و تسياري

فكان أكرمهم عهدا و أوثقهم *** مجدا أبوك بعرف غير إنكار

كالغيث ما استمطروه جاد وابله *** و في الشدائد كالمستأسد الضاري

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به *** في جحفل كهزيع اللّيل جرّار

إذ سامه خطّتي خسف فقال له *** قل ما تشاء فإني سامع حار(3)

فقال غدر و ثكل أنت بينهما *** فاختر و ما فيهما حظّ لمختار

فشكّ غير طويل ثم قال له *** اقتل أسيرك إنّي مانع جاري

و سوف يعقبنيه إن ظفرت به *** ربّ كريم و بيض ذات أطهار

لا سرّهنّ لدينا ذاهب هدرا *** و حافظات إذا استودعن أسراري

فاختار أدراعه كي لا يسبّ بها *** و لم يكن وعده فيها بختّار

- قال: و كان امرؤ القيس بن حجر أودع السموأل بن عادياء أدراعا مائة، فأتاه الحارث بن ظالم - و يقال الحارث بن أبي شمر الغسّانيّ - ليأخذها منه، فتحصّن منه السموأل؛ فأخذ الحارث ابنا له غلاما و كان في الصيد، فقال: إمّا أنّ

1- الجزور يقع على الذكر و الأنثى.

2- بانقيا: ناحية من نواحي الكوفة.

3- حار أي يا حارث.

سلّمت الأدراع إليّ و إمّا أن قتلت ابنك. فأبى السموأل أن يسلم إليه الأدراع؛ فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف فقطعه قطعتين، فيقال: إن جريرا حين قال للفرزدق:

بسيف أبي رغوان(1) سيف مجاشع *** ضربت و لم تضرب بسيف ابن ظالم

/إنما عني هذه الضربة. فقال السموأل في ذلك:

وفيت بذمّة الكنديّ إنّي *** إذا ما ذمّ أقوام وفيت

/و أوصى عاديا يوما بأن لا *** تهدّم يا سموأل ما بنيت

بنى لي عاديا حصنا حصينا *** و ماء كلّما شئت استقيت

قال: فجاء شريح إلى الكلبيّ فقال له: هب لي هذا الأسير المضرور. فقال: هو لك، فأطلقه. و قال: أقم عندي حتى أكرمك و أحبوك. فقال له الأعشى: إنّ من تمام صنيعتك أن تعطيني ناقة نجيبة و تخلّيني الساعة. قال:

فأعطاه ناقة فركبها و مضى من ساعته. و بلغ الكلبيّ أنّ الذي وهب لشريح هو الأعشى. فأرسل إلى شريح: ابعث إلى الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه و أعطيه. فقال: قد مضى. فأرسل الكلبيّ في أثره فلم يلحقه.

مدح عامر بن الطفيل و هجا علقمة بن علاثة:

حدّثنا ابن علاثة عن محمد العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا يحيى بن سعيد بن يحيى الأمويّ عن محمد بن السائب قال:

أتى الأعشى الأسود العنسيّ(2) و قد امتدحه فاستبطأ جائزته. فقال الأسود: ليس عندنا عين و لكن نعطيك عرضا، فأعطاه خمسمائة مثقال دهنا و بخمسمائة حللا و عنبرا. فلمّا مرّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معه، فأتى علقمة(3) بن علاثة فقال له: أجرني، فقال: قد أجرتك. قال: من الجنّ و الإنس؟ قال نعم. قال: و من الموت؟ قال لا. فأتى عامر بن الطّفيل فقال: أجرني، قد أجرتك. قال: من الجنّ/و الإنس؟ قال نعم. قال: و من الموت؟ قال نعم. قال: و كيف تجيرني من الموت؟ قال: إن متّ و أنت في جواري بعثت إلى أهلك الدّية. فقال: الآن علمت أنك قد أجرتني من الموت. فمدح عامرا و هجا علقمة. فقال علقمة: لو علمت الذي أراد كنت أعطيته إيّاه.

قال الكلبيّ: و لم يهج علقمة بشيء أشدّ عليه من قوله:

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم *** و جاراتكم غرثى يبتن خمائصا

فرفع علقمة يديه و قال: لعنه اللّه! إن كان كاذبا! أ نحن نفعل هذا بجاراتنا!. و أخبار الأعشى و علقمة و عامر تأتي مشروحة في خبر منافرتهما إن شاء اللّه تعالى.

1- أبو رغوان: لقب مجاشع، و هو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة.

2- هو عبهلة بن كعب بن غوث يلقب ذا الخمار، خرج بعد حجة الوداع في عامّة مذ حج و ادّعى النبوّة و كان كاهنا شعباذا (مشعوذا) و كان يريهم الأعاجيب و يسبي قلوب من سمع منطقه، قتله فيروز و داذويه و قيس غيلة. (انظر «تاريخ الطبري» ق 1 ص 1795 - 1798، 1853-1870).

3- هو علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، أسلم في عهد النبي صلى اللّه عليه و سلم ثم ارتد بعد فتح الطائف و خرج حتى لحق بالشام ثم أسلم أيام أبي بكر رضي اللّه عنه. (الطبري ق 1 ص 1899-1900).

تزوّج امرأة من عنزة ثم طلقها و قال فيها شعرا:

اشارة

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد اللّه قال حدّثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل و غيره من أصحابه:

أنّ الأعشى تزوّج امرأة من عنزة ثم من هزّان - قال: و عنزة هو ابن أسد بن ربيعة بن نزار - فلم يرضها و لم يستحسن خلقها، فطلّقها و قال فيها:

بيني حصان الفرج غير ذميمة *** و موموقة فينا كذاك و وامقه

و ذوقي فتى قوم فإنّي ذائق *** فتاة أناس مثل ما أنت ذائقه

لقد كان في فتيان قومك منكح *** و شبّان هزّان الطّوال الغرانقه

فبيني فإنّ البين خير من العصا *** و إلاّ تري لي فوق رأسك بارقه

و ما ذاك عندي أن تكوني دنيئة *** و لا أن تكوني جئت عندي ببائقه

و يا جارتا بيني فإنّك طالقه *** كذاك أمور الناس غاد و طارقه

/أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الحسين بن إبراهيم بن الحرّ قال حدثنا المبارك بن سعيد عن سفيان الثّوريّ قال:

/طلاق الجاهلية طلاق. كانت عند الأعشى امرأة فأتاها قومها فضربوه و قالوا: طلّقها فقال:

أيا جارتا بيني فإنّك طالقه *** كذاك أمور الناس غاد و طارقه

و ذكر باقي الأبيات مثل ما تقدّم.

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدّثنا عثمان البرقيّ في إسناد له قال:

أخذ قوم الأعشى فقالوا له: طلّق امرأتك؛ فقال:

أيا جارتا بيني فإنّك طالقه *** كذاك أمور الناس غاد و طارقه

ثم ذكر نحو الخبر الذي قبله على ما قدّمناه.

في هذه الأبيات غناء نسبته:

صوت

فبيني فإنّ البين خير من العصا *** و إلاّ تري لي فوق رأسك بارقه

و ما ذاك عندي أن تكوني دنيئة *** و لا أن تكوني جئت عندي ببائقه

و يا جارتا بيني فإنّك طالقه *** كذاك أمور الناس غاد و طارقه

الشعر للأعشى. و الغناء للهذليّ خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.

و فيه لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ. قال الهشاميّ: و فيه لفليح خفيف ثقيل بالوسطى لا يشكّ فيه من غنائه. و ذكر حبش أن الثقيل الثاني لابن سريج و ذكر عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر أنّ الخفيف الثاني المنسوب إلى

فليح لأبيه عبد اللّه بن طاهر. و هذا الصوت يغنّى في هذا الزمان على ما سمعناه:

أيا جارتا دومي فإنك صادقه *** و موموقة فينا كذاك و وامقه

/و لم نفترق أن كنت فينا دنيئة *** و لا أن تكوني جئت عندي ببائقه

و أحسبه غيّر في دور الطاهريّة على هذا.

فخر الأخطل بشعر له في الخمر فرد عليه الشعبي بشعره:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني سوّار بن أبي شراعة قال حدّثني أبي عن مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال:

دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان و قد شرب خمرا و تضمّخ بلخالخ(1) و خلوق و عنده الشّعبيّ. فلما رآه قال: يا شعبيّ، ناك الأخطل أمّهات الشعراء جميعا. فقال له الشعبيّ: بأيّ شيء؟ قال حين يقول:

و تظلّ تنصفنا(2) بها قرويّة *** إبريقها برقاعه(3) ملثوم

فإذا تعاورت الأكفّ زجاجها *** نفحت فشمّ رياحها المزكوم

فقال الأخطل(4) سمعت بمثل هذا يا شعبيّ؟! قال: إن أمنتك قلت لك. قال: أنت آمن. فقلت له: أشعر و اللّه منك الذي يقول:

و أدكن(5) عاتق حجل ربحل *** صبحت براحه شربا كراما

من اللائي حملن على المطايا *** كريح المسك تستلّ الزّكاما

/فقال الأخطل: ويحك! و من يقول هذا؟ قلت: الأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة. فقال: قدّوس قدّوس! ناك الأعشى أمهات الشعراء جميعا و حقّ الصليب!.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة و الهيثم بن عديّ، و حدّثني الصّوليّ قال حدّثني الغلابيّ عن العتبيّ عن أبيه، و ذكر/هارون بن الزيّات عن حمّاد عن أبيه عن عبد اللّه بن الوليد عن جعفر بن سعيد الضّبّيّ، قالوا جميعا:

قدم الأخطل الكوفة، فأتاه الشعبيّ يسمع من شعره. قال: فوجدته يتغدّى، فدعاني أتغدّى فأتيته، فوضع الشراب فدعاني إليه فأتيته. فقال ما حاجتك؟ قلت: أحبّ أن أسمع من شعرك، فأنشدني قوله:

صرمت أمامة حبلنا و رعوم

حتى انتهى إلى قوله:

1- لخالخ: جمع لخلخة و هي ضرب من الطيب.

2- تنصفنا: تخدمنا.

3- في «ديوان الأخطل»: «برقاعها».

4- السياق مستغن عنها.

5- الأدكن: الضارب إلى السواد. و العاتق: القديم. و الجحل (بالفتح و تقديم الجيم على الحاء): السقاء الواسع و قد وردت هذه الكلمة في الأصول بتقديم الحاء على الجيم و هو تصحيف. و الربحل: الضخم.

فإذا تعاورت الأكفّ ختامها *** نفحت فشمّ رياحها المزكوم

فقال: يا شعبيّ، ناك الأخطل أمّهات الشعراء بهذا البيت. قلت: الأعشى أشعر منك يا أبا مالك. قال:

و كيف؟ قلت: لأنه قال:

من خمر عانة قد أتى لختامها *** حول تسلّ غمامة(1) المزكوم

فضرب بالكأس الأرض و قال: هو و المسيح أشعر منّي! ناك و اللّه الأعشى أمهات الشعراء إلاّ أنا.

مدح سلامة ذا فائش فأجازه:

حدّثني وكيع قال حدّثني محمد بن إسحاق المعوليّ عن إسحاق الموصليّ عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الرواية عن سماك بن حرب قال:

قال الأعشى:

أتيت سلامة(2) ذا فائش فأطلت المقام ببابه حتى وصلت إليه، فأنشدته:

/

إنّ محلاّ و إن مرتحلا *** و إنّ في السّفر من مضى مهلا(3)

استأثر اللّه بالوفاء و بال *** عدل و ولّى الملامة الرجلا

الشعر قلّدته سلامة ذا *** فائش و الشيء حيث ما جعلا

فقال: صدقت، الشيء حيث ما جعل، و أمر لي بمائة من الإبل و كساني حللا و أعطاني كرشا مدبوغة مملوءة عنبرا و قال: إياك أن تخدع عما فيها. فأتيت الحيرة فبعتها بثلاثمائة ناقة حمراء.

أراد أن يفد على النبي ليسلم فردته قريش بجائزة فعثر به بعيره فمات:

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال قال هشام بن القاسم الغنويّ و كان علاّمة بأمر الأعشى:

إنه وفد إلى النبيّ صلى اللّه عليه و سلم و قد مدحه بقصيدته التي أولها:

أ لم تغتمض عيناك ليلة أرمدا *** و عادك ما عاد السّليم المسهّدا(4)

و ما ذاك من عشق النساء و إنما *** تناسيت قبل اليوم خلّة مهددا(5)

و فيها يقول لناقته:

ص: 86

1- الغمام: كزكام وزنا و معنى.

2- هو سلامة بن يزيد بن مرة اليحصبي أحد ملوك اليمن، و قد مدحه الأعشى. و قال هشام بن محمد الكلبيّ: الأعشى مدح سلامة الأصغر و هو سلامة بن يزيد بن سلامة ذي فائش. (راجع «القاموس» و «شرحه» مادة فيش).

3- رواية تلخيص المفتاح التي كتب عليها شارحوه: «و إن في السفر اذ مضوا مهلا». و المحل و المرتحل مصدران ميميان، و الخبر محذوف. أي إن لنا في الدنيا حلولا و إن لنا عنها ارتحالا. و السفر: اسم جمع بمعنى مسافر. و المهل (بفتح الميم و الهاء): مصدر بمعنى الإمهال و طول الغيبة.

4- في «السيرة لابن هشام»: (ج 1 ص 55 طبع أوربا) «و بت كما بات السليم مسهدا».

5- مهدد: معشوقة الأعشى.

فآليت لا أرثي لها من كلالة *** و لا من حفا حتى تزور محمدا

نبيّ يرى ما لا ترون و ذكره *** أغار لعمري في البلاد و أنجدا

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم *** تراحي و تلقي من فواضله يدا

فبلغ خبره قريشا فرصدوه على طريقه و قالوا: هذا صنّاجة العرب، ما مدح أحدا قطّ/إلاّ رفع في قدره: فلما ورد عليهم قالوا له: أين أردت يا أبا بصير؟ قال: /أردت صاحبكم هذا لأسلم، قالوا: إنه ينهاك عن خلال و يحرّمها عليك، و كلّها بك رافق و لك موافق. قال: و ما هنّ؟ فقال أبو سفيان بن حرب: الزّنا: قال: لقد تركني الزّنا و مما تركته؛ ثم ما ذا؟ قال: القمار. قال: لعلّي إن لقيته أن أصيب منه عوضا من القمار؛ ثم ما ذا؟ قالوا: الرّبا.

قال: ما دنت و لا ادّنت؛ ثم ما ذا؟ قالوا: الخمر. قال: أوّه! أرجع إلى صبابة قد بقيت لي في المهراس(1) فأشربها.

فقال له أبو سفيان: هل لك في خير مما هممت به؟ قال: و ما هو؟ قال: نحن و هو الآن في هدنة، فتأخذ مائة من الإبل و ترجع إلى بلدك سنتك هذه و تنظر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفا، و إن ظهر علينا أتيته. فقال: ما أكره ذلك. فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، هذا الأعشى! و اللّه لئن أتى محمدا و اتّبعه ليضر منّ عليكم نيران العرب بشعره، فاجمعوا له مائة من الإبل، ففعلوا؛ فأخذها و انطلق إلى بلده. فلما كان بقاع منفوحة(2) رمى به بعيره فقتله.

قبره بمنفوحة يتنادم عليه الفتيان:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة قال. قبر الأعشى بمنفوحة و أنا رأيته؛ فإذا أراد الفتيان أن يشربوا خرجوا إلى قبره فشربوا عنده و صبّوا عنده فضلات الأقداح.

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا عليّ بن سليمان النّوفلي قال حدّثنا أبي قال: أتيت اليمامة واليا عليها، فمررت بمنفوحة و هي منزل الأعشى التي يقول فيها:

بشطّ منفوحة فالحاجر

فقلت: أ هذه قرية الأعشى؟ قالوا نعم. فقلت: أين منزله؟ قالوا: ذاك و أشاروا إليه. قلت: فأين قبره؟ قالوا:

بفناء بيته. فعدلت إليه بالجيش/فانتهيت إلى قبره فإذا هو رطب. فقلت: ما لي أراه رطبا؟ فقالوا: إن الفتيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم، فإذا صار إليه القدح صبّوه عليه لقوله: «أرجع إلى اليمامة فأشبع من الأطيبين الزنا و الخمر».

صوت معبد المسمى بالدوامة في شعره:

و أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا الأطروش بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه:

أنّ ابن عائشة غنّى يوما:

هريرة ودّعها و إن لام لائم

ص: 87

1- المهراس: حجر منقور يسع كثيرا من الماء.

2- منفوحة: قرية مشهورة من نواحي اليمامة.

فأعجبته نفسه و رآه ينظر في أعطافه. فقيل له: لقد أصبحت اليوم تائها! فقال: و ما يمنعني من ذلك و قد أخذت عن أبي عبّاد معبد أحد عشر صوتا منها:

هريرة ودّعها و إن لام لائم

و أبو عبّاد مغنّي أهل المدينة و إمامهم!.

قال: و كان معبد يقول و اللّه لقد صنعت صوتا لا يقدر أن يغنّيه شبعان ممتلئ، و لا يقدر متكئ على أن يغنّيه حتى يجثو، و لا قائم حتى يقعد. قيل: و ما هو يا أبا عبّاد؟ قال إسحاق فأخبرني بذاك محمد بن سلاّم الجمحيّ أنه بلغه أن معبدا قاله. و أخبرني بهذا الخبر إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال: قال معبد: و اللّه لأغنّين صوتا لا يغنّيه مهموم و لا شبعان و لا حامل حمل، ثم غنّى:

و لقد قلت و الضم *** ير كثير البلابل

ليت شعري تمنّيا *** و المنى غير طائل

هل رسول مبلّغ *** فيؤدّي رسائلي

لحن معبد هذا خفيف ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق و يونس. و فيه ثقيل أوّل ينسب إليه أيضا، و يقال: إنه لأهل مكة.

صوت معبد المسمى بالمنمنم:

اشارة

و منها الصوت المسمّى بالمنمنم.

صوت

هاج ذا القلب من تذكّر جمل *** ما يهيج(1) المتيّم المحزونا

إذا تراءت على البلاط فلمّا *** واجهتنا كالشمس تعشي العيونا

ليلة السبت إذ نظرت إليها *** نظرة زادت الفؤاد جنونا

الشعر لإسماعيل بن يسار. و الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى. و فيه لدحمان ثاني ثقيل بالبنصر، ذكر الهشاميّ أنّه لا يشكّ فيه من غنائه. و قد مضت أخبار إسماعيل بن يسار في المائة المختارة فاستغني عن إعادتها هاهنا.

صوت

صوت معبد المسمى بمعقصات القرون:

آمن آل ليلى بالملا متربّع *** كما لاح وشم في الذراع مرجّع

سأتبع ليلى حيث سارت و خيّمت *** و ما الناس إلاّ ألف و مودّع

الشعر لعمرو بن سعيد بن زيد، و قيل: إنه للمجنون و إنّ مع هذين البيتين أخر و هي:

1- في الأصول: «ما يهيم المتيم المحزونا». و هو لا يستقيم لغة. و ورد في صدر البيت مما يرجح ما أثبتناه.

وقفت لليلى بعد عشرين حجّة *** بمنزلة فانهلّت العين تدمع

فأمرض قلبي حبّها و طلابها *** فيا آل ليلى دعوة كيف أصنع

سأتبع ليلى حيث حلّت و خيّمت *** و ما الناس إلاّ آلف و مودّع

كأنّ زماما في الفؤاد معلّقا *** تقود به حيث استمرّت و أتبع

/و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى. و قد ذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أن هذا الصوت منحول إلى معبد و أنه مما يشبه غناءه. و ذكر ابن الكلبيّ عن محمد بن يزيد أن معبدا أخذ لحن سائب خاثر في:

أ فاطم مهلا بعض هذا التدلّل

فغنّى فيه:

أ من آل ليلى بالملا متربّع

6 - نسب عمرو بن سعيد بن زيد و أخباره

اشارة

6 - نسب عمرو بن(1) سعيد بن زيد و أخباره

نسبه، و شيء عن أبيه سعيد بن زيد:

هو عمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح(2) بن عبد اللّه بن قرط(3) بن رزاح بن عديّ بن كعب بن لؤيّ بن غالب. و سعيد بن زيد يكنى أبا الأعور، و هو أحد العشرة الذين كانوا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على حراء فرجف بهم، فقال: «اثبت حراء(4) فليس عليك إلاّ نبيّ أو صدّيق أو شهيد».

معبد و ابن عائشة في حضرة الوليد بن يزيد:

اشارة

أخبرني ابن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال حدّثني الهيثم بن سفيان عن أبي مسكين قال:

جلس الوليد بن يزيد يوما للمغنّين و كانوا متوافرين عنده و فيهم معبد و ابن عائشة؛ فقال لابن عائشة: يا محمد. قال: لبّيك يا أمير المؤمنين. قال: إنّي قد قلت شعرا فغنّ فيه. قال و ما هو؟ فأنشده إيّاه، و ترنّم به محمد ثم غنّاه فأحسن، و هو:

صوت

علّلاني و اسقياني *** من شراب أصبهاني

من شراب الشيخ كسرى *** أو شراب القيروان

إنّ في الكأس لمسكا *** أو بكفّي من سقاني

أو لقد غودر فيها *** حين صبّت في الدّنان

كلّلاني توّجاني *** و بشعري غنّياني

1- لم يورد المؤلف شيئا من أخبار عمرو بن سعيد غير هذه الأسطر و كل ما يأتي بعد ليس مرتبطا به فلعل هاهنا خرما.

2- كذا في «طبقات ابن سعد»: (ج 3 ص 190) و «كتاب المعارف»: لابن قتيبة. و في الأصول: «رباح» بالباء الموحدة. و قد ورد هذا النسب في «المعارف» لابن قتيبة هكذا «عبد العزى بن قرط بن رياح بن عبد اللّه بن رزاح... إلخ».

3- كذا في أ: و «طبقات ابن سعد» و «المعارف» لابن قتيبة: و في الأصول: «قرظ» بالظاء المعجمة و هو تصحيف.

4- في «شرح القسطلاني على صحيح البخاري»: (ج 6 ص 114-115) «أن أنس بن مالك رضي اللّه عنه حدثهم أن النبيّ صلى اللّه عليه و سلم صعد أحدا و أبو بكر و عمرو و عثمان فرجف بهم فقال: أثبت أحد فإنما عليك نبي و صديق و شهيدان». و قد جاء في «سنن الترمذي» و «سنن أبي داود» كما جاء في الأصل.

أطلقاني بوثاقي *** و اشدداني بعناني

إنّما الكأس ربيع *** يتعاطى بالبنان

و حميّا الكأس دبّت *** بين رجلي و لساني

– الغناء لابن عائشة هزج بالبنصر من رواية حبش – قال: فأجاد ابن عائشة و استحسن غناءه من حضر؛ فالتفت إلى معبد فقال: كيف ترى يا أبا عبّاد؟ فقال له معبد: شنت غناءك بصلفك. قال ابن عائشة: يا أحول! و اللّه لو لا أنّك شيخنا و أنّك في مجلس أمير المؤمنين لأعلمتك من الشائن لغنائه أنا بصلفى أم أنت بقبح وجهك. و فطن الوليد بحركتهما فقال: ما هذا؟ فقال: خير يا أمير المؤمنين، لحن كان معبد طارحنيه فأنسيته فسألته عنه لأغنّي فيه أمير المؤمنين. فقال و ما هو؟ قال:

أ من آل ليلى بالملا متربّع *** كما لاح وشم في الذّراع مرجّع

فقال: هات يا معبد، فغنّاه إيّاه؛ فاستحسنه الوليد و قال: أنت و اللّه سيّد من غنّى. و هذا الخبر أيضا مما يدلّ على أن ما ذكره حمّاد من أنّ هذا الصوت منحول لمعبد لا حقيقة له.

أحمد بن أبي العلاء يغني المعتضد بشعر الوليد فيجيزه:

أخبرني محمد بن إبراهيم قريض قال حدّثني أحمد بن أبي العلاء المغنّي قال: غنّيت المعتضد صوتا في شعر له ثم أتبعته بشعر الوليد بن يزيد:

كلّلاني توّجاني *** و بشعري غنّياني

فقال: أحسن و اللّه! هكذا تقول الملوك المترفون، و هكذا يطربون، و بمثل هذا يشيرون، و إليه يرتاحون! أحسنت يا أحمد الاختيار لما شاكل الحال، و أحسنت الغناء، أعد؛ فأعدته، فأمر لي بعشرة آلاف درهم و شرب رطلا ثم استعاده فأعدته، و فعل مثل ذلك حتى استعاده ستّ مرّات و شرب ستّة أرطال و أمر لي بعشرة آلاف درهم – و قال مرة أخرى بستمائة دينار – ثم سكر. و ما رثي قبل ذلك و لا بعده أعطي مغنّيا هذه العطيّة. و في الخبر زيادة و قد ذكرته في موضعت آخر يصلح له.

و قد ذكر محمد بن الحسن الكاتب عن أحمد بن سهل النّوشجاني أنه حضر أحمد بن أبي العلاء و قد غنّى المعتضد هذا الصوت في هذا المجلس و أمر له بهذا المال بعينه و لم يشرح القصّة كما شرحها أحمد.

و منها صوت و هو المتبختر

صوت معبد المسمى بالمتبختر:

جعل اللّه جعفرا لك بعلا *** و شفاء من حادث الأوصاب

/إذ تقولين للوليدة قومي *** فانظري من ترين بالأبواب

الشعر للأحوص. و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالبنصر. و ذكر حمّاد عن أبيه في كتاب معبد أنه منحول إلى معبد و أنه لكردم.

ص: 91

صوت و هو المسمى مقطّع الأثفار

ضوء نار بدا لعينك أم شبّ *** ت بذي الأثل من سلامة نار

تلك بين الرّياض و الأثل و البا *** نات منّا و من سلامة دار

/و كذاك الزمان يذهب بالنا *** س و تبقى الرّسوم و الآثار

الشعر للأحوص. و الغناء لمعبد خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. و ذكر يونس أن فيه صوتين لمعبد و عمر الواديّ رمل عن الهشاميّ. و فيه لعبد اللّه بن العبّاس خفيف رمل بالوسطى.

الأحوص و موسى شهوات:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا عمّي قال:

مدح موسى شهوات أبا بكر بن عبد العزيز بن مروان بقصيدة أحسن فيها و أجاد و قال فيها:

و كذاك الزمان يذهب بالنا *** س و تبقى الديار و الآثار

فقام الأحوص و دخل منزله و قال قصيدة مدح فيها أبا بكر بن عبد العزيز أيضا و أتى فيها بهذا البيت بعينه و خرج فأنشدها. فقال له موسى شهوات: ما رأيت يا أحوص مثلك! قلت قصيدة مدحت فيها الأمير فسرقت أجود بيت فيها و جعلته في قصيدتك. فقال له الأحوص: ليس الأمر كما ذكرت، و لا البيت لي و لا لك، هو للبيد سرقناه جميعا منه، إنما ذكر لبيد قومه فقال:

فعفا آخر الزمان عليهم *** فعلى آخر الزمان الدّبار(1)

و كذاك الزمان يذهب بالنا *** س و تبقى الرّسوم و الآثار

قال: فسكت موسى شهوات فلم يحر جوابا كأنما ألقمه حجرا.

حديث سلامة مع الأحوص و عبد الرحمن بن حسان و هو كما يرى أبو الفرج موضوع:

و نسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدّمشقي خبر الأحوص مع سلاّمة التي ذكرها في هذا الشعر و هو موضوع لا أشكّ فيه لأن شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقط سخيف لا يشبه نمط الأحوص، و التوليد بيّن فيه يشهد على أنه محدث. /و القصّة أيضا باطلة لا أصل لها؛ و لكنّي ذكرته في موضعه على ما فيه من سوء العهدة. قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني أبو محمد الجزريّ قال:

كانت بالمدينة سلامة من أحسن الناس وجها و أتمّهن عقلا و أحسنهن حديثا قد قرأت القرآن و روت الأشعار و قالت الشعر، و كان عبد الرحمن بن حسّان و الأحوص بن محمد يختلفان إليها فيروّيانها الشعر و يناشدانها إيّاه.

فعلقت الأحوص و صدّت عن عبد الرحمن. فقال لها عبد الرحمن يعرّض لها بما ظنّه من ذلك:

أرى الإقبال منك على خليلي *** و ما لي في حديثكم نصيب

فأجابته:

ص: 92

1- الدبار: الهلاك.

لأن اللّه علّقه فؤادي *** فحاز الحبّ دونكم الحبيب

/فقال الأحوص:

خليلي لا تلمها في هواها *** ألذّ العيش ما تهوى القلوب

قال: فأضـرب عنها ابن حسّان و خرج ممتدحا ليزيد بن معاوية فأكرمه و أعطاه. فلما أراد الانصراف قال له: يا أمير المؤمنين، عندي نصيحة. قال: و ما هي؟ جاريـة خلّفتها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس و أكملهم و أعقلهم و لا تصـلح أن تكون إلاّ لأمير المؤمنين و في سمّاره: فأرسل إليها يزيد فاشتريت له و حملت إليه؛ فوقعت منه موقعا عظيما و فضّلها على جميع من عنده. و قدم عبد الرحمن المدينة فمرّ بالأحوص و هو قاعد على باب داره و هو مهموم، فأراد أن يزيده إلى ما به فقال:

يا مبتلى بالحب مفدوحا *** لاقى من الحبّ تباريحا

ألجمه الحبّ فما ينثني *** إلاّ بكأس الشوق مصبوحا

و صار ما يعجبه مغلقا *** عنه و ما يكره مفتوحا

/قد حازها من أصبحت عنده *** ينال منها الشّمّ و الرّيحا

خليفة اللّه فسلّ الهوى *** و عزّ قلبا منك مجروحا

فأمسك الأحوص عن جوابه. ثم إن شابّين من بني أميّة أرادا الوفادة إلى يزيد، فأتاهما الأحوص فسألهما أن يحملا له كتابا ففعلا. فكتب إليها معهما:

سلام ذكرك ملصق بلساني *** و على هواك تعودني أحزاني

ما لي رأيتك في المنام مطيعة *** و إذا انتبهت لججت في العصيان

أبدا محبّك ممسك بفؤاده *** يخشى اللّجاجة منك في الهجران

إن كنت عاتبة فإنّي معتب *** بعد الإساءة فاقبلي إحساني

لا تقتلي رجلا يراك لما به *** مثل الشراب لغلّة الظمآن

و لقد أقول لقاطنين من اهلنا *** كانا على خلقي من الإخوان

يا صاحبيّ على فؤادي جمرة *** و برى الهوى جسمي كما تريان

أمرقّيان(1) إلى سلامة أنتما *** ما قد لقيت بها و تحتسبان

لا أستطيع الصبر عنها إنها *** من مهجتي نزلت بكلّ مكان

قال: ثم غلبه جزعه فخرج إلى يزيد ممتدحا له. فلما قدم عليه قرّبه و أكرمه و بلغ لديه كلّ مبلغ. فدسّت إليه سلامة خادما و أعطته مالا على أن يدخله إليها. فأخبر الخادم يزيد بذلك؛ فقال: امض برسالتها. ففعل ما أمره به و أدخل الأحوص، و جلس يزيد بحيث يراهما. فلما بصرت الجارية بالأحوص بكت إليه و بكى إليها، و أمرت فألقي له

1- أمرقيان إلى سلامة أي أرافعان إليها.

كرسـيّ فقعد عليه، و جعل كلّ واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدّة الشوق. فلم يزالا/يتحدّثان إلى السّحر و يزيد يسمع كلامهما من غير أن تكون بينهما ريبة. حتى إذا همّ بالخروج قال:

أمسى فؤادي في همّ و بلبال *** من حبّ من لم أزل منه على بال

/فقالت:

صحا المحبّون بعد النأي إذ يئسوا *** و قد يئست و ما أصحو على حال

فقال:

من كان يسلو بيأس عن أخي ثقة *** فعن سلامة ما أمسيت بالسّالي

فقالت:

و اللّه و اللّه لا أنساك يا سكني *** حتى يفارق منّي الرّوح أوصالي

فقال:

و اللّه ما خاب من أمسى و أنت له *** يا قرّة العين في أهل و في مال

ثم ودّعها و خرج. فأخـذه يزيـد و دعا بها فقال: أخبراني عمّا كان جرى بينكما في ليلتكما و اصـدقاني. فأخبراه و أنشداه ما قالاه، فلم يخرما حرفا و لا غيّرا شيئا مما سمعه. فقال له يزيد: أ تحبّها يا أحوص؟ قال: إي و اللّه يا أمير المؤمنين.

حبا شديدا تليدا غير مطرف *** بين الجوانح مثل النار يضطرم

فقال لها: أ تحبّينه؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين.

حبا شديدا جرى كالرّوح في جسدي *** فهل يفرّق بين الرّوح و الجسد

فقال يزيـد: إنكما لتصـفان حبا شديدا، خذها يا أحوص فهي لك، و وصـله بصـلة سـنيّة، و انصـرف بها و بالجارية إلى الحجاز و هو من أقرّ الناس عينا. مضى الحديث.

أصوات معبد المسمّاة مدن معبد و تسمّى أيضا حصون معبد

مدن معبد أو حصونه:

أخبرني ابن أبي الأزهر و الحسـين بن يحيى عن حمّاد بن إسـحاق عن أبيه، قال حسـين في خبره و اللفظ له عن إسماعيل بن جامع عن يونس الكاتب قال:

قال معبد و قد سمع رجلا يقول: إن قتيبة بن مسلم فتح سبعة حصون أو سبع مدن بخراسان فيها سبعة حصون صعبة المرتقى و المسالك لم يوصل إليها قطّ. فقال: و اللّه لقد صنعت سبعة ألحان كلّ لحن منها أشدّ من فتح تلك الحصون. فسئل عنها فقال:

لعمري لئن شطّت بعثمة دارها

و:

هريرة ودّعها و إن لام لائم

و:

رأيت عرابة الأوسيّ يسمو

و:

كم بذاك الحجون من حيّ صدق

و:

لو تعلمين الغيب أيقنت أنني

و:

يا دار عبلة بالجواء تكلّمي

و:

ودّع هريرة إنّ الركب مرتحل

و من الناس من يروي مدن معبد:

تقطّع من ظلاّمة الوصل أجمع

و:

خمصانة قلق موشّحها

و:

يوم تبدي لنا قتيلة

/مكان:

كم بذاك الحجون من حي صدق

و:

لو تعلمين الغيب أيقنت أنني

و:

يا دار عبلة بالجواء تكلّمي

نسبة هذه الأصوات و أخبارها

صوت

لعمري لئن شطّت بعثمة دارها *** لقد كدت من وشك الفراق أليح

أروح بهمّ ثم أغدو بمثله *** و يحسب أنّي في الثياب صحيح

/عروضه من الطويل. شطّت: بعدت. و وشك الفراق: دنوّه و سرعته. و أليح: أشفق و أجزع. الشعر لعبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة الفقيه. و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر من رواية يونس و إسحاق و عمرو و غيرهم. و فيه رمل يقال: إنه لابن سريج.

7 - ذكر عبيد اللّه بن عبد اللّه و نسبه

نسبه، و عداده في بني زهرة:

هو عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة بن مسعود بن غافل(1) بن حبيب بن شمخ(2) بن فأر(3) بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. و هو في حلفاء بني زهرة من قريش و عداده فيهم.

كان لجده صحبة و ليس بدريا:

و عتبة بن مسعود و عبد اللّه بن مسعود البدريّ صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أخوان، و لعتبة صحبة بالنبيّ صلى اللّه عليه و سلم و ليس من البدريّين.

استعمل أباه عمر بن الخطاب:

و كان ابنه عبد اللّه أبو عبيد اللّه بن عبد اللّه رجلا صالحا، و استعمله عمر بن الخطّاب فأحمده.

أخواه عون و عبد الرحمن و شيء عنهما:

و لعبيد اللّه بن عبد اللّه أخوان عون و عبد الرحمن.

و كان عون من أهل الفقه و الأدب، و كان يقول بالإرجاء ثم رجع عنه. و قال - و كان شاعرا -:

فأوّل ما أفارق غير شكّ *** أفارق ما يقول المرجئونا

و قالوا مؤمن من آل جور *** و ليس المؤمنون بجائرينا

و قالوا مؤمن دمه حلال *** و قد حرمت دماء المؤمنينا

و خرج مع ابن الأشعث، فلمّا هزم هرب، و طلبه الحجّاج؛ فأتى محمد بن مروان بن الحكم بنصيبين فأمّنه و ألزمه ابنيه مروان بن محمد و عبد الرحمن بن محمد. فقال له: كيف رأيت ابني أخيك؟ قال: أمّا عبد الرحمن فطفل، و أمّا مروان فإني/إن أتيته حجب، و إن قعدت عنه عتب، و إن عاتبته صخب، و إن صاحبته غضب. ثم تركه و لزم عمر بن عبد العزيز فلم يزل معه. ذكر ذلك كلّه و معانيه الأصمعيّ عن أبي نوفل الهذليّ عن أبيه: و لعون يقول جرير:

يا أيّها القارئ المرخي عمامته *** هذا زمانك إنّي قد مضى زمني

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه *** أنّي لدى الباب كالمصفود في قرن

1- كذا في «طبقات ابن سعد»: (ج 2 ص 106) و «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج 1 ص 370) و في الأصول: «وائل».

2- كذا في «طبقات ابن سعد و الاستيعاب»: و في الأصول: «شيخ».

3- كذا في «الطبقات و الاستيعاب»: و في الأصول: «قار» بالقاف.

و خبره يأتي في أخبار جرير(1).

كان فقيها، و هو أحد السبعة بالمدينة:

و أمّا عبد الرحمن فلم تكن له نباهة أخويه و فضلهما فسقط ذكره.

و أمّا عبيد اللّه فإنه أحد وجوه الفقهاء الذين روي عنهم الفقه و الحديث. و هو أحد السبعة من أهل المدينة، و هم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق، و عروة بن الزّبير، و أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و سعيد بن المسيّب، و عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة، و خارجة بن زيد بن ثابت، و سليمان بن يسار. و كان عبيد اللّه ضريرا. و قد روى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل ابن عبّاس و عبد اللّه بن مسعود عمّه و أبي هريرة. و روى عنه الزّهريّ و ابن أبي الزناد و غيرهما من نظرائهما.

كان يؤثره ابن عباس:

و كان عبد اللّه بن عباس يقدّمه و يؤثره.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا عبد اللّه بن أحمد بن حنبل قال حدّثنا أبي قال حدّثنا يونس بن محمد قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن معمر عن الزّهريّ قال:

كان/عبيد اللّه بن عبد اللّه يلطف لابن عبّاس فكان يعزّه عزّا.

حديث الزهري عنه و كان كثير الاتصال به:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار عن محمد بن الحسن عن مالك بن أنس عن ابن شهاب الزّهريّ قال:

/كنت أخدم عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة حتى إن كنت لأستقي الماء الملح و إن كان ليسأل جاريته فتقول:

غلامك الأعمش.

أخبرني وكيع قال حدّثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه قال حدّثنا عبد الرزّاق عن معمر عن الزّهريّ قال:

أدركت أربعة بحور، عبيد اللّه بن عبد اللّه أحدهم.

أخبرني وكيع قال حدّثنا محمد قال حدّثنا حامد بن يحيى عن ابن عيينة عن الزّهريّ قال:

سمعت من العلم شيئا كثيرا، فلما لقيت عبيد اللّه بن عبد اللّه كأني كنت(2) في شعب من الشّعاب فوقعت في الوادي؛ و قال مرّة: صرت كأنّي لم أسمع من العلم شيئا.

أثنى عليه عمر بن عبد العزيز:

أخبرني وكيع قال حدّثني بشر بن موسى قال حدّثنا الحميديّ عن ابن عيينة عن عليّ بن زيد بن جدعان قال:

كان عمر بن عبد العزيز يقول: ليت لي مجلسا من عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة بدية.

ص: 97

1- مضى هذا الخبر في «ترجمة جرير»: في ج 8 ص 47 من هذه الطبعة.

2- لعل صوابه: «صرت كأني كنت... إلخ».

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال حدّثني عمّي عن يعقوب بن عبد الرحمن الزّهريّ عن حمزة بن عبد اللّه قال:

قال عمر بن عبد العزيز: لو كان عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة حيّا ما صدرت إلاّ عن رأيه، و لوددت أنّ لي بيوم من عبيد اللّه غرما. قال ذلك في خلافته.

ما جرى بين عمر بن عبد العزيز و عروة في شأن عائشة و ابن الزبير أمامه، ثم شعره لعمر حين أرسل إليه:

أخبرنا محمد بن جرير الطّبريّ و عمّ أبي عبد العزيز بن أحمد و محمد بن العباس اليزيديّ و الطّوسيّ و وكيع و الحرميّ بن أبي العلاء و طاهر بن عبد اللّه الهاشميّ، قالوا حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا إبراهيم بن طلحة بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصّدّيق و ابن أخيه يحيى بن محمد بن طلحة جميعا عن عثمان بن عمر بن موسى عن الزّهريّ قال:

دخل عروة بن الزبير و عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة على عمر بن عبد العزيز و هو أمير المدينة. فقال عروة لشيء حدّث به من ذكر عائشة و عبد اللّه بن الزبير: سمعت عائشة تقول: ما أحببت أحدا حبّي عبد اللّه بن الزّبير لا أعني رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و لا أبويّ. فقال عمر: إنكم لتنتحلون عائشة لابن الزّبير انتحال من لا يرى لكل مسلم معه فيها نصيبا.

فقال عروة: بركة عائشة كانت أوسع من ألاّ يرى لكل مسلم فيها حقّ، و لقد كان عبد اللّه منها بحيث وضعته الرّحم و المودّة التي لا يشرك كلّ واحد منهما فيه عند صاحبه أحد. فقال عمر: كذبت. فقال عروة: هذا عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة بن مسعود يعلم أنّي غير كاذب، و إنّ من أكذب الكاذبين من كذّب الصادقين. فسكت عبيد اللّه و لم يدخل بينهما في شيء. فأقّف بهما عمر و قال: اخرجا عنّي. ثم لم يلبث أن بعث إلى عبيد اللّه بن عبد اللّه رسولا يدعوه لبعض ما كان يدعوه إليه. فكتب إليه عبيد اللّه:

لعمر ابن ليلى(1) و ابن عائشة التي *** لمروان أدّته، أب غير زمّل(2)

لو انهم عمّا و جدّا و والدا *** تأسّوا فسنّوا سنّة المتعطّل

/عذرت أبا حفص و إن كان واحدا *** من القوم يهدي هديهم ليس يأتلي

/و لكنهم فاتوا و جئت مصلّيا *** تقرّب(3) إثر السابق المتمهل

و عمت(4) فإن تسبق فضنء مبرّز *** جواد و إن تسبق فنفسك فاعذل

فمالك بالسلطان أن تحمل القذى *** جفون عيون بالقذى لم تكحّل

و ما الحقّ أن تهوى فتسعف بالذي *** هويت إذا ما كان ليس بأعدل

أبى اللّه و الأحساب أن ترأم(5) الخنى *** نفوس كرام بالخنا لم توكّل

1- ابن ليلى به يعني به عبد العزيز بن مروان و هي ليلى بنت زبان بن الأصبغ بن عمرو. و ابن عائشة يريد به عبد الملك بن مروان و هي

عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية.

2- الزمل: الضعيف الساقط.

3- التقريب: عدو دون الإسراع.

4- عمت: سرت.

5- ترأم الخنى: ترضاه و تستسغيه.

قال الزبير في خبره وحده: الضّنء و الضّنء: الولد. قال: و أنشد الخليل بن أسد قال أنشدني دهثم:

ابن عجوز ضنؤها غير أمر(1) *** لو نحرت في بيتها عشر جزر

لأصبحت من لحمهنّ تعتذر *** تغدو على الحيّ بعود من سمر

حتى يفرّ أهلها كلّ مفرّ

حجبه عمر بن عبد العزيز فقال فيه شعرا ثم اعتذر فعذره:

أخبرني الحسن بن عليّ و وكيع قالا حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزّبير، و أخبرناه الحرميّ بن أبي العلاء إجازة قال حدّثنا الزّبير عن ابن أبي أويس عن بكّار بن حارثة عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عروة:

أن عبيد اللّه بن عبد اللّه جاء إلى عمر بن عبد العزيز فاستأذن عليه، فردّه الحاجب و قال له: عنده عبد اللّه بن عمرو بن عثمان بن عفّان و هو مختل به، فانصرف غضبان. و كان في صلاحه ربما صنع الأبيات، فقال لعمر:

ابن لي فكن مثلي أو ابتغ صاحبا *** كمثلك إنّي تابع صاحبا مثلي

/عزيز إخائي لا ينال مودّتي *** من الناس إلاّ مسلم كامل العقل

و ما يلبث الفتيان أن يتفرّقوا *** إذا لم يؤلّف روح شكل إلى شكل

قال: فأخبر عمر بأبياته؛ فبعث إليه أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة و عراك بن مالك يعذرانه عنده و يقولان: إن عمر يقسم باللّه ما علم بأبياتك و لا بردّ الحاجب إياك، فعذره. قال الزّبير و قد أنشدني محمد بن الحسن قال أنشدني محزر بن جعفر لعبيد اللّه بن عبد اللّه هذه الأبيات و زاد فيها و هو أوّلها:

و إنّي امرؤ من يصفني الودّ يلفني *** و إن نزحت دار به دائم الوصل

عزيز إخائي لا ينال مودّتي *** من الناس إلاّ مسلم كامل العقل

و لو لا اتّقائي اللّه قلت قصيدة *** تسير بها الرّكبان أبردها يغلي

بها تنقض الأحلاس(2) في كلّ منزل *** ، و ينفي الكرى عنه بها صاحب الرّحل

كفاني يسير إذ أراك بحاجتي *** كليل اللسان ما تمرّ و ما تحلي(3)

تلاوذ(4) بالأبواب منّي مخافة ال *** ملامة و الإخلاف شرّ من البخل

و ذكر الأبيات الأول بعد هذه.

شعره في عراك و ابن حزم حين علم أنهما مرّا عليه و لم يسلما:

اشارة

أخبرني وكيع قال حدّثني عليّ بن حرب الموصليّ قال حدّثنا إسماعيل بن ريّان الطائي قال سمعت ابن إدريس يقول:

1- الأمر: الكثير.

2- الأحلاس: جمع حلس و هو كل ما ولي ظهر البعير و الدابة تحت الرحل و القتب و السرج.

3- ما تمر و ما تحلى: ما تضر و ما تنفع.

4- تلاوذ: تراوغ.

كـان عراك بن مالـك و أبو بكر بن حزم و عبيـد اللّه بن عبـد اللّه بن عتبـة يتجـالسون بالمدينـة زمانـا. ثم أن ابن حزم ولي إمرتها و ولي عراك القضاء، و كانا يمرّان بعبيد اللّه فلا يسلّمان عليه و لا يقفان، و كان/ضريرا فأخبر بذلك، فأنشأ يقول:

/

ألا أبلغا عنّي عراك بن مالك *** و لا تدعا أن تثنيا بأبي بكر

فقد جعلت تبدو شواكل منكما *** كأنّكما بي موقران من الصّخر

و طاوعتما بي داعكا(1) ذا معاكة *** لعمري لقد أزرى و ما مثله يزري

و لو لا اتّقائي ثم بقياي فيكما *** للمتكما لوما أحرّ من الجمر

صوت

فمسّا تراب الأرض منها خلقتما *** و منها المعاد و المصير إلى الحشر

و لا تأنفا أن تسألا و تسلّما *** فما خشي الإنسان شرّا من الكبر

فلو شئت أن ألفي عدوّا و طاعنا *** لألفيته أو قال عندي في السرّ

فإن أنا لم آمر و لم أنه عنكما *** ضحكت له حتى يلجّ و يستشري

عروضه من الطويل. غنّي في:

فمسّا تراب الأرض منها خلقتما

و الذي بعده لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة و ابن المكّيّ و يونس و غيرهم. و زعم ابن شهاب الزّهريّ أن عبيد اللّه قال هـذه الأبيات في عمر بن عبد العزيز و عمرو بن عثمان، يعني [أن] الأبيات الأول ليست منها في شـيء، و إنما أدخلت فيها لاتّفاق الرّويّ و القافية.

أخبرني أحمـد بن عبـد العزيز قال حدّثنا عمر بن شـبّة قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحزاميّ قال حدّثنا إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن ابن شهاب قال:

/جئت عبيـد اللّه بن عبد اللّه يوما في منزله فوجدته ينفخ و هو مغتاظ؛ فقلت له: مالك؟ قال: جئت أميركم آنفا - يعني عمر بن عبد العزيز - فسلّمت عليه و على عبد اللّه بن عمرو بن عثمان، فلم يردّا عليّ، فقلت:

فمسّا تراب الأرض منها خلقتما

و ذكر الأبيات الأربعة. قال فقلت له: رحمك اللّه! أ تقول الشعر في فضلك و نسكك! قال: إنّ المصدور إذا نفث برأ.

قال أبو زيـد حـدّثنا إبراهيم بن المنذر، و أنشدني هذه الأبيات عبد العزيز بن أبي ثابت عن ابن أبي الزّناد له و ذكر مثل ذلك و أنها في عمر بن عبد العزيز و عبد اللّه بن عمرو، و زاد فيها:

و كيف يريدان ابن تسعين حجّة *** على ما أتى و هو ابن عشرين أو عشر

1- الداعك: الأحمق. و المعاكة: الحمق.

شيء من شعره:

و لعبيد اللّه بن عبد اللّه شعر فحل جيّد ليس بالكثير. منه قوله:

إذا كان لي سرّ فحدّثته العدا *** و ضاق به صدري فللنّاس أعذر

و سرّك ما استودعته و كتمته *** و ليس بسرّ حين يفشو و يظهر

و قوله لابن شهاب الزّهريّ:

إذا قلت أمّا بعد لم يثن منطقي *** فحاذر إذا ما قلت كيف أقول

إذا شئت أن تلقى خليلا مصافيا *** لقيت و إخوان الثّقات قليل

استحسن جامع بن مرخية شعره فأجازه:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عبد الجبار بن سعيد المساحقيّ عن ابن أبي الزّناد عن أبيه قال:

أنشد عبيد اللّه بن عبد اللّه جامع بن مرخية/الكلابيّ لنفسه:

لعمر أبي المحصين أيام نلتقي *** لما لا نلاقيها من الدهر أكثر

/يعدّون يوما واحدا إن أتيتها *** و ينسون ما كانت على الدهر تهجر

و إن أولع الواشون عمدا بوصلنا *** فنحن بتجديد المودة أبصر

قال: فأعجبت أبياته هذه جامعا، فسرّ ذلك عبيد اللّه فكساه و حمله.

جامع بن مرخية هذا من شعراء الحجاز، و هو الذي يقول:

سألت سعيد بن المسيّب مفتى ال *** مدينة هل في حبّ ظمياء من وزر

فقال سعيد بن المسيّب إنما *** تلام على ما تستطيع من الأمر

فبلغ قوله سعيدا، فقال: كذب و اللّه! ما سألني و لا أفتيته بما قال. أخبرني بذلك الحرميّ بن أبي العلاء عن الزّبير.

مختارات من شعره:

اشارة

و من جيّد شعر عبيد اللّه و سهله:

أعاذل عاجل ما أشتهي *** أحبّ من الآجل الرائث(1)

سأنفق مالي على لذّتي *** و أوثر نفسي على الوارث

أبادر إهلاك مستهلك *** لمالي أو عبث العابث

و قوله يفتخر في أبيات:

إذا هي حلّت وسط عوذ(2) ابن غالب *** فذلك ودّ نازح لا أطالعه

1- الرائث: البطيء.

2- عوذ: جمع عائذ و هي الحديثة النتاج من الإبل و غيرها.

شددت حيازيمي(1) على قلب حازم *** كتوم لما ضمّت عليه أضالعه

أداجي رجالا لست مطلع بعضهم *** على سرّ بعض إنّ صدري واسعه

بنى لي عبد اللّه في ذروة العلا *** و عتبة مجدا لا تنال مصانعه

و قوله و فيه غناء:

صوت

إن يك ذا الدهر قد أضرّ بنا *** من غير ذحل(2) فربّما نفعا

أبكي على ذلك الزمان و لا *** أحسب شيئا قد فات مرتجعا

إذ نحن في ظلّ نعمة سلفت *** كانت لها كلّ نعمة تبعا

عروضه من المنسرح. غنّت فيها عريب خفيف رمل عن الهشاميّ.

قدمت المدينة مكية فتنت الناس فشبب بها:

حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ و الحرميّ بن أبي العلاء و وكيع قالوا حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني إسماعيل بن يعقوب عن ابن أبي الزّناد عن أبيه قال:

قدمت المدينة امرأة من ناحية مكة من هذيل، و كانت جميلة فخطبها الناس، و كادت تذهب بعقول أكثرهم.

فقال فيها عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة:

أحبّك حبّا لو علمت ببعضه *** لجدت و لم يصعب عليك شديد

و حبّك يا أمّ الصبيّ مدلّهي *** شهيدي أبو بكر و أيّ شهيد(3)

و يعلم وجدي القاسم بن محمد *** و عروة ما ألقى بكم و سعيد

و يعلم ما أخفي سليمان علمه *** و خارجة يبدي لنا و يعيد

/متى تسألي عمّا أقول فتخبري *** فللحبّ عندي طارف و تليد

فبلغت أبياته سعيد بن المسيّب، فقال: و اللّه لقد أمن أن تسألنا و علم أنها لو استشهدت بنا لم نشهد له بالباطل عندها.

و قال الزّبير: أبو بكر الذي ذكر و النّفر المسمّون معه: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و القاسم بن محمد بن أبي بكر، و عروة

بن الزّبير، و سعيد بن/المسيّب، و سليمان بن يسار، و خارجة بن زيد بن ثابت، و هم الفقهاء الذين أخذ عنهم أهل المدينة.

ص: 102

1- الحيزوم: وسط الصدر.

2- الذحل: الثأر.

3- في هذا البيت إقواء.

عتب على زوجة عثمة في بعض الأمر فطلقها و شعره فيها:

اشارة

أخبرني وكيع قال حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات عن أحمد بن سعيد الفهريّ عن إبراهيم بن المنذر بن عبد الملك بن الماجشون:

أن أبيات عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة التي أوّلها:

لعمري لئن شطّت بعثمة دارها *** لقد كدت من وشك الفراق أليح

قالها في زوجة له كانت تسمّى عثمة، فعتب عليها في بعض الأمر فطلّقها. و له فيها أشعار كثيرة، منها هذه الأبيات، و منها قوله يذكر ندمه على طلاقها:

كتمت الهوى حتى أضرّ بك الكتم *** و لامك أقوام و لومهم ظلم

و أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير قال قال لي عمّي:

لقيني عليّ بن صالح فأنشدني بيتا و سألني من قائله؟ و هل فيه زيادة؟ فقلت: لا أدري، و قد قدم ابن أخي - أعنيك - و قلّما فاتني شيء إلاّ وجدته عنده. قال الزبير: فأنشدني عمّي البيت و هو:

غراب و ظبي أعضب(1) القرن ناديا *** بصرم و صردان(2) العشيّ تصيح

فقلت له: قائله عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة، و تمامها:

لعمري لئن شطّت بعثمة دارها *** لقد كدت من وشك الفراق أليح

أروح بهمّ ثم أغدو بمثله *** و يحسب أنّي في الثياب صحيح

فكتبهما عمّي عنّي و انصرف بهما إليه.

صوت

ألا من لنفس لا تموت فينقضي *** عناها و لا تحيا حياة لها طعم

أ أترك إتيان الحبيب تأثّما *** ألا إنّ هجران الحبيب هو الإثم

فذق هجرها قد كنت تزعم أنه *** رشاد ألا يا ربّما كذب الزّعم

عروضه من الطويل. غنّى يونس في هذه الأبيات الثلاثة لحنا ماخوريّا و هو خفيف الثقيل الثاني من رواية إسحاق و يونس(3) و ابن المكّيّ

و غيرهم. و غنّت عريب في:

أ أترك إتيان الحبيب تأثّما

لحنا من الثقيل الأوّل، و أضافت إليه بعده على الولاء بيتين ليسا من هذا الشعر و هما:

و أقبل أقوال الوشاة تجرّما *** ألا إن أقوال الوشاة هي الجرم

و أشتاق لي إلفا على قرب داره *** لأنّ ملاقاة الحبيب هي الغنم

1- الأعضب القرن: المكسور القرن.

2- الصردان: جمع صرد و هو طائر أبقع أبيض البطن يتشاءم به.

3- يلاحظ أن صاحب هذا الغناء هو يونس؛ و يبعد أن يكون من رواته.

و مما قاله عبيد اللّه أيضا في زوجته هذه و غنّي فيه:

صوت

عفت أطلال عثمة بالغميم *** فأضحت و هي موحشة الرّسوم

و قد كنّا نحلّ بها و فيها *** هضيم الكشح جائلة البريم

عروضه من الوافر. عفت. درست. و الأطلال: ما شخص من آثار الديار. و الرّسوم: ما لم يكن له شخص منها و لا ارتفاع و إنما هو أثر. و الهضيم الكشح الخميص الحشى و البطن. و البريم: الخلخال، و قيل: بل هو اسم لكل ما يلبس من الحليّ في اليدين و الرجلين. و الجائل: ما يجول في موضعه لا يستقرّ. غنّى في هذين البيتين قفا النجّار.

و لحنه من القدر الأوسط من الثّقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر.

/و مما قاله في زوجته عثمة و فيها غناء:

صوت

تغلغل حبّ عثمة في فؤادي *** فباديه مع الخافي يسير

تغلغل حيث لم يبلغ شراب *** و لا حزن و لم يبلغ سرور

صدعت القلب ثم ذررت فيه *** هواك فليم و التأم الفطور(1)

أكاد إذا ذكرت العهد منها *** أطير لو انّ إنسانا يطير

غنيّ النفس أن أزداد حبّا *** و لكنّي إلى صلة فقير

و أنفذ جارحاك سواد قلبي *** فأنت عليّ ما عشنا أمير

لمعبد في الأوّل و الثاني من الأبيات هزج بالبنصر عن حبش، و ذكر أحمد بن عبيد اللّه أنه منحول من المكّيّ. و في الثالث ثم الثاني لأبي عيسى بن الرّشيد رمل.

قال ابن أبي الزّناد في الخبر الذي تقدّم ذكره عن عبيد اللّه و ما قاله من الشعر في عثمة و غيرها: فقيل له: أ تقول في مثل هذا؟! قال: في اللّدود راحة المفئود(2).

بلغه أن رجلا يقع ببعض الصحابة فجفاه:

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن عبد الرحمن قال حدّثنا ابن وهب عن يعقوب يعني ابن عبد الرحمن عن أبيه قال:

كان رجل يأتي عبيـد اللّه بن عبد اللّه و يجلس إليه. فبلغ عبيد اللّه أنه يقع ببعض أصـحاب رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم. فجاءه الرجل فلم يلتفت إليه عبيد اللّه. و كان الرجل شديد العقل، فقال له: يا أبا محمد، إن لك لشأنا، فإن رأيت لي عذرا فاقبل عذري. فقال له: أ تتّهم اللّه في علمه؟ قال: أعوذ باللّه. قال: أ تتّهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم/في حديثه؟ قال: أعوذ

1- الفطور: الشقوق.

2- اللدود: ما يصب بالمسعط من الدواء في أحد شقي الفم. و المفئود: الذي يشتكي فؤاده.

باللّه. قال: يقول اللّه عزّ و جل: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ و أنت تقع في فلان و هو ممن بايع، فهل بلغك أن اللّه سخط عليه بعد أن رضي عنه؟! قال: و اللّه لا أعود أبدا. قال: و الرجل عمر بن عبد العزيز(1).

صوته:

أخبرني وكيع عن أحمد بن زهير عن يحيى بن معين قال:

مات عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة سنة اثنتين و مائة، و يقال سنة تسع و تسعين أخبرني محمد بن جرير الطبريّ و الحسن بن عليّ عن الحارث(2) عن ابن سعد عن معن(3) عن محمد بن هلال: أن عبيد اللّه توفّي بالمدينة سنة ثمان و تسعين.

صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن:

اشارة

و منها(4):

صوت

/

ودّع هريرة إن الرّكب مرتحل *** و هل تطبق وداعا أيّها الرجل

غرّاء فرعاء مصقول عوارضها *** تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل(2)

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت *** كما استعان بريح عشرق زجل

علّقتها عرضا و علّقت رجلا *** غيري و علّق أخرى غيرها الرّجل

قالت هريرة لمّا جئت زائرها *** ويلي عليك و ويلي منك يا رجل

لم تمش ميلا و لم تركب على جمل *** و لم تر الشمس إلاّ دونها الكلل

/أقول للركب في درنى(5) و قد ثملوا *** شيموا و كيف يشيم الشارب الثّمل

كناطح صخرة يوما ليفلقها *** فلم يضرها و أوهى قرنه الوعل

أبلغ يزيد بني شيبان مألكة *** أبا ثبيت أ ما تنفكّ تأتكل

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا *** أو تنزلون فإنّا معشر نزل

و قد غدوت إلى الحانوت يتبعني *** شاو نشول مشلّ شلشل شول

في فتية كسيوف الهند قد علموا *** أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل

نازعتهم قضب الرّيحان متّكئا *** و قهوة مزّة راووقها خضل

ص: 105

1- يبعد تصديق مثل ذلك عن عمر بن عبد العزيز و هو من هو صلاحا و تقوى.

2- هو الحارث بن أبي أسامة. و ابن سعد هو سليمان بن سعد. (راجع ج 6 ص 359 من هذه الطبعة).

3- هو معن بن عيسى القزاز: (راجع «تهذيب التهذيب» ج 9 ص 498).

4- يريد أصوات. معبد التي تسمى مدن معبد، و قد مرت في صفحة 137.

5- درني: موضع بنواحي اليمامة، و قيل: بنواحي العراق.

غنّى معبد في الأوّل و الثاني في لحنه المذكور في مدن معبد لحنا من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. و ذكرت دنانير أن فيهما لابن سريج أيضا صنعة. و لمعبد أيضا في الرابع و الخامس و الثالث ثقيل أوّل، ذكره حبش، و قيل: بل هو لحن ابن سريج، و ذلك الصحيح. و لابن محرز في الثقيل في «إن تركبوا» و في «كناطح صخرة» ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق. و لحنين الحيريّ في «أبلغ يزيد بني شيبان» و «إن تركبوا» ثاني ثقيل آخر. و ذكر أحمد بن المكّيّ أن لابن محرز في «ودّع هريرة» و «تسمع للحلي» ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر. و في «و قد غدوت» و ما بعده رمل لابن سريج و مخارق عن الهشامي. و لابن سريج في «تسمع للحلى» و قبله «ودّع هريرة» رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و للغريض في «قالت هريرة» و «علّقتها عرضا» رمل. و في هذه الأبيات بعينها هزج ينسب إليه أيضا و إلى غيره. و في «تسمع للحلى» و «قالت هريرة» هزج لمحمد بن حسن بن مصعب. و في «لم تمش ميلا» و «أقول للركب» لابن سريج خفيف الثقيل الأوّل بالبنصر عن حبش. و في «قالت/هريرة» و «تسمع للحلى» لحن لابن سريج. و إن لحنين في البيتين الآخرين لحنا آخر. و قد مضت أخبار هريرة مع الأعشى في:

هريرة ودّعها و إن لام لائم

و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعيّ قال قلت لأعرابيّة: ما الغرّاء؟ قالت: التي بين حاجبيها بلج و في جبهتها اتساع تتباعد قصّتها معه عن حاجبيها فيكون بينهما نفنف(1). و قال أبو عبيدة: الفرعاء:

الكثيرة الشعر. و العوارض: الأسنان. و الهوينى تصغير الهونى، و الهونى: مؤنث الأهون. و الوجي: الظالع و هو الذي قد حفي فليس يكاد يستقلّ على رجله. و الوحل: الذي قد وقع في الوحل. /و العشرق: نبت يبس فتحرّكه الريح؛ شبّه صوت حليها بصوته. الزّجل: المصوّت من العشرق. و علّقتها: أحببتها. و عرضا: على غير موعد.

و الوعل: التّيس الجبليّ، و الجمع أوعال. مألكة: رسالة، و الجمع مآلك. ما تنفكّ: ما تزال. و تأتكل: تتحرّق.

و قال أبو عبيدة: الشاوي: الذي يشوي اللحم: و النّشول: الذي ينشل اللحم من القدر. و مشلّ: سوّاق سريع يسوق به. و شلشل: خفيف. و شول: طيّب الرّيح.

ما وقع بين بني كعب و بني همام، و قصيدة الأعشى في ذلك:

الشعر للأعشى و قد تقدّم نسبه و أخباره. يقول هذه القصيدة ليزيد بن مسهر أبي ثابت الشّيباني. قال أبو عبيدة:

و كان من حديث هذه القصيدة أن رجلا من بني كعب بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، يقال له ضبيع، قتل رجلا من بني همّام يقال له زاهر بن سيّار بن أسعد بن همّام بن مرّة بن ذهل بن شيبان، و كان ضبيع مطروقا(2)ضعيف العقل. فنهاهم يزيد بن مسهر أن يقتلوا ضبيعا بزاهر و قال: /اقتلوا به سيّدا من بني سعد بن مالك بن ضبيعة، فحضّ بني سيّار بن أسعد على ذلك و أمرهم به. و بلغ بني قيس مما قاله، فقال الأعشى هذه الكلمة يأمره أن يدع بني سيّار و بني كعب و لا يعين بني سيّار؛ فإنه إن أعانهم أعانت قبائل بني قيس بني كعب، و حذّرهم أن تلقى شيبان منهم مثل ما لقوا يوم العين عين محلّم(3) بهجر.

1- النفنف: المهوى بين الشيئين.

2- المطروق: الذي به هوج و جنون.

3- عين محلم (بتشديد اللام و كسرها): قال أبو منصور: هي عين فوّارة بالبحرين، و ما رأيت عينا أكثر ماء منها، و ماؤها جار في منبعها، فإذا برد فهو ماء عذب. و لهذه العين إذا جرت في نهرها خلج كثيرة تتخلج منها تسقي قرى كثيرة و مزارع و نخلا

يوم عين محلم:

قال أبو عبيدة: و كان من حديث ذلك اليوم، كما زعم عمر بن هلال أحد بني سعد بن قيس بن ثعلبة، أن يزيد بن مسهر كان خالع أصرم بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة، و كان عوف أبو بني الأصرم يقال له الأعجف و الضّبيعة له و هي قرية باليمامة. فلما خلع يزيد أصرم من ماله خالعه على أن يرهنه ابنيه أفلت و شهابا ابني أصرم، و أمّهما فطيمة بنت شرحبيل بن عوسجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس، و أن يزيد قمر أصرم فطلب أن يدفع إليه ابنيه رهينة، فأبت أمّهما و أبى يزيد إلاّ أخذهما. فنادت قومها، فحضر الناس للحرب، فاشتملت فطيمة على ابنيها بثوبها، و فكّ قومها عنها و عنهما. فذلك قول الأعشى:

نحن الفوارس يوم العين ضاحية *** جنبي فطيمة لا ميل و لا عزل(1)

قال: فانهزمت بنو شيبان، فحذر الأعشى أن يلقى مسهر مثل تلك الحال.

قال أبو عبيدة: و ذكر عامر و مسمع عن قتادة الفقيه أن رجلين من بني مروان تنازعا في هذا الحديث، فجرّدا رسولا في ذلك إلى العراق حتى قدم إلى الكوفة فسأل فأخبر أنّ فطيمة من بني سعد بن قيس كانت عند رجل من بني شيبان، و كانت له/زوجة أخرى من بني شيبان، فتعايرتا فعمدت الشّيبانيّة فحلّت ذوائب فطيمة، فاهتاج الحيّان فاقتتلوا، فهزمت بنو شيبان يومئذ.

مسحل رئي الأعشى:

اشارة

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أحمد بن محمد القصير قال حدّثنا محمد بن صالح قال حدّثني أبو اليقظان قال حدّثني جويرية عن يشكر بن وائل اليشكريّ، و كان من علماء بكر بن وائل و ولد أيام مسيلمة فجيء به إليه فمسح على رأسه فعمي، قال جويرية فحدّثني يشكر هذا قال حدّثني جرير بن عبد اللّه البجليّ قال:

سافرت في الجاهليّة فأقبلت على بعيري ليلة أريد أن أسقيه، فجعلت أريده على أن يتقدّم فو اللّه ما يتقدّم، فتقدّمت/فدنوت من الماء و عقلته، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوّهون عند الماء فقعدت. فبينا أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشدّ تشويها منهم فقالوا: هذا شاعرهم. فقالوا له: يا فلان أنشد هذا فإنه ضيف؛ فأنشد:

ودّع هريرة إن الركب مرتحل

فلا و اللّه ما خرم منها بيتا واحدا حتى انتهى إلى هذا البيت.

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت *** كما استعان بريح عشرق زجل

فأعجب به. فقلت: من يقول هذه القصيدة؟ قال: أنا. قلت: لو لا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بني ثعلبة أنشدنيها عام أوّل بنجران. قال: فإنك صادق، أنا الذي ألقيتها على لسانه و أنا مسحل صاحبه، ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون بن قيس:

1- ضاحية: علانية. و الميل: جمع أميل و هو الذي لا يثبت في الحرب مثل أبيض و بيض. و العزل: جمع أعزل، و حركت زاؤه للشعر.

صوت

رأيت عرابة الأوسيّ يسمو *** إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما راية رفعت لمجد *** تلقّاها عرابة باليمين

/عروضه من الوافر. الشعر للشّماخ. و الغناء لمعبد خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى. و ذكر إسحاق أنه من الأصوات القليلة الأشباه. و ذكر ابن المكّيّ أن له فيه لحنا آخر من خفيف الثقيل. و قد أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى أبي غسّان قال غنّى أبو نؤي:

رأيت عرابة الأوسي يسمو *** إلى الخيرات منقطع القرين

فنسبه الناس إلى معبد. و لعلّه يعني اللحن الآخر الذي ذكره ابن المكيّ. و قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات أخبرني حمّاد عن ابن أبي جناح قال: الناس ينسبون هذا الصوت إلى معبد.

8 - ذكر الشّمّاخ و نسبه و خبره

نسبه من قبل أبويه:

هو، فيما ذكر لنا أبو خليفة بن محمد بن سلاّم، الشّمّاخ بن ضرار بن سنان بن أميّة(1) بن عمرو بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان. و ذكر الكوفيّون أنه الشماخ بن ضرار بن حرملة بن صيفيّ بن إياس بن عبد بن عثمان بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. و أمّ الشّماخ أنماريّة من بنات الخرشب و يقال: إنهنّ أنجب نساء العرب، و اسمها معاذة بنت بجير بن خالد بن إياس.

مخضرم، و هو أحد من هجا عشيرته:

و الشّماخ مخضرم ممّن أدرك الجاهليّة و الإسلام، و قد قال للنبيّ صلى اللّه عليه و سلم.

تعلّم رسول اللّه أنا كأننا *** أفأنا بأنمار ثعالب ذي غسل(2)

يعني أنمار بن بغيض و هم قومه. و هو أحد من هجا عشيرته و هجا أضيافه و منّ عليهم بالقرى. و الشّماخ: لقب و اسمه معقل، و قيل الهيثم، و الصحيح معقل. قال جبل بن جوّال له في قصة كانت بينهما:

لعمري لعل الخير لو تعلمانه *** يمنّ علينا معقل و يزيد

/منيحة(3) عنز أو عطاء فطيمة *** ألا أنّ نيل الثّعلبيّ زهيد

له أخوان جزء و مزرّد:

و للشمّاخ أخوان من أمّه و أبيه شاعران، أحدهما مزرّد و هو مشهور، و اسمه يزيد و إنما سمي مزرّدا لقوله:

/

فقلت تزرّدها عبيد فإنني *** لدرد(4) الشيوخ في السنين مزرّد

و الآخر جزء بن ضرار، و هو الذي يقول يرثي عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه:

عليك سلام من أمير و باركت *** يد اللّه في ذاك الأديم الممزّق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة *** ليدرك ما حاولت بالأمس يسبق

1- في «تجريد الأغاني»: «أمامة».

2- ذو غسل: موضع. و قد ورد هذا البيت في «كتاب الشعر و الشعراء» مع بيت آخر منسوبين إلى مزرّد أخي الشماخ.

3- المنيحة: الناقة أو الشاة تعطيها غيرك ليحتلبها ثم يردّها عليك.

4- كذا في «كتاب الشـعر و الشعراء» و في ح: «بدرد الموالي» و في سائر الأصول: «بزرد الموالي» و هو تحريف. و الدرد: جمع أدرد و هو من لا أسنان له.

ناحت الجن على عمر بشعر فنحل لجزء أخيه:

و قد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا شهاب بن عبّاد قال حدّثنا محمد بن بشر قال حدّثنا مسعر عن عبد الملك بن عمير عن الصّقر بن عبد اللّه عن عروة عن عائشة قالت:

ناحت الجنّ على عمر قبل أن يقتل بثلاث فقالت:

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت *** له الأرض تهتزّ العضاه(1) بأسؤق

جزى اللّه خيرا من إمام و باركت *** يد اللّه في ذاك الأديم الممزّق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة *** ليدرك ما حاولت بالأمس يسبق

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها *** بوائق(2) في أكمامها لم تفتّق

و ما كنت أخشى أن تكون وفاته *** بكفّي سبنتى(3) أزرق العين مطرق

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا سليمان بن داود الهاشميّ قال أخبرنا إبراهيم بن سعد الزّهريّ عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن أبي ربيعة عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصدّيق:

/أن عائشة حدّثتها أن عمر أذن لأزواج النبي صلى اللّه عليه و سلم أن يحججن في آخر حجّة حجّها عمر. قال: فلما ارتحل عمر من المحصّب(4) أقبل رجل متلثّم فقال و أنا أسمع: هذا كان منزله، فأناخ في منزل(5) عمر ثم رفع عقيرته يتغنّى:

عليك سلام من أمير و باركت *** يد اللّه في ذاك الأديم الممزّق

فمن يجر أو يركب جناحي نعامة *** ليدرك ما قدّمت بالأمس يسبق

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها *** بوائق في أكمامها لم تفتّق

قالت عائشة: فقلت لبعض أهلي: اعلموا لي علم هذا الرجل، فذهبوا فلم يجدوا في مناخه أحدا. قالت عائشة:

فو اللّه إني لأحسبه من الجنّ. فلما قتل عمر نحل الناس هذه الأبيات للشّمّاخ بن ضرار أو جمّاع بن ضرار. هكذا في الخبر، و هو جزء بن ضرار.

وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة:

و جعل محمد بن سلاّم في الطبقة الثالثة الشمّاخ و قرنه بالنابغة و لبيد و أبي ذؤيب الهذليّ، و وصفه فقال: كان

1- العضاه: كل شجر يعظم و له شوك. و الأسؤق: جمع ساق.

2- البوائق: الشرور.

3- السبنتى هنا: الجريء: و أزرق العين: يريد به الأعجمي. و المطرق: المسترخي العين.

4- في الأصول «من الحصبة» و التصحيح عن ابن سعد في العبارة الآتية.

5- كـذا في أ، م. و في سائر الأصول: «في منزله عمر» و هو تحريف. و قد وردت هذه القصة في «كتاب الطبقات الكبير لابن سـعد» (ج 3 ص 241) هكـذا: «قال ابن شـهاب فأخبرني إبراهيم بن عبـد الرحمن بن أبي ربيعة أن أمه أم كلثوم بنت أبي بكر حدثته عن عائشة قالت: لما كان آخر حجـة حجها عمر بأمهات المؤمنين قالت: إذ صـدرنا هي عرفـة مررت بالمحصب سـمعت رجلا على راحلته يقول: أين كان عمر أمير المؤمنين فسمعت رجلا آخر يقول: هاهنا كان أمير المؤمنين. قال: فأناخ راحلته ثم رفع عقيرته... إلخ».

شديد متون الشعر أشدّ كلاما(1) من لبيد، و فيه كزازة(2)، و لبيد أسهل منه منطقا. أخبرنا بذلك أبو خليفة عنه.

قال الحطيئة إنه أشعر غطفان:

و قد قال الحطيئة في وصيّته: أبلغوا الشمّاخ أنه أشعر غطفان، قد كتب ذلك في شعر الحطيئة(3).

هو أوصف الناس للحمير:

و هو أوصف الناس للحمير. أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ قال: أنشد الوليد بن عبد الملك شيئا من شعر الشمّاخ/في صفة الحمير فقال: ما أوصفه لها! إني لأحسب أن أحد أبويه كان حمّارا.

أخبرني إبراهيم بن عبد اللّه قال حدّثنا عبد اللّه بن مسلم قال:

كان الشمّاخ يهجو قومه و يهجو ضيفه و يمنّ عليه بقراه. و هو أوصف الناس للقوس و الحمار و أرجز الناس على البديهة.

حديث الشماخ و مزرّد مع أمهما:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال:

قال مزرّد لأمّه: كان كعب بن زهير لا يهابني و هو اليوم يهابني. فقالت: يا بنيّ نعم! إنه يرى جرو الهراش موثقا ببابك. تعني أخاه الشمّاخ. و قد ذكر محمد بن الحسن الأحول هذا الخبر عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل قال:

قالت معاذة بنت بجير بن خلف للشّماخ و مزرّد: عرّضتماني لشعراء العرب الحطيئة و كعب بن زهير. فقال: كلاّ! لا تخافي. قالت: فما يؤمّنني؟ قالا: إنك ربطت بباب بيتك جروي هراش لا يجترئ أحد عليهما. يعينان أنفسهما.

منازعته قوم امرأته إلى كثير بن الصلت:

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال أخبرني شعيب بن صخر قال:

كانت عند الشمّاخ امرأة من بني سليم أحد بني حرام بن سماك، فنازعته و ادّعته طلاقا و حضر معها قومها فاختصموا إلى كثير بن الصّلت - و كان عثمان بن عفّان أقعده للنظر بين الناس، و هو رجل من كندة و عداده في بني جمح [و قد ولدتهم بنو جمح(4)] ثم تحوّلوا إلى بني العبّاس فهم فيهم اليوم - فرأى كثير عليهم يمينا، فالتوى الشمّاخ باليمين يحرّضهم عليها، ثم حلف و قال:

/

أتتني سليم قضّها و قضيضها *** تمسّح حولي بالبقيع سبالها

يقولون لي يا احلف(5) و لست بحالف *** أخاتلهم عنها لكيما أنالها

1- عبارة ابن سلام «أشدّ أسر الكلام من لبيد».

2- الكزازة: اليبس و التقبض.

3- راجع الجزء الثاني ص 196 من هذه الطبعة.

4- هذه الجملة في الأصول و لم ترد في «طبقات لابن سلام».

5- في الأصول: «فاحلف» و التصويب عن «دي؟؟؟».

ففرّجت همّ النفس عنّي بحلفة *** كما شقّت الشّقراء عنها جلالها

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال:

قدم ناس من بهز المدينة يستعدون على الشّماخ و زعموا أنه هجاهم و نفاهم، فجحد ذلك الشماخ. فأمر عثمان كثير بن الصّلت أن يستحلفه على منبر النبيّ صلى اللّه عليه و سلم: ما هجاهم. فانطلق به كثير إلى المسجد ثم انتحاه دون بني بهز - و بهز: اسمه تيم بن سليم بن منصور - فقال له: ويلك يا شمّاخ! إنك لتحلف على منبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و من حلف به آثما يتبوّأ مقعده من النار! قال: فكيف أفعل فداؤك أبي و أمّي؟! قال: إني سوف أحلّفك ما هجوتهم، فاقلب الكلام عليّ و على ناحيتي فقل: و اللّه ما هجوتكم، فأردني و ناحيتي بذلك، و إني سأدفع عنك. فلمّا وقف حلف كما قال له و أقبل كثير فقال: ما هجوتكم. فقالت بهز: ما عنى غيركم، فأعد اليمين عليه. فقال: ما لي أتأوّله! هل استحلفته إلاّ لكم! و ما اليمين إلاّ مرّة واحدة! انصرف يا شمّاخ. فانصرف و هو يقول:

أتتني سليم قضّها و قضيضها *** تمسّح حولي بالبقيع سبالها

يقولون لي يا احلف و لست بحالف *** أخادعهم عنها لكيما أنالها

فلو لا كثير نعّم اللّه باله *** أزلّت(1) بأعلى حجّتيك نعالها

/ففرّجت همّ الموت عنّي بحلفة *** كما شقّت الشّقراء عنها جلالها

سألته امرأة لا تعرفه عن قصته مع زوجه، و شعره في ذلك:

و نسخت هذا الخبر على التمام من كتاب يحيى بن حازم قال حدّثني عليّ بن صالح صاحب المصلّى قال قال القاسم بن معن:

كان الشماخ تزوّج امرأة من بني سليم فأساء إليها و ضربها و كسر يدها. فعرضت امرأة من قومها، يقال لها أسماء ذات يوم للطريق تسأل عن صاحبتها. فاجتاز الشمّاخ و هي لا تعرفه: فقالت له: ما فعل الخبيث شمّاخ؟ فقال لها: و ما تريدين منه؟ قالت: إنه فعل بصاحبة لنا كيت و كيت. فتجاهل عليها و قال: لا أعلم له خبرا، و مضى و تركها و هو يقول:

تعارض أسماء الرّفاق عشيّة *** تسائل عن ضغن النساء النّواكح

و ما ذا عليها إن قلوص تمرّغت *** بعدلين أو ألقتهما بالصّحاصح(2)

فإنك(3) لو أنكحت دارت بك الرّحا *** و ألقيت رحلي سمحة غير طامح

أ أسماء إنّي قد أتاني مخبّر *** بفيقة(4) ينبي منطقا غير صالح

1- أزلت: أزلقت. و مرجع الضمير فيه سليم خصومه.

2- كذا في ج: و الصحاصح: جمع صحصح و هو الأرض الجرداء المستوية. يريد: ما ذا يهمها من امرأة أساءت عشرة زوجها فأدبها. و في

سائر الأصول: «الصحائح» و هو تحريف.

3- كـذا في «ديـوانه»: يريـد: لـو تزوجتـك دارت بـك الرحى أي انقلب أمرك و تغير. و ألقيت رحلي أي أنزلتني عنـدك و أكرمت مثواي. و سمحة: منقادة. و غير طامح: غير ملتفتة إلى الرجال. و في الأصول: «فإياك إن أنكحت».

4- فيقة الضحى: أولها و ارتفاعها.

بعجت إليه البطن ثم انتصحته *** و ما كلّ من يفشى إليه بناصح

و إنّي من قوم على أن ذممتهم(1) *** إذا أولموا لم يولموا بالأنافح(2)

و إنك من قوم تحنّ نساؤهم *** إلى الجانب الأقصى حنين المنائح(3)

/ثم دخل المدينة في بعض حوائجه، فتعلّقت به بنو سليم يطلبونه بظلامة صاحبتهم، فأنكر. فقالوا: احلف، فجعل يطلب إليهم و يغلّظ عليهم أمر اليمين و شدّتها عليه ليرضوا بها منه حتى رضوا، فحلف لهم و قال:

ألا أصبحت عرسي من البيت جامحا *** بغير(4) بلاء أيّ أمر بدا لها

على خيرة(5) كانت أم العرس جامح *** فكيف و قد سقنا إلى الحيّ ما لها

سترجع غضبى رثّة الحال عندنا *** كما قطعت منّا بليل وصالها

فذكر بعد هذه الأبيات قوله:

أتتني سليم قضّها و قضيضها

إلى آخر الأبيات.

خطب امرأة فتزوّجها أخوه جزء فماتا متهاجرين:

و قال ابن الكلبيّ:

كان الشّماخ يهوى امرأة من قومه يقال لها كلبة بنت جوّال أخت جبل بن جوّال الشاعر ابن صفوان بن بلال بن أصرم بن إياس بن عبد تميم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة، و كان يتحدّث إليها و يقول فيها الشعر؛ فخطبها فأجابته و همّت أن تتزوّجه. ثم خرج إلى سفر له فتزوّجها أخوه جزء بن ضرار، فآلى الشمّاخ ألاّ يكلّمه أبدا، و هجاه بقصيدته التي يقول فيها:

لنا صاحب قد خان من أجل نظرة *** سقيم الفؤاد حبّ كلبة شاغله

فماتا متهاجرين.

استنشد المهدي بن دأب من أشعر ما قالت العرب فأنشده من شعره:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد الورّاق قال حدّثني أحمد بن محمد بن بكر الزّبيريّ قال حدّثنا الحسن بن موسى بن رباح مولى الأنصار عن أبي غزيّة الأنصاريّ قال:

كنت على باب المهديّ يوما، فخرج حاجبه فقال: أين ابن دأب؟ فقال: ها أنا ذا. فقال: ادخل؛ فدخل ثم خرج فجلس. فقلت: يا ابن دأب، /ما جرى بينك و بين أمير المؤمنين؟ قال قال لي: أنشدني أبياتا من أشعر ما

1- كذا في «ديوانه» و في الأصول: «قضيتهم».

2- الأنافح: جمع إنفحة (بكسر الهمزة و فتح الفاء) و هي كرش الحمل و الجدي ما لم يأكلا، فإذا أكلا فهي كرش.

3- المنائح: جمع منيحة و هي المعارة للبن فهي تحنّ لوطنها.

4- كذا في «تجريد الأغاني». و في «ديوانه»: «على غير شيء». و في الأصول: «بخير بلاء» و هو تحريف.

5- أي على حالة خيرة. و أم للإضراب بمعنى بل.

قالت العرب؛ فأردت أن أنشده قول صاحبك أبي صرمة الأنصاريّ التي يقول فيها:

لنا صور يؤول الحقّ فيها *** و أخلاق يسود بها الفقير

و نصح للعشيرة حيث كانت *** إذا ملئت من الغشّ الصدور

و حلم لا يصوب الجهل فيه *** و إطعام إذا قحط الصّبير(1)

بذات يد على ما كان فيها *** نجود(2) به قليل أو كثير

فتركتها و قلت: إن من أشعر ما قالت العرب قول الشّمّاخ:

و أشعث قد قد السّفار(3) قميصه *** يجرّ شواء(4) بالعصا غير منضج

دعوت إلى ما نابني فأجابني *** كريم من الفتيان غير مزلّج(5)

فتى يملأ الشّيزى(6) و يروي سنانه *** و يضرب في رأس الكميّ المدجّج

فتى ليس بالراضي بأدنى معيشة *** و لا في بيوت الحيّ بالمتولّج

/فقال: أحسنت! ثم رفع رأسه إلى عبد اللّه بن مالك فقال: هذه صفتك يا أبا العباس. فأكبّ عليه عبد اللّه فقبّل رأسه و قال: ذكرك اللّه بخير الذّكر يا أمير المؤمنين. قال أبو غزيّة فقلت له: الأبيات التي تركت و اللّه أشعر من التي ذكرت.

عرابة الذي مدحه و نسبه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

عرابة الذي عناه الشمّاخ بمدحه هو أحد أصحاب النبيّ صلى اللّه عليه و سلم و هو عرابة بن أوس بن قيظيّ بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج. و إنما قال له الشماخ: عرابة الأوسيّ، و هو من الخزرج، نسبة إلى أبيه أوس بن قيظيّ. و لم يصنع إسحاق في هذا القول شيئا. عرابة من الأوس لا من الخزرج؛ و في الأوس رجل يقال له الخزرج ليس هذا هو الجدّ الذي ينتهي إليه الخزرجيّون الذي هو أخو الأوس، هذا الخزرج بن النّبيت بن مالك بن الأوس، و هكذا نسبه النسّابون.

أتى عرابة النبي في غزاة أحد مع غلمة فردّهم:

و أخبرني به الحرميّ بن أبي العلاء عن عبد اللّه بن جعفر بن مصعب عن جدّه مصعب الزّبيريّ عن ابن القدّاح:

و أتى النبيّ صلى اللّه عليه و سلم في غزاة أحد ليغزو معه؛ فردّه في غلمة استصغرهم: منهم عبد اللّه بن عمر بن الخطاب و زيد بن ثابت و أسيد بن حضير و البراء بن عازب و عرابة بن أوس و أبو سعيد الخدريّ.

1- الصبير: السحاب الأبيض لا يكاد يمطر.

2- في الأصول: «يجود». و السياق يقتضي ما أثبتناه.

3- السفار: السفر، أي رب أشعث شقت كثرة السفر و كثرة العمل لرفقائه ثوبه.

4- في «ديوانه»: «و جر الشواء بالعصا غير منضج».

5- المزلج: الملصق بالقوم و ليس منهم، و الرجل الناقص المروءة.

6- الشيزي: خشب تتخذ منه القصاع.

أخبرني بذلك محمد بن جرير الطبريّ عن الحارث بن سعد عن الواقديّ عن محمد بن حميد بن سلمة عن ابن إسحاق.

قصة أبي عرابة و عمه مع النبي:

و أوس بن قيظيّ أبو عرابة من المنافقين الذين شهدوا أحدا مع النبيّ صلى اللّه عليه و سلم و هو الذي قال له: إنّ بيوتنا عورة.

و أخوه مربع(1) بن قيظيّ الأعمى/الذي حثا في وجه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم التراب لمّا خرج إلى أحد و قد مرّ في حائطه(2)و قال له: إن كنت نبيّا فما أحلّ لك أن تدخل في حائطي. فضربه سعد بن زيد الأشهلي بقوسه فشجّه و قال: دعني يا رسول اللّه أقتله فإنه منافق. فقال صلى اللّه عليه و سلم: «دعوه فإنه أعمى القلب أعمى البصر». فقال أخوه أوس بن قيظي أبو عرابة:

لا و اللّه/و لكنها عداوتكم يا بني عبد الأشهل. فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «لا و اللّه و لكنه نفاقكم يا بني قيظيّ».

كان عرابة سيدا في قومه و أبوه من وجوه المنافقين:

أخبرنا بذلك الحرميّ عن عبد اللّه بن جعفر الزّبيريّ عن جدّه مصعب عن ابن القدّاح:

أن عرابة كان سيّدا من سادات قومه و جوادا من أجوادهم، و كان أبوه أوس بن قيظيّ من وجوه المنافقين.

لقي الشماخ بالمدينة فأكرمه فمدحه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جعدبة، و أخبرني عليّ بن سليمان عن محمد بن يزيد، و أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد اللّه بن مسلم:

أنّ الشمّاخ خرج يريد المدينة، فلقيه عرابة بن أوس فسأله عما أقدمه المدينة، فقال: أردت أن أمتار لأهلي.

و كان معه بعيران فأوقرهما له برّا و تمرا و كاسه و برّه و أكرمه. فخرج عن المدينة و امتدحه بهذه القصيدة التي يقول فيها:

رأيت عرابة الأوسيّ يسمو *** إلى الخيرات منقطع القرين

سأله معاوية بأي شيء سدت فأجابه:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الرّياشي قال حدّثنا الأصمعيّ قال:

/قال معاوية لعرابة بن أوس: بأي شيء سدت قومك؟ فقال: أعفو عن جاهلهم، و أعطي سائلهم، و أسعى في حاجاتهم، فمن فعل كما أفعل فهو مثلي، و من قصّر عنه فأنا خير منه، و من زاد فهو خير منّي. قال الأصمعيّ:

و قد انقرض عقب عرابة فلم يبق منهم أحد.

اعترض عليه ابن دأب في شعره لابن جعفر:

أخبرني أحمـد بن يحيى بن محمد بن سـعيد الهمداني قال قال يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد اللّه بن الحسـين بن عليّ بن الحسـين بن عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه:

قال ابن دأب و سمع قول الشمّاخ بن ضرار في عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب رضي اللّه عنه:

1- كذا في «سيرة ابن هشام» ص 559. و في الأصول: «مرفع» بالفاء.

2- الحائط: البستان.

إنك يا ابن جعفر نعم الفتى *** و نعم مأوى طارق إذا أتى

و جار ضيف طرق الحيّ سرى *** صادف زادا و حديثا ما اشتهى

إن الحديث طرف من القرى

فقال ابن دأب: العجب للشمّاخ! يقول مثل هذا لابن جعفر و يقول لعرابة:

إذا ما راية رفعت لمجد *** تلقّاها عرابة باليمين

ابن جعفر كان أحقّ بهذا من عرابة!.

نقد أبو نواس بيتا له و وازنه بعشر الفرزدق:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني الكرانيّ محمد بن سعد قال حدّثني طائع قال أخبرني أبو عمرو الكيّس قال قال لي أبو نواس: ما أحسن الشّماخ في قوله:

إذا بلغتني و حملت رحلي *** عرابة فاشرقي بدم الوتين(1)

/لا كما قال الفرزدق:

علام تلفّتين و أنت تحتي *** و خير النّاس كلّهم أمامي

متى تردي الرّصافة تستريحي *** من التّهجير(2) و الدّبر الدّوامي

قلت أنا: و قد أخذ معنى قول الفرزدق هذا داود بن سلم في مدحه قثم بن العباس فأحسن فقال:

نجوت من حلّي و من رحلتي *** يا ناق إن أدنيتني من قثم

إنك إن أذنيت منه غدا *** حالفنا اليسر و مات العدم

/في كفّه بحر و في وجهه *** بدر و في العرنين منه شمم

أصمّ عن قيل الخنا سمعه *** و ما عن الخير به من صمم

لم يدر ما «لا» و «بلى» قد درى *** فعافها و اعتاض منها «نعم»

نقد عبد الملك بن مروان شعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخرّاز عن المدائنيّ قال:

أنشد عبد الملك قول الشمّاخ في عرابة بن أوس:

إذا بلّغتني و حملت رحلي *** عرابة فاشرقي بدم الوتين

فقال: بئست المكافأة كافأها! حملت رحله و بلّغته بغيته فجعل مكافأتها نحرها!.

1- الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

2- التهجير: المشي في الهاجرة. و الدبر (بفتحتين) جمع دبرة (بفتحتين) و هي قرحة الدابة.

المهلب و الشعراء:

قال الخرّاز: و مثل هذا ما حدّثناه المدائنيّ عن ابن دأب أن رجلا لقي المهلّب فنحر ناقته في وجهه؛ فتطيّر من ذلك و قال له: ما قصّتك؟ فقال:

إني نذرت لئن لقيتك سالما *** أن تستمرّ بها شفار الجازر

فقال المهلّب: فأطعمونا من كبد هذه المظلومة، و وصله.

قال المدائنيّ: و لقيته امرأة من الأزد و قد قدم من حرب كان نهض إليها، فقالت: أيها الأمير، إني نذرت إن وافيتك سالما أن أقبّل يدك و أصوم يوما/و تهب لي جارية صغديّة(1) و ثلاثمائة درهم. فضحك المهلّب و قال: قد و فينا لك بنذرك فلا تعاودي مثله، فليس كل أحد يفي لك به.

المهدي و أبو دلامة:

و أخبرني الحسن قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثني بعض أصحابنا عن القحذميّ: أن أبا دلامة لقي المهديّ لمّا قدم بغداد، فقال له:

إني نذرت لئن رأيتك واردا *** أرض العراق و أنت ذو وفر

لتصلّينّ على النبيّ محمد *** و لتملأنّ دراهما حجري

فقال له: أمّا النبيّ فصلّى اللّه على النّبيّ محمد و آله و سلّم، و أمّا الدراهم فلا سبيل إليها. فقال له: أنت أكرم من أن تعطيني أسهلهما عليك و تمنعني الأخرى. فضحك و أمر له بما سأل. و هذا مما ليس يجري في هذا الباب و لكن يذكر الشيء بمثله.

لطيفة الأعرابي على مائدة عبد الملك بن مروان بسبب بيت له:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثنا مسعود بن عيسى العبديّ قال حدّثني أحمد بن طالب الكناني (كنانة تغلب)، و أخبرني به محمد بن أحمد بن الطّلاّس عن الخرّاز عن المدائنيّ لم يتجاوزه به قال:

نصب عبد الملك بن مروان الموائد يطعم الناس؛ فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد. فنظر إليه خادم لعبد الملك فأنكره، فقال له: أ عراقيّ أنت؟ قال: نعم. قال: أنت جاسوس؟ قال: لا. قال: بلى. قال:

ويحك! دعني أتهنّأ بزاد أمير المؤمنين و لا تنغّصني به. ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال من القائل:

/

إذا الأرطى(2) توسّد أبرديه *** خدود جوازئ بالرّمل عين

1- صغدية: نسبة إلى الصغد و هي كورة قصبتها سمرقند.

2- قال البغدادي نقلا عن ابن قتيبة: الأرطى: شجر من أشجار البادية تدبغ به الجلود. و هو مفعول لفعل محذوف أي إذا توسد الأرطى. و أبرديه بدل اشتمال من الأرطى. و معنى توسد أبرديه: اتخذهما كالوسادة. و الأبردان: الظل و الفيء، سميا بذلك لبردهما، و أبردان أيضا: الغداة و العشي. و خدود فاعل توسد. و الجوازئ: الظباء و بقر الوحش، سميت جوازئ لأنها اجتزأت بأكل النبت الأخضر عن الماء. قال في «اللسان» في مادة جزأ: الظباء لا تعني في هذا البيت كما ذهب إليه ابن قتيبة؛ لأن الظباء لا تجزأ بالكلإ عن الماء، و إنما عني البقر. و يقوي ذلك أنه قال عين، و العين من صفات البقر لا من صفات الظباء. و العين. الواسعات العيون، جمع عيناء. و المعنى: أن الوحوش تتخذ كناسين عن جانبي الشجر تستتر فيهما من حر الشمس فترقد قبل زوال الشمس في الكناس الغربي، فإذا زالت الشمس إلى ناحية المغرب و تحول الظل فصار فيئا زالت عن الكناس الغربي و رقدت في الكناس الشرقي. (راجع «ديوانه» ص 94).

و ما معناه؟ و من أجاب فيه أجزناه، و الخادم يسمع. فقال العراقيّ للخادم: أ تحبّ أن أشرح لك قائله و فيم قاله؟ قال: نعم. قال: يقوله عديّ بن زيد في صفة البطّيخ الرّمسيّ. فقال ذلك الخادم. فضحك عبد الملك حتى سقط.

فقال له الخادم: أخطأت أم أصبت؟ فقال: بل/أخطأت. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا العراقيّ فعل اللّه به و فعل لقّننيه. فقال: أيّ الرجال هو؟ فأراه إياه. فعاد إليه عبد الملك و قال: أنت لقّنته هذا؟ قال: نعم. قال: أ فخطأ لقّنته أم صوابا؟ قال: بل خطأ. قال: و لم؟ قال: لأني كنت متحرّما بمائدتك فقال لي كيت و كيت، فأردت أن أكفّه عنّي و أضحكك. قال: فكيف الصواب؟ قال: يقوله الشمّاخ بن ضرار الغطفانيّ في صفة البقر الوحشيّة قد جزأت بالرّطب عن الماء. قال: صدقت و أجازه، ثم قال له: حاجتك؟ قال: تنحّي هذا عن بابك فإنه يشينه.

سأل كثير يزيد بن عبد الملك عن معنى بيت له فسبه:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أن أبا عبيدة حدّثه عن غير واحد من أهل المدينة:

/أن يزيد بن عبد الملك لمّا قدم عليه الأحوص وصله بمائة ألف درهم. فأقبل إليه كثيّر يرجو أكثر من ذلك، و كان قد عوّده من كان قبل يزيد من الخلفاء أن يلقى عليهم بيوت الشعر و يسألهم عن المعاني. فألقى على يزيد بيتا و قال: يا أمير المؤمنين، ما يعني الشمّاخ بقوله:

فما أروى و إن كرمت علينا *** بأدنى من موقّفة حرون(1)

تطيف على الرّماة فتتّقيهم *** بأوعال معطّفة القرون(2)

فقال يزيد: و ما يضرّ يا ماصّ بظر أمّه ألاّ يعلم أمير المؤمنين هذا! و إن احتاج إلى علمه سأل عبدا مثلك عنه!. فندم كثيّر و سكّته من حضر من أهل بيته، و قالوا له: إنه قد عوّده من كان قبلك من الخلفاء أن يلقى عليه أشباه هذا، و كانوا يشتهونه منه و يسألونه إياه؛ فطفئ عنه غضبه. و كانت جائزته ثلاثين ألفا، و كان يطمع في أكثر من جائزة الأحوص.

و أخبرنا أبو خليفة بهذا الخبر عن محمد بن سلاّم فذكر أنه سأل يزيد عن قول الشمّاخ:

و قد عرقت مغابنها و جادت *** بدرّتها قرى حجن قتين(3)

1- كذا في ج و «ديوانه». و قد جاء فيه شرح هذا البيت هكذا: الموقفة: الأروية (أنثى الوعول) التي في قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل. و الوقف: الخلخال. و التوقيف: البياض مع السواد. فأراد أن في قوائمها خطوطا تخالف لونها. و الحرون: التي تحرن في أعلى الجبل فلا تبرح. و أروى: اسم محبوبته. يريد أن محبوبته ليست بأقرب من هذه الأروية التي لا تنال. و في سائر الأصول: «مفوقة» و هو تحريف.

2- أي تطيف بهذه الأروية الرماة فلا تبرح لأنها في أعلى الجبل و دونها أوعال فلا يصل إليها نبل الرماة، لأنهم يرمون الأوعال لأنها أقرب إليهم فكأنها تقي نفسها بها. و إنما يؤكد بهذا بعدها و أنها لا يقدر عليها.

3- كذا في «ديوانه» و «اللسان» مادة «حجن و جحن» و المغابن: الآباط، و قيل: الأرفاغ. و القتين: مثل الحجن، أراد به قرادا سيئ الغذاء، و جعل عرق هذه الناقة قوتا له. و في الأصول: «بدرتها بها حجن قتين».

/فسكت عنه يزيد، فقال يزيد: و ما على أمير المؤمنين لا أمّ لك ألاّ يعرف هذا! هو القراد أشبه الدوابّ بك!.

تمثل ابن الزبير ببيت له في حواره لمعاوية:

نسخت من كتاب يحيى بن حازم حدّثنا عليّ بن صالح صاحب المصلّى قال حدّثنا ابن دأب قال:

قال معاوية لعبد اللّه بن الزّبير و هو عنده بالمدينة في أناس: يا ابن الزّبير، أ لا تعذرني في حسن بن عليّ! ما رأيته مذ قدمت المدينة إلاّ مرّة. قال: دع عنك حسنا، فأنت و اللّه و هو كما قال الشمّاخ:

أجامل أقواما حياء و قد أرى *** صدورهم تغلي عليّ مراضها

و اللّه لو يشاء حسن أن يضربك بمائة ألف سيف ضربك! و اللّه لأهل العراق أرأم له من أمّ الحوار لحوارها. فقال معاوية رحمه اللّه: أردت أن تغريني به! و اللّه لأصلنّ رحمه و لأقبلنّ عليه، و قال:

ألا أيّها المرء المحرّش بيننا *** ألا اقتل أخاك لست قاتل أربد

أبى قربه منّي و حسن بلائه *** و علمي بما يأتي به الدهر في غد

- و الشعر لعروة بن قيس - فقال ابن الزّبير: أما و اللّه إنّي و إيّاه ليد عليك بحلف(1)/الفضول. فقال معاوية: من أنت! لا أعرض لك و حلف الفضول! و اللّه ما كنت فيها إلا كالرّهينة/تئخن معنا و تردى هزيلا، كما قال أخو همدان:

إذا ما بعير قام علّق رحله *** و إن هو أبقى بالحياة مقطّعا(2)

صوت من مدن معبد

صوت معبد في شعر كثير بن كثير بن المطلب:

و هو الذي أوّله:

كم بذاك الحجون من حيّ صدق

أسعداني بعبرة أسراب

من شئون كثيرة التّسكاب

إن أهل الحصاب قد تركوني

موزعا مولعا بأهل الحصاب

كم بذاك الحجون من حيّ صدق

و كهول أعفّة و شباب

سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو

سى إلى النخل من صفيّ السّباب

1- حلف الفضول: حلف تداعت له قريش و اجتمعوا من أجله في دار عبد اللّه بن جدعان تعاهدوا فيه على ألاّ يجدوا بمكة مظلوما إلا ردوا عليه مظلمته، كان قبل البعث بعشرين سنة. و أوّل من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب. و سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة بتجارة له، فاشتراها منه العاص بن وائل و حبس عنه ثمنا. فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف من قريش فأبوا أن يعينوه على العاص لمكانته فيهم. فأرقى على أبي قبيس عند طلوع الشمس و قريش في أنديتهم حول الكعبة فصاح بأعلى صوته: يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار و النفر فقام الزبير بن عبد المطلب و اجتمعت هاشم و زهرة و تيم في دار ابن جدعان و تعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي عليه حقه. فسمي ذلك الحلف حلف الفضول و قالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر. ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي و ردّوها إليه.

2- كذا ورد هذا البيت في الأصول.

فارقوني و قد علمت يقينا *** ما لمن ذاق ميتة من إياب

فلي الويل بعدهم و عليهم *** صرت فردا و ملّني أصحابي

عروضه من الخفيف. الشئون: الشّعب التي يتداخل بعضها في بعض من عظام الرأس، واحدها شأن مهموزا.

و الجزع: منعطف الوادي. و صفيّ(1) السّباب: جمع صفاة و هي الحجارة. و لقّبت صفيّ السّباب لأن قوما من قريش و مواليهم كانوا يخرجون إليها بالعشيّات يتشاتمون و يذكرون المعايب و المثالب التي يرمون بها؛ فسمّيت تلك الحجارة صفيّ السّباب.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن عليّ بن محمد النّوفليّ عن أبيه قال يقال: صفا السّباب و صفيّ السّباب بفتح الفاء و كسرها جميعا، و هو شعب من/شعاب مكة فيها صفّا أي صخر مطروح. و كانت قريش تخرج فتقف على ذلك الموضع فيفتخرون ثم يتشاتمون و ذلك في الجاهلية فلا يفترقون إلا عن قتال؛ ثم صار ذلك في صدر من الإسلام أيضا حتى نشأ سديف مولى عتبة(2) بن أبي سديف و شبيب مولى بني أميّة، فكان هذا يخرج في موالي بني هاشم و هذا في موالي بني أميّة، فيفتخرون ثم يتشاتمون ثم يتجالدون بالسيوف. و كان يقال لهم السّديفيّة و الشّبيبيّة. و كان أهل مكّة مقتسمين بينهما في العصبيّة؛ ثم درس ذلك فصارت العصبيّة بمكة بين الجزّارين و الحنّاطين، فهي بينهم إلى اليوم، و كذلك بالمدينة في القمار و غيره.

الشعر لكثير بن كثير بن المطّلب بن أبي وداعة السّهميّ، و قيل: بل هو لكثيّر عزّة. و قد روي في ذلك خبر نذكره. و الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق. و ذكر عمرو بن بانة أنّ فيه ثقيلا أوّل بالخنصر للغريض و لحنا آخر لابن عبّاد و لم يجنّسه. و لابن جامع في الخامس و السادس رمل بالوسطى. و لابن سريج في الأربعة الأول ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. و لابن أبي دباكل الخزاعيّ فيها ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ و أبي أيّوب المدنيّ و حبش. فمن روى هذا الشعر لكثيّر عزّة يرويه:

إنّ أهل الخضاب قد تركوني

و يزعم أن كثيّرا قاله في خضاب/خضبته عزّة به.

ابن عائشة يذكر بحادثة لكثير و عزة فيغني بشعر:

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة و لم يتجاوزه، و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني الزّبيريّ/قال حدّثني بهذا الخبر أيضا و فيه زيادة و خبره أحسن و أكثر تلخيصا و أدخل في معنى الكتاب، قال الزّبيريّ حدّثني أبي قال:

خرجت إلى ناحية فيد(3) متنزّها، فرأيت ابن عائشة يمشي بين رجلين من آل الزّبير و إحدى يديه على يد هذا و الأخرى على يد هذا، و هو يمشي بينهما كأنه امرأة تجلى على زوجها. فلمّا رأيتهم دنوت فسلّمت و كنت أحدث القوم سنا، فاشتهيت غناء ابن عائشة فلم أدر كيف أصنع. و كان ابن عائشة إذا هيّجته تحرّك. فقلت: رحم اللّه كثيّرا

1- صفيّ: جمع صفا، و صفا جمع صفاة. فصفّى جمع الجمع لصفاة.

2- في ج: «مولى بني عتبة بن سديف».

3- فيد: منزل بطريق مكة.

و عزّة! ما كان أوفاهما و أكرمهما و أصونهما لأنفسهما! لقد ذكرت بهذه الأودية التي نحن فيها خبر عزّة حين خضبت كثيّرا. فقال ابن عائشة: و كيف كان حديث ذلك؟ قلت: حدّثني من حضره بذلك - و من هاهنا تتفق رواية عمر بن شبّة و الزّبيريّ - قال: خرج كثيّر يريد عزّة و هي منتجعة بالصّواري و هي الأودية بناحية فدك، فلما كان منها قريبا و علم أن القوم جلسوا عند أنديتهم للحديث بعث أعرابيا فقال له: اذهب إلى ذلك الماء فإنك ترى امرأة جسيمة لحيمة تبالط الرجال الشعر - قال إسحاق: المبالطة: أن تنشد أوّل الشعر و آخره - فإذا رأيتها فناد: من رأى الجمل الأحمر؟ مرارا. ففعل. فقالت له: ويحك قد أسمعت فانصرف إليه فأخبره. فلم يلبث أن أقبلت جارية معها طست و تور(1) و قربة ماء حتى انتهت إليه، ثم جاءت بعد ذلك عزّة فرأته جالسا محتبيا قريبا من ذراع راحلته. فقالت له: ما على هذا فارقتك!. فركب راحلته و هي باركة و قامت إلى لحيته فأخذت التّور فخضبته و هو على ظهر جمله حتى فرغت من خضابه، ثم نزل فجعلا يتحدّثان حتى علق الخضاب، ثم قامت إليه فغسلت لحيته و دهنته، ثم قام فركب و قال:

/

إنّ أهل الخضاب قد تركوني *** موزعا مولعا بأهل الخضاب

و ذكر باقي الأبيات كلّها. و إلى هاهنا رواية عمر بن شبّة. فقال ابن عائشة: فأنا و اللّه أغنيه و أجيده، فهل لكم في ذلك؟ فقلنا: و هل لنا عنه مدفع! فاندفع يغنّي بالأبيات، فخيّل إليّ أن الأودية تنطق معه حسنا. فلمّا رجعنا إلى المدينة قصصت القصّة، فقيل لي: إن ذلك أحسن صوت يغنّيه ابن عائشة؟ فقلت: لا أدري إلاّ أني سمعت شيئا وافق محبّتي.

معبد و ابن سريج يبكيان أهل مكة بغنائهما:

اشارة

و قال عبد اللّه بن أبي سعد حدّثني عبد اللّه بن الصّبّاح عن هشام بن محمد عن أبيه قال:

زار معبد ابن سريج و الغريض بمكة؛ فخرجا به إلى التّنعيم(2) ثم صاروا إلى الثّنيّة العليا ثم قالوا: تعالوا حتى نبكي أهل مكة؛ فاندفع ابن سريج فغنّى صوته في شعر كثير بن كثير السّهميّ:

أسعديني بعبرة أسراب *** من دموع كثيرة التّسكاب

فأخذ أهل مكة في البكاء و أنّوا حتى سمع أنينهم. ثم غنّى معبد:

صوت

يا راكبا نحو المدينة جسرة *** أجدا(3) تلاعب حلقة و زماما

/اقرأ على أهل البقيع من امرئ *** كمد على أهل البقيع سلاما

كم غيّبوا فيه كريما ما جدا *** شهما و مقتبل الشباب غلاما

و نفيسة في أهلها مرجوّة *** جمعت صباحة صورة و تماما

1- تور: إناء صغير.

2- التنعيم: موضع بمكة على بعد فرسخين منها. و منه يحرم المكيون بالعمرة.

3- ناقة جسرة: ضخمة. و أجد: قوية موثقة الخلق.

فنادوا من الدروب بالويل و الحرب و السّلب، و بقي الغريض لا يقدر من البكاء و الصّراخ أن يغنّي.

/الشعر لعمر بن أبي ربيعة. و الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى، و ذكر عمرو بن بانة أنه ليحيى المكي، و قد غلط. و ذكر حبش أن لعلّويه فيه ثقيلا أوّل آخر.

صوت من مدن معبد في شعر قيس بن ذريح: و من مدن معبد.

صوت

و قد أضيف إليه غيره من القصيدة:

سلي(1) هل قلاني من عشير صحبته *** و هل ذمّ رحلي في الرّفاق رفيق

و هل يجتوي القوم الكرام صحابتي *** إذا اغبرّ مخشيّ الفجاج عميق

و لو تعلمين الغيب أيقنت أنّني *** لكم و الهدايا المشعرات صديق

تكاد بلاد اللّه يا أمّ معمر *** بما رحبت يوما عليّ تضيق

أذود سوام الطّرف عنك و هل لها *** إلى أحد إلاّ إليك طريق

و حدّثتني يا قلب أنك صابر *** على البين من لبنى فسوف تذوق

مت كمدا أو عش سقيما فإنما *** تكلّفني ما لا أراك تطيق

بلبنى أنادى عند أوّل غشية *** و لو كنت بين العائدات أفيق

إذا ذكرت لبني تجلّتك زفرة *** و يثني لك الدّاعي بها فتفيق

عروضه من الطويل. الشعر لقيس بن ذريح. و الغناء لمعبد في اللحن المذكور ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق في الأول و الثاني و الثالث. و ذكر في موضع. آخر وافقته(2) دنانير أن لمعبد ثقيلا أوّل بالبنصر في مجرى الوسطى أوّله:

صوت

أ تجمع قلبا بالعراق فريقه *** و منه بأطلال الأراك فريق

فكيف بها لا الدار جامعة النّوى *** و لا أنت يوما عن هواك تفيق

و لو تعلمين الغيب أيقنت أنّني *** لكم و الهدايا المشعرات صديق

البيتان الأوّلان يرويان لجرير و غيره، و الثالث لقيس بن ذريح أضافه إليهما معبد. و ذكر عمرو و يونس أن لحن معبد

1- في الأصول: «سلا» و الخطاب لأنثى. و قبل البيت: و إن كنت لما تخبريني فسائلي فبعض الرجال للرجال رموق (راجع هذه القصيدة بتمامها في «الأمالي» ج 2 ص 257) و القصيدة فيه منسوبة لمضرس بن قرط بن الحارث المزني.

2- كذا بالأصول: و لعله: و مرافقته دنانير. أو: وافقته فيه دنانير.

الأوّل في خمسة أبيات أولى من الشعر. و ذكر عمرو بن بانة أنّ لبذل الكبيرة خفيف رمل بالوسطى في الرابع من الأبيات و بعده:

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا *** بأعين أعداء و هنّ صديق

و بعـده الخامس من الأبيات و هو «أذود سوامّ الطّرف». و زعم حبش أن في لحن معبد الثاني الذي أوّله: «أ تجمع قلبا» لابن سـريج خفيف رمل بالبنصـر، و ذكر أيضا أن للغريض/في الأوّل و الثاني و السابع ثاني ثقيل بالبنصر، و لابن مسجح خفيف رمل بالبنصر. و في السادس و ما بعده لحكم الوادي ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

و ذكر حبش أن للغريض فيها ثقيلا أوّل بالوسطى.

ص: 123

9 - ذكر قيس بن ذريح و نسبه و أخباره

نسبه:

هو، فيما ذكر الكلبيّ و القحـذميّ و غيرهما، قيس بن ذريح بن سـنّة بن حذافة بن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة و هو عليّ بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضـر بن نزار. و ذكر أبو شـراعة القيسـيّ(1) أنه قيس بن ذريـح بن الحباب بن سـنّة؛ و سائر النسب متّفق. و احتجّ بقول قيس:

فإن يك تهيامي بلبنى غواية *** فقد يا ذريح بن الحباب غويت

و ذكر القحذميّ أن أمّه بنت سنّة بن الذاهل(2) بن عامر الخزاعيّ، و هذا هو الصـحيح؛ و أنه كان له خال يقال له عمرو بن سنّة شاعر، و هو الذي يقول:

ضربوا الفيل بالمغمّس(3) حتى *** ظلّ يحبو كأنه محموم

و فيه يقول قيس:

أنبئت أنّ لخالي هجمة(4) حبسا *** كأنّهن بجنب المشعر النّصل(5)

قد كنت فيما مضى قدما تجاورنا *** لا ناقة لك ترعاها و لا جمل

ما ضرّ خالي عمرا لو تقسّمها *** بعض الحياض و جمّ البئر محتفل(6)

هو رضيع الحسين بن علي:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن موسـى بن حمّاد قال حدّثني أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدّثني جزء بن قطن قال حدّثنا جسّاس بن محمد بن عمرو/أحد بني الحارث بن كعب عن محمد بن أبي السّري عن هشام بن الكلبيّ قال حدّثني عدد من الكنانيّين:

أن قيس بن ذريح كان رضيع الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنهما، أرضعته أمّ قيس.

1- كذا في ج و «الأغاني»: (ج 7 ص 232 من هذه الطبعة). و في سائر الأصول: «أبو شراعة الضبي». و هو تحريف.

2- في «تجريد الأغاني»: «الكاهل».

3- المغمس: موضع قرب مكة في طريق الطائف.

4- الهجمة من الإبل: أولها أربعون إلى ما زادت، أو ما بين السبعين إلى المائة.

5- النصل: جمع نصيل، و هو حجر طويل رقيق كهيئة الصفيحة المحددة، يشبه به رأس البعير و خرطومه إذا رجف في سيره.

6- جم الماء: معظمه. و محتفل: ملآن. يريد: ما على خالي أن نصيب من ماله و هو غني مكثر.

أول عشيقه لبني ثم زواجه بها:

أخبرنا بخبر قيس و لبنى امرأته جماعة من مشايخنا في قصص متّصلة و منقطة و أخبار منثورة و منظومة، فألّفت ذلك أجمع ليتّسق حديثه إلاّ ما جاء مفردا و عسر إخراجه عن جملة النظم فذكرته على حدة. فممّن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة و لم يتجاوزه إلى غيره، و إبراهيم بن محمد بن أيّوب عن ابن قتيبة، و الحسن بن عليّ عن محمد بن موسى بن حمّاد البربريّ عن أحمد بن القاسم بن يوسف عن جزء بن قطن عن جسّاس بن محمد عن محمد بن أبي السّريّ عن هشام بن الكلبيّ و على روايته أكثر المعوّل. و نسخت أيضا من أخباره المنظومة أشياء ذكرها القحذميّ عن رجاله، و خالد بن كلثوم عن نفسه و من روى عنه، و خالد بن جمل و نتفا حكاها اليوسفيّ صاحب الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حمّاد عن جميل عن ابن أبي جناح الكعبيّ. و حكيت كلّ متّفق فيه متصلا، و كل مختلف في معانيه منسوبا إلى راويه. قالوا جميعا:

كان منزل/قومه في ظاهر المدينة، و كان هو و أبوه من حاضرة المدينة. و ذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان يسرف(1)، و احتجّ بقوله:

الحمد للّه قد أمست مجاورة *** أهل العقيق و أمسينا على سرف

قالوا: فمرّ قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خزاعة، فوقف على خيمة منها و الحيّ خلوف(2) و الخيمة خيمة لبنى بنت الحباب الكعبيّة، فاستسقى ماء، فسقته و خرجت/إليه به، و كانت امرأة مديدة القامة شهلاء(3)حلوة المنظر و الكلام. فلما رآها وقعت في نفسه، و شرب الماء. فقالت له: أتنزل فتتبرّد عندنا؟ قال: نعم. فنزل بهم. و جاء أبوها فنحر له و أكرمه. فانصرف قيس و في قلبه من لبنى حرّ لا يطفأ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع و روي. ثم أتاها يوما آخر و قد اشتدّ وجده بها، فسلّم فظهرت له و ردّت سلامه و تحفّت به؛ فشكا إليها ما يجد بها و ما يلقى من حبّها، و شكت إليه مثل ذلك فأطالت؛ و عرف كلّ واحد منهما ما له عند صاحبه. فانصرف إلى أبيه و أعلمه حاله و سأله أن يزوّجه إياها. فأبى عليه و قال: يا بنيّ، عليك بإحدى بنات عمّك فهنّ أحقّ بك. و كان ذريح كثير المال موسرا، فأحبّ ألاّ يخرج ابنه إلى غريبة. فانصرف قيس و قد ساءه ما خاطبه أبوه به. فأتى أمّه فشكا ذلك إليها و استعان بها على أبيه، فلم يجد عندها ما يحبّ. فأتى الحسين بن عليّ بن أبي طالب و ابن أبي عتيق فشكا إليهما ما به و ما ردّ عليه أبوه. فقال له الحسين: أنا أكفيك. فمشى معه إلى أبي لبنى. فلما بصر به أعظمه و وثب إليه، و قال له: يا ابن رسول اللّه، ما جاء بك؟ أ لا بعثت إليّ فأتيتك! قال: إن الذي جئت فيه يوجب قصدك و قد جئتك خاطبا ابنتك لبنى لقيس بن ذريح. فقال: يا ابن رسول اللّه، ما كنّا لنعصي لك أمرا و ما بنا عن الفتى رغبة، و لكن أحبّ الأمر إلينا أن يخطبها ذريح أبوه علينا و أن يكون ذلك عن أمره، فإنّا نخاف إن لم يسع أبوه في هذا أن يكون عارا و سبّة علينا. فأتى الحسين رضي اللّه عنه ذريحا و قومه و هم مجتمعون، فقاموا إليه إعظاما له و قالوا له مثل قول الخزّاعيّين. فقال لذريح: أقسمت عليك إلاّ خطبت لبنى لابنك قيس. قال: السمع و الطاعة لأمرك. فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتوا لبنى فخطبها/ذريح على ابنه إلى أبيها فزوّجه إيّاها، و زفّت إليه بعد ذلك.

1- سرف: موضع على ستة أميال من مكة.

2- خلوف: غيب.

3- الشهلاء: التي يخالط سواد عينيها زرقة.

أبواه يغريانه بطلاقها و يأبى هو:

فأقامت معه مدّة لا ينكر أحد من صاحبه شيئا. و كان أبرّ الناس بأمّه، فألهته لبنى و عكوفه عليها عن بعض ذلك، فوجدت أمّه في نفسها و قالت: لقد شغلت هذه المرأة ابني عن برّي؛ و لم تر للكلام في ذلك موضعا حتى مرض مرضا شديدا. فلما برأ من علّته قالت أمّه لأبيه: لقد خشيت أن يموت قيس و ما يترك خلفا و قد حرم الولد من هذه المرأة، و أنت ذو مال فيصير مالك إلى الكلالة(1)، فزوّجه بغيرها لعل اللّه أن يرزقه ولدا، و ألحّت عليه في ذلك. فأمهل قيسا حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال: يا قيس، إنك اعتللت هذه العلّة فخفت عليك و لا ولد لك و لا لي سواك. و هذه المرأة ليست بولود؛ فتزوّج إحدى بنات عمّك لعلّ اللّه أن يهب لك ولدا تقرّ به عينك و أعيننا. فقال قيس: /لست متزوّجا غيرها أبدا. فقال له أبوه: فإن في مالي سعة فتسرّ بالإماء. قال: و لا أسوؤها بشيء أبدا و اللّه. قال أبوه: فإني أقسم عليك إلاّ طلّقتها. فأبى و قال: الموت و اللّه عليّ أسهل من ذلك، و لكني أخيّرك خصلة من ثلاث خصال. قال: و ما هي؟ قال: تتزوّج أنت فلعلّ اللّه أن يرزقك ولدا غيري. قال: فما فيّ فضلة لذلك.

قال: فدعني أرتحل عنك بأهلي و اصنع ما كنت صانعا لو متّ في علّتي هذه. قال: و لا هذه. قال: فأدع لبنى عندك و أرتحل عنك فلعليّ أسلوها فإني ما أحبّ بعد أن تكون نفسي طيّبة أنها في خيالي. قال: لا أرضى أو تطلّقها، و حلف لا يكنّه سقف بيت أبدا حتى يطلّق لبنى، فكان يخرج فيقف في حرّ الشمس، و يجيء قيس فيقف إلى جانبه فيظله بردائه و يصلى هو بحرّ الشمس/حتى يفيء الفيء فينصرف عنه، و يدخل إلى لبنى فيعانقها و تعانقه و يبكي و تبكي معه و تقول له: يا قيس، لا تطع أباك فتهلك و تهلكني. فيقول: ما كنت لأطيع أحدا فيك أبدا. فيقال: إنه مكث كذلك سنة. و قال خالد بن كلثوم: ذكر ابن عائشة أنه أقام على ذلك أربعين يوما ثم طلّقها. و هذا ليس بصحيح.

طلاقه لبنى ثم ندمه على فراقها، و شعره في ذلك:

اشارة

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني أحمد بن زهير قال حدّثني يحيى بن معين قال حدّثنا عبد الرزّاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني عمر بن أبي سفيان عن ليث بن عمرو:

أنه سمع قيس بن ذريح يقول لزيد بن سليمان: هجرني أبواي في لبنى عشر سنين أستأذن عليهما فيردّاني حتى طلّقتها. قال ابن جريح: و أخبرت أن عبد اللّه بن صفوان الطويل لقي ذريحا أبا قيس فقال له: ما حملك على أن فرّقت بينهما؟ أمّا علمت أن عمر بن الخطاب قال: ما أبالي أ فرقت بينهما أو مشيت إليهما بالسيف. و روى هذا الحديث إبراهيم بن يسار الزّماديّ عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال قال الحسين بن عليّ رضي اللّه عنهما لذريح بن سنّة أبي قيس: أحلّ لك أن فرّقت بين قيس و لبنى؟! أما إني سمعت عمر بن الخطاب يقول: ما أبالي أ فرّقت بين الرجل و امرأته أو مشيت إليهما بالسيف. قالوا: فلما بانت لبنى بطلاقه إيّاها و فرغ من الكلام، لم يلبث حتى استطير عقله و ذهب به و حلقه مثل الجنون. و تذكّر لبنى و حالها معه فأسف و جعل يبكي و ينشج أحرّ نشيج.

و بلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحتملها، و قيل: بل أقامت حتى انقضت عدّتها و قيس يدخل عليها. فأقبل أبوها بهودج على ناقة و بإبل تحمل أثاثها. فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال: ويحك! ما دهاني فيكم؟ فقالت:

1- اختلف في معنى الكلالـة فقيل: إن الكلالـة الرجل الذي لا ولد له و لا والد؛ أو من عدا الأب و الابن من الورثة؛ و قيل من عدا الأب و الابن و الأخ؛ و قيل ما لم يكن من النسب لحا، أي لاصقا؛ و قيل الإخوة لأم.

لا تسألني و سل لبنى. فـذهب ليلمّ بخبائها/فيسألها، فمنعه قومها. فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له: ما لك ويحك تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل! هذه لبنى ترتحل الليلة أو غدا. فسقط مغشيا عليه لا يعقل ثم أفاق و هو يقول:

و إنّي لمفن دمع عيني بالبكا *** حذار الذي قد كان أو هو كائن

و قالوا غدا أو بعد ذاك بليلة *** فراق حبيب لم يبن و هو بائن

و ما كنت أخشى أن تكون منيّتي *** بكفّيك إلاّ أنّ ما حان حائن

/في هذه الأبيات غناء و لها أخبار قد ذكرت في أخبار المجنون. قال و قال قيس:

يقولون لبنى فتنة كنت قبلها *** بخير فلا تندم عليها و طلّق

فطاوعت أعدائي و عاصيت ناصحي *** و أقررت عين الشامت المتخلّق(1)

وددت و بيت اللّه أنّي عصيتهم *** و حمّلت في رضوانها كلّ موبق(2)

و كلّفت خوض البحر و البحر زاخر *** أبيت على أثباج موج مغرّق

كأنّي أرى الناس المحبّين بعدها *** عصارة ماء الحنظل المتفلّق

فتنكر عيني بعدها كلّ منظر *** و يكره سمعي بعدها كلّ منطق

قال: و سقط غراب قريبا منه فجعل ينعق مرارا، فتطيّر منه و قال:

لقد نادى الغراب ببين لبنى *** فطار القلب من حذر الغراب

و قال غدا تباعد دار لبنى *** و تنأى بعد ودّ و اقتراب

فقلت تعست ويحك من غراب *** و كان الدهر سعيك في تباب

/و قال أيضا و قد منعه قومه من الإلمام بها:

صوت

ألا يا غراب البين ويحك نبّني *** بعلمك في لبنى و أنت خبير

فإن أنت لم تخبر بما قد علمته *** فلا طرت إلاّ و الجناح كسير

و درت بأعداء حبيبك فيهم *** كما قد تراني بالحبيب أدور

غنّى سليمان أخو حجبة رملا بالوسطى.

قالوا: و قال أيضا و قد أدخلت هودجها و رحلت و هي تبكي و يتبعها:

ص: 127

1- المتخلق: الذي يتكلف ما ليس في خلقه.

2- الموبق: المهلك.

صوت

ألا يا غراب البين هل أنت مخبري *** بخير كما خبّرت بالنأي و الشرّ

و قلت كذاك الدهر ما زال فاجعا *** صدقت و هل شيء بباق على الدهر

غنّى فيهما ابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ. و ذكر حبش أنّ لقفا النجّار فيهما ثقيلا أوّل بالوسطى. قالوا:

فلما ارتحل قومها اتّبعها مليا، ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها، فوقف ينظر إليهم و يبكي حتى غابوا عن عينه فكرّ راجعا. و نظر إلى أثر خفّ بعيرها فأكبّ عليه يقبّله و رجع يقبّل موضع مجلسها و أثر قدمها. فليم على ذلك و عنّفه قومه على تقبيل التراب؛ فقال:

و ما أحببت أرضكم و لكن *** أقبّل إثر من وطئ التّرابا

لقد لاقيت من كلفي بلبنى *** بلاء ما أسيغ به الشّرابا

إذا نادى المنادي باسم لبنى *** عييت فما أطيق له جوابا

/و قال و قد نظر إلى آثارها:

صوت

/

ألا يا ربع لبنى ما تقول *** ابن لي اليوم ما فعل الحلول

فلو أن الديار تجيب صبّا *** لردّ جوابي الرّبع المحيل

و لو أنّي قدرت غداة قالت *** غدرت(1) و ماء مقلتها يسيل

نحرت النفس حين سمعت منها *** مقالتها و ذاك لها قليل

شفيت غليل نفسي من فعالي *** و لم أغبر بلا عقل أجول

غنّى فيه حسين بن محرز خفيف ثقيل من روايتي بذل و قريض. و تمام هذه الأبيات:

كأنّي واله بفراق لبنى *** تهيم بفقد واحدها ثكول

ألا يا قلب ويحك كن جليدا *** فقد رحلت و فات بها الذّميل(2)

فإنك لا تطيق رجوع لبنى *** إذا رحلت و إن كثر العويل

و كم قد عشت كم بالقرب منها *** و لكنّ الفراق هو السبيل

فصبرا كلّ مؤتلفين يوما *** من الأيام عيشهما يزول

قال: فلما جنّ عليه الليل و انفرد و أوى إلى مضجعه لم يأخذه القرار و جعل يتململ فيه تململ السليم، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها، فجعل يتمرّغ فيه و يبكي و يقول:

1- كذا في «تجريد الأغاني»: و في ب، س: «و درت» و هو تحريف. و قد سقط هذا البيت من سائر الأصول.

2- الذميل: السير اللين.

صوت

بتّ و الهمّ يا لبينى ضجيعي *** و جرت مذ نأيت عنّي دموعي

و تنفّست إذ ذكرتك حتى *** زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي

/أتناساك كي يريغ(1) فؤادي *** ثم يشتدّ عند ذاك و لوعي

يا لبينى فدتك نفسي و أهلي *** هل لدهر مضى لنا من رجوع

غنّت في البيتين الأوّلين شارية خفيف رمل بالوسطى. و غنّى فيهما حسين بن محرز ثاني ثقيل، هكذا ذكر الهشاميّ؛ و قد قيل إنه لهاشم بن سليمان.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزّبير بن بكّار حدّثني عبد الجبّار بن سعيد المساحقيّ عن محمد بن معن الغفاريّ عن أبيه عن عجوز لهم يقال حمّادة بنت أبي مسافر قالت:

جاورت آل ذريح بقطيع لي فيه الرّائمة(2) و ذات البوّ و الحائل و المتبع. قالت: فكان قيس بن ذريح إلى شرف(3) في ذلك القطيع ينظر إلى ما يلقين فيتعجّب. فقلّما لبث حتى عزم عليه أبوه بطلاق لبنى فكاد يموت، ثم آلى أبوه لئن أقامت لا يساكن قيسا. فظعنت فقال:

أيا كبدا طارت صدوعا نوافذا *** و يا حسرتا ما ذا تغلغل في القلب

فأقسم ما عمش العيون شوارف(4) *** روائم بوّ حائمات على سقب(5)

تشمّمنه لو يستطعن ارتشفنه *** إذا سفنه يزددن نكبا على نكب(6)

رئمن فما تنحاش منهنّ شارف *** و حالفن(7) حبسا في المحول و في الجدب

/بأوجد منّي يوم ولّت حمولها *** و قد طلعت أولى الرّكاب من النّقب

و كلّ ملمّات الزمان وجدتها *** سوى فرقة الأحباب هيّنة الخطب

/أخبرني عمّي قال حدّثني الكرانيّ قال سمعت ابن عائشة يقول: قال إسحاق بن الفضل الهاشميّ: لم يقل الناس في هذا المعنى مثل قول قيس بن ذريح:

و كلّ مصيبات الزمان وجدتها *** سوى فرقة الأحباب هيّنة الخطب

قال و قال ابن النطّاح قال أبو دعامة:

1- كذا في «تجريد الأغاني»: و يريغ: يحيد. و في الأصول: «يريع» بالعين المهملة و هو تصحيف.

2- الرائمة: العاطفة على غير ولدها. و البوّ: جلد الحوار يحشى تماما أو تبنا أو غيرهما فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدرّ. و الحائل: الناقة التي لا تحمل. و المتبع: التي يتبعها ولدها.

3- الشرف: المكان العالي.

4- الشوارف: جمع شارفة و هي الناقة المسنّة.

5- السقب: ولد الناقة.

6- ساف الشيء: شمه. و النكب (محركة و قد سكنت لضرورة الشعر): ظلع البعير، و قيل: داء يأخذ الإبل في مناكبها تظلع منه و تمشي منحرفة.

7- كذا في «تجريد الأغاني»: و في الأصول: «و حاولن» و هو تحريف.

خرج في فتية إلى بلادها حتى رآها، و شعره في ذلك:

خرج قيس في فتية من قومه و اعتلّ على أبيه بالصـيد، فأتى بلاد لبنى، فجعل يتوقّع أن يراها أو يرى من يرسل إليها. فاشـتغل الفتيان بالصيد؛ فلمـا قضوا و طرهم منه رجعوا إليه و هو واقف، فقالوا له: قـد عرفنا ما أردت بإخراجنا معك و أنك لم ترد الصـيد و أنما أردت لقاء لبنى، و قد تعذّر عليك فانصرف الآن. فقال:

و ما حائمات حمن يوما و ليلة *** على الماء يغشين العصيّ حوان

عوافي(1) لا يصدرن عنه لوجهة *** و لا هنّ من برد الحياض دوان

يرين حباب الماء و الموت دونه *** فهنّ لأصوات السّقاة روان

بأجهد منّي حرّ شوق و لوعة *** عليك و لكنّ العدوّ عداني

خليليّ إني ميّت أو مكلّم *** لبينى بسرّي فامضيا و ذراني

أنل حاجتي وحدي و يا ربّ حاجة *** قضيت على هول و خوف جنان

فإنّ أحقّ الناس ألا تجاوزا(2) *** و تطّرحا من لو يشاء شفاني

و من قادني للموت حتى إذا صفت *** مشاربه السمّ الذّعاف سقاني

/قال: فأقاموا معه حتى لقيها، فقالت له: يا هذا، إنك متعرّض لنفسك و فاضحي. فقال لها:

صدعت القلب ثم ذررت فيه *** هواك فليم فالتأم الفطور(3)

تغلغل حيث لم يبلغ شراب *** و لا حزن و لم يبلغ سرور

أبو السائب المخزومي و شعر قيس:

و قال القحذميّ حدّثني أبو الوردان قال حدّثني أبي قال: أنشدت أبا السّائب المخزوميّ قول قيس:

صدعت القلب ثم ذررت فيه *** هواك فليم فالتأم الفطور

فصاح بجارية له سـنديّة تسـمّى زبدة، فقال: أي زبدة عجّلي. فقالت: أنا أعجن. فقال: ويحك! تعالي و دعي العجين. فجاءت فقال لي: أنشد بيتي قيس فأعدتهما. فقال لها: يا زبدة، أحسن قيس و إلاّ فأنت حرّة! ارجعي الآن إلى عجينك أدركيه لا يبرد.

حسرته على فراقها و تأنيبه نفسه:

اشارة

قالوا: و جعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه في طلاقه لبنى و يقول: فألاّ رحلت بها عن بلده فلم أر ما يفعل و لم يرني! فكان إذا فقدني أقلع عمّا يفعله و إذا فقدته لم أتحرّج من فعله! و ما كان عليّ لو اعتزلته و أقمت في حيّها أو في بعض بوادي العرب، أو عصيته فلم أطعه! هذه جنايتي على نفسي فلا لوم على أحد! و ها أنا ذا ميّت مما فعلته،

1- العوافي: جمع عافية و هي التي ترد الماء.

2- كذا في ج: و في سائر الأصول: «فإني أحق الناس ألا تحاورا».

3- الفطور: الشقوق.

فمن يردّ روحي إليّ! و هل لي سبيل إلى لبنى بعـد الطلاق؟! و كلّما قرع نفسه و أنّبها بلون من التقريع و التأنيب بكى أحرّ بكاء و ألصق خدّه بالأرض و وضعه على آثارها ثم قال:

صوت

/

ويلي و عولي و مالي حين تفلتني *** من بعد ما أحرزت كفّي بها الظّفرا

قد قال قلبي لطرفي و هو يعذله *** هذا جزاؤك منّي فاكدم الحجرا

قد كنت أنهاك عنها لو تطاوعني *** فاصبر فما لك فيها أجر من صبرا

غنّاه الغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسـطى عن عمرو. و فيه لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى عن حبش. و في الثالث و الأوّل خفيف رمل يقال إنه لابن الهربذ.

قالوا و قال أيضا:

بانت لبينى فأنت اليوم متبول *** و الرأي عندك بعد الحزم مخبول

أستودع اللّه لبنى إذ تفارقني *** بالرغم منّي و قول الشيخ مفعول

و قد أراني بلبنى حقّ مقتنع *** و الشمل مجتمع و الحبل موصول

قال خالد بن كلثوم و قال:

ألا ليت لبنى في خلاء تزورني *** فأشكو إليها لوعتي ثم ترجع

صحا كلّ ذي لبّ و كلّ متيّم *** و قلبي بلبنى ما حييت مروّع

فيا من لقلب ما يفيق من الهوى *** و يا من لعين بالصّبابة تدمع

قالوا و قال في ليلته تلك:

قد قلت للقلب لا لبناك فاعترف *** و اقض اللّبانة ما قضّيت و انصرف

قد كنت أحلف جهدا لا أفارقها *** أفّ لكثرة ذاك القيل و الحلف

حتى تكنّفني الواشون فافتلتت(1) *** لا تأمنن أبدا من غشّ مكتنف

هيهات هيهات قد أمست مجاورة *** أهل العقيق و أمسينا على سرف

/ – قال: و سرف على ستة أميال(2) من مكة. و العقيق: واد باليمامة –

حيّ يمانون و البطحاء منزلنا *** هذا لعمرك شمل غير مؤتلف

من شعره في لبنى و قد سنحت له ظبية:

قالوا: فلمّا أصبح خرج متوجّها نحو الطريق الذي سلكته يتنسّم روائحها، فسنحت له ظبية فقصدها فهربت منه فقال:

1- افتلتت: أخذت بغتة.

2- كذا في «معجم ما استعجم» للبكري: و في الأصول: «أيام» و هو تحريف من النساخ.

ألا يا شبه لبنى لا تراعي *** و لا تتيمّمي قلل القلاع

و هي قصيدة طويلة يقول فيها:

فوا كبدي و عاودني رداعي(1) *** و كان فراق لبنى كالخداع

تكنّفني الوشاة فأزعجوني *** فيا للّه للواشي المطاع

فأصبحت الغداة ألوم نفسي *** على شيء و ليس بمستطاع

كمغبون يعضّ على يديه *** تبيّن غبنه بعد البياع

بدار مضيعة تركتك لبنى *** كذاك الحين يهدى للمضاع

و قد عشنا نلذّ العيش حينا *** لو ان الدهر للإنسان داع

و لكنّ الجميع إلى افتراق *** و أسباب الحتوف لها دواع

غنّاه الغريض من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن/إسحاق. و فيه لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو و الهشاميّ. و لشارية في البيتين الأوّلين ثقيل أوّل آخر بالوسطى. و لابن سريج رمل بالوسطى عن الهشاميّ في:

بدار مضيعة تركتك لبنى

و قبله:

فوا كبدي و عاودني رداعي

و لسياط في البيتين الأوّلين خفيف رمل بالبنصر عن حبش.

أغرت أمه فتيات الحي بأن يعبن عنده لبنى ليسلوها فلم يسل، و شعره في ذلك:

اشارة

حدّثني عمّي عن الكرانيّ عن العتبيّ عن أبيه قال:

بعثت أمّ قيس بن ذريح بفتيات من قومه إليه يعبن إليه لبنى و يعبنه بجزعه و بكائه و يتعرّضن لوصاله، فأتينه فاجتمعن حواليه و جعلن يمازحنه و يعبن لبنى عنده و يعيّرنه ما يفعله. فلما أطلن أقبل عليهنّ و قال:

صوت

يقرّ بعيني قربها و يزيدني *** بها كلفا من كان عندي يعيبها

و كم قائل قد قال تب فعصيته *** و تلك لعمري توبة لا أتوبها

فيا نفس صبرا لست و اللّه فاعلمي *** بأوّل نفس غاب عنها حبيبها

– غنّاه دحمان ثقيلا أوّل بالوسطى. و فيه هزج بالبنصر لسليم، و ذكر حبش أنه لإسحاق – قال: فانصرفن عنه إلى أمّه فأيأسنها من سلوته. و قال سائر الرّواة الذين ذكرتهم: اجتمع إليه النّسوة فأطلن الجلوس عنده و محادثته و هو ساه

1- الرداع: النكس، و قيل: وجع الجسد كله.

عنهنّ، ثم نـادى: يـا لبنى! فقلن له: مالـك ويحك! فقال: خـدرت رجلي، و يقال: إن دعاء الإنسان باسم أحبّ الناس إليه يـذهب عنه خـدر الرّجل فناديتها لذلك. فقمن عنه، و قال:

إذا خدرت رجلي تذكرت من لها *** فناديت لبنى باسمها و دعوت

دعوت التي لو أنّ نفسي تطيعني *** لفارقتها من حبّها و قضيت

برت نبلها للصيد لبنى و ريّشت *** و ريّشت أخرى مثلها و بريت

فلمّا رمتني أقصدتني بسهمها *** و أخطأتها بالسّهم حين رميت

/و فارقت لبنى ضلّة فكأنني *** قرنت إلى العيوق ثم هويت

فيا ليت أنّي متّ قبل فراقها *** و هل ترجعن فوت القضيّة ليت

فصرت و شيخي كالذي عثرت به *** غداة الوغى بين العداة كميت

فقامت و لم تضرر هناك سويّة *** و فارسها تحت السّنابك ميت

فإن يك تهيامي بلبنى غواية *** فقد يا ذريح بن الحباب غويت

فلا أنت ما أمّلت فيّ رأيته *** و لا أنا لبنى و الحياة حويت

فوطّن لهلكي منك نفسا فإنّني *** كأنك بي قد يا ذريح قضيت

حديثه في مرضه مع عوّاده و مع طبيبه عن لبنى، و شعره في ذلك:

اشارة

و قـال خالـد بن كلثوم: مرض قيس، فسأل أبوه فتيات الحي أن يعـدنه و يحـدّثنه لعلّه أن يتسـلّى أو يعلق بعضـهن، ففعلن ذلك. و دخل إليه طبيب ليداويه و الفتيات معه، فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه و أطلن السؤال عن سبب علّته، فقال:

صوت

/

عيد قيس من حبّ لبنى و لبنى *** داء قيس و الحبّ داء شديد

و إذا عادني العوائد يوما *** قالت العين لا أرى من أريد

ليت لبنى تعودني ثم أقضي *** إنها لا تعود فيمن يعود

ويح قيس لقد تضمّن منها *** داء خبل فالقلب منه عميد

- غنّاه ابن سريج خفيف رمل عن الهشاميّ. و فيه للحجبيّ ثقيل أوّل بالوسطى. و فيه ليحيى المكي رمل - قالوا:

فقال له الطبيب: منذ كم هذه العلّة؟ و منذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت؟ فقال:

صوت

تعلّق روحي روحها قبل خلقنا *** و من بعد ما كنّا نطافا و في المهد

فزاد كما زدنا فأصبح ناميا *** و ليس إذا متنا بمنصرم العهد

/و لكنّه باق على كلّ حادث *** و زائرنا في ظلمة القبر و اللّحد

– غنّاه الغريض ثقيلا أوّل بالوسطى من رواية حبش – قالوا: فقال له الطبيب: إن مما يسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوئ و المعايب و ما تعافه النفس من أقذار بني آدم؛ فإن النفس تنبو حينئذ و تسلو و يخفّ ما بها. فقال:

إذا عبتها شبّهتها البدر طالعا *** و حسبك من عيب لها شبه البدر

لقد فضّلت لبنى على الناس مثل ما *** على ألف شهر فضّلت ليلة القدر

صوت

إذا ما مشت شبرا من الأرض أرجفت *** من البهر حتى ما تزيد على شبر

لها كفل يرتجّ منها إذا مشت *** و متن كغصن البان مضطمر الخصر

– غنّى في هذين البيتين ابن المكّيّ خفيف رمل بالوسطى. و فيهما رمل ينسب إلى ابن سريج و إلى ابن طنبورة عن الهشاميّ – قالوا: و دخل أبوه و هو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة، فأنّبه و لامه و قال له: يا بنيّ! اللّه اللّه في نفسك! فإنك ميّت إن دمت على هذا! فقال:

و في عروة(1) العذريّ إن متّ أسوة *** و عمرو(2) بن عجلان الذي قتلت هند

و بي مثل ما ماتا به غير أنني *** إلى أجل لم يأتني وقته بعد

صوت

هل الحبّ إلاّ عبرة بعد زفرة *** و حرّ على الأحشاء ليس له برد

و فيض دموع تستهلّ إذا بدا *** لنا علم من أرضكم لم يكن يبدو

غنّى في هذين البيتين زيد بن الخطّاب مولى سليمان بن أبي جعفر، و قيل: إنه مولى سليمان بن عليّ، ثقيلا أوّل بالوسطى عن الهشامي.

إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له:

و أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير، و أخبرنا اليزيديّ عن ثعلب عن الزّبير قال حدّثني إسماعيل بن أبي أويس قال:

جلست أنا و أبو السائب في النبّالين، فأنشدني قول قيس بن ذريح:

/

عيد قيس من حبّ لبنى و لبنى *** داء قيس و الحبّ داء شديد

ليت لبنى تعودني ثم أقضي *** إنها لا تعود فيمن يعود

1- هو عروة بن حزام بن مهاصر أحد بني حزام بن ضبة بن عبد بن كبير بن عذرة، شاعر إسلامي، أحد المتيمين الذين قتلهم الهوى، لا يعرف له شعر إلاّ في عفراء بنت عمه. (انظر ترجمته في ج 20 ص 152 من «الأغاني» طبع بولاق).

2- ورد هذا الاسم في تزيين الأسواق كما جاء في الأصول. و ذكره البحتري أيضا فقال: هوى لا جميل في بثينة ناله بمثل و لا عمرو بن عجلان في هند و ذكر أبو الفرج ترجمته (في ج 19 ص 102 من «الأغاني» طبع بولاق) فقال: هو عبد اللّه بن العجلان بن عبد الأحب، شاعر جاهلي أحد المتيمين من الشعراء و من قتله الحب منهم. و كان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم عليها. و لما زوجت زوجا غيره مات أسفا.

قال: فأنشدته أنا لقيس:

تعلّق روحي روحها قبل خلقنا *** و من بعد ما كنّا نطافا و في المهد

فزاد كما زدنا و أصبح ناميا *** و ليس إذا متنا بمنتقض العهد

و لكنّه باق على كل حادث *** و زائرنا في ظلمة القبر و اللّحد

فحلف لا يزال يقوم و يقعد حتى يرويها. فدخل زقاق النّبالين و جعلت أردّدها عليه و يقوم و يقعد حتى رواها.

رجع الخبر إلى سياقته.

زوجه أبوه غيرها ليسلوها فتزوّجت لبنى، و ما قال في ذلك من الشعر:

اشارة

و قال خالد بن جمل: فلمّا طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوّجه امرأة جميلة فلعلّه أن يسلو بها عن لبنى. فدعاه إلى ذلك فأباه و قال:

لقد خفت ألاّ تقنع النفس بعدها *** بشيء من الدنيا و إن كان مقنعا

و أزجر عنها النفس إذ حيل دونها *** و تأبى إليها النفس إلاّ تطلّعا

/فأعلمهم أبوه بما ردّ عليه. قالوا: فمره بالمسير في أحياء العرب و النزول عليهم فلعلّ عينه أن تقع على امرأة تعجبه. فأقسم عليه أبوه أن يفعل. فسار حتى نزل بحيّ من فزارة، فرأى جارية حسناء قد حسرت برقع خزّ عن وجهها و هي كالبدر ليلة تمّه، فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: لبنى. فسقط على وجهه مغشيّا عليه، فنضحت على وجهه ماء و ارتاعت لما عراه، ثم قالت: إن لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لمجنون! فأفاق فنسبته فانتسب.

فقالت: قد علمت أنك قيس، و لكن نشدتك باللّه و بحقّ لبنى إلاّ أصبت من طعامنا. و قدّمت إليه طعاما، فأصاب منه بإصبعه. و ركب فأتى على أثره أخ لها كان غائبا، فرأى مناخ ناقته، فسألهم عنه فأخبروه، فركب حتى ردّه إلى منزله، و حلف عليه ليقيمنّ عنده شهرا. فقال له: لقد شققت عليّ، و لكنّي سأتبع هواك، و الفزاريّ يزداد إعجابا بحديثه و عقله و روايته، فعرض عليه الصّهر. فقال له: يا هذا إن فيك لرغبة، و لكنّي في شغل لا ينتفع بي معه.

فلم يزل يعاوده و الحيّ يلومونه و يقولون له: قد خشينا أن يصير علينا فعلك سبّة. فقال: دعوني، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام. فلم يزل به حتى أجابه و عقد الصّهر بينه و بينه على أخته المسماة لبنى، و قال له: أنا أسوق عنك صداقها. فقال: أنا و اللّه يا أخي أكثر قومي مالا، فما حاجتك إلى تكلّف هذا؟ أنا سائر إلى قومي و سائق إليها المهر. ففعل و أعلم أباه الذي كان منه، فسرّه و ساق المهر عنه. و رجع إلى الفزاريّين حتى أدخلت عليه زوجته، فلم يروه هشّ إليها و لا دنا منها و لا خاطبها بحرف و لا نظر إليها. و أقام على ذلك أياما كثيرة. ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياما فأذنوا له في ذلك، فمضى لوجهه إلى المدينة. و كان له صديق من الأنصار بها؛ فأتاه فأعلمه

الأنصاريّ أن خبر تزويجه بلغ لبنى فغمّها و قالت: إنه لغـدّار! و لقد كنت أمتنع من إجابة قومي إلى التزويج فأنا الآن أجيبهم، و قد كان/أبوها شكـا قيسا إلى معاويـة/و أعلمه تعرّضه لها بعـد الطلاق. فكتب إلى مروان بن الحكم يهـدر دمه إن تعرّض لها، و أمر أباها أن يزوّجها رجلا يعرف بخالد بن حلّزة من بني عبد اللّه بن غطفان – و يقال: بل أمره بتزويجها رجلا من آل كثير بن الصّـلت الكنديّ حليف قريش – فزوّجها أبوها منه. قال: فجعل نساء الحيّ يقلن ليلة زفافها:

لبنى زوجها أصب *** ح لا حرّ بواديه(1)

له فضل على الناس *** بما باتت تناجيه

و قيس ميّت حيّ *** صريع في بواكيه

فلا يبعده اللّه *** و بعدا لنواعيه

قال: فجزع قيس جزعا شديدا و جعل ينشج أحرّ نشيج و يبكي أحرّ بكاء. ثم ركب من فوره حتى أتى محلّة قومها، فناداه النساء: ما تصنع الآن هاهنا! قد نقلت لبنى إلى زوجها!. و جعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة و ما أشبهها و هو لا يجيبهم حتى أتى موضع خبائها فنزل عن راحلته و جعل يتمعّك(2) في موضعها و يمرّغ خدّه على ترابها و يبكي أحرّ بكاء. ثم قال:

صوت

إلى اللّه أشكو فقد لبنى كما شكا *** إلى اللّه فقد الوالدين يتيم

يتيم جفاه الأقربون فجسمه *** نحيل و عهد الوالدين قديم

بكت دارهم من نأيهم فتهلّلت *** دموعي فأيّ الجازعين ألوم

أ مستعبرا يبكي من الشوق و الهوى *** أمّ آخر يبكي شجوه و يهيم

/لابن جامع في البيتين الأولين ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ. و لعريب فيهما ثاني ثقيل. و في الثالث و الرابع لميّاسة خفيف رمل بالبنصر عن عمرو و حبش و الهشاميّ و تمام هذه الأبيات، و ليست فيها صنعة، قوله:

تهيّضني من حبّ لبنى علائق *** و أصناف حبّ هولهن عظيم

و من يتعلّق حبّ لبنى فؤاده *** يمت أو يعش ما عاش و هو كليم

فإنّي و إن أجمعت عنك تجلّدا *** على العهد فيما بيننا لمقيم

و إنّ زمانا شتّت الشمل بيننا *** و بينكم فيه العدا لمشوم

أ في الحقّ هذا أنّ قلبك فارغ *** صحيح و قلبي في هواك سقيم

و قد قيل: إن هذه الأبيات ليست لقيس و إنما خلطت بشعره، و لكنّها في هذه الرواية منسوبة إليه.

قال: و قال أيضا في رحيل لبنى عن وطنها و انتقالها إلى زوجها بالمدينة و هو مقيم في حيّها:

صوت

بانت لبينى فهاج القلب من بانا(3) *** و كان ما وعدت مطلا(4) و ليّانا

ص: 136

1- في تزيين الأسواق (ج 1 ص 56 طبع بلاق): «يوازيه».

2- يمتعك: يتمرّغ.

3- في ج: «بانت لبينى فقلبي اليوم من بانا».

4- ليان و مثله ليّ (بفتح اللام فيهما و كسرها): مصدر لوى بمعنى مطل. تقول لواه دينه و بدينه. و قال أبو الهيثم: لم يجيء من المصادر على فعلان إلاّ ليان. و عن ابن زيد أن كسر اللام في هذا المصدر لغية.

و أخلفتك منى قد كنت تأملها *** فأصبح القلب بعد البين حيرانا

اللّه يدري و ما يدري به أحد *** ما ذا أجمجم من ذكراك أحيانا

/يا أكمل الناس من قرن إلى قدم *** و أحسن الناس ذا ثوب و عريانا

نعم الضّجيع بعيد النوم تجلبه *** إليك ممتلئا نوما و يقظانا

/للغريض في هذه الأبيات ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق و عمرو. و ذكر الهشاميّ أنّ فيه لابن محرز ثاني ثقيل آخر. و قال أحمد بن عبيد: فيه لحنان ليحيى المكّيّ و علّويه. و تمام هذه القصيدة:

لا بارك اللّه فيمن كان يحسبكم *** إلاّ على العهد حتى كان ما كانا

حتى استفقت أخيرا بعد ما نكحت *** كأنما كان ذاك القلب حيرانا

قد زرأني طيفكم ليلا فأرّقني *** فبتّ للشوق أذري الدمع تهتانا

إن تصرمي الحبل أو تمسي مفارقة *** فالدهر يحدث للإنسان ألوانا

و ما أرى مثلكم في الناس من بشر *** فقد رأيت به حيّا و نسوانا

شكاه أبوها إلى معاوية فأهدر دمه، و شعره في ذلك:

اشارة

و قال ابن قتيبة في خبره عن الهيثم بن عديّ، و رواه عمر بن شبّة أيضا: أن أبا لبنى شخص إلى معاوية فشكا إليه قيسا و تعرّضه لابنته بعد طلاقه إيّاها. فكتب معاوية إلى مروان أو سعيد بن العاص يهدر دمه إن ألمّ بها و أن يشتدّ في ذلك. فكتب مروان أو سعيد في ذلك إلى صاحب الماء الذي ينزله أبو لبنى كتابا و كيدا، و وجّهت لبنى رسولا قاصدا إلى قيس تعلمه ما جرى و تحذّره. و بلغ أباه الخبر فعاتبه و تجهّمه و قال له: انتهى بك الأمر إلى أن يهدر السلطان دمك! فقال:

صوت

فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها *** مقالة واش أو وعيد أمير

فلن يمنعوا عينيّ من دائم البكا *** و لن يذهبوا ما قد أجنّ ضميري

إلى اللّه أشكو ما ألاقي من الهوى *** و من حرق تعتادني و زفير

و من حرق(1) للحبّ في باطن الحشى *** و ليل طويل الحزن غير قصير

/سأبكي على نفسي بعين غزيرة *** بكاء حزين في الوثاق أسير

و كنّا جميعا قبل أن يظهر الهوى *** بأنعم حالي غبطة و سرور

فما برح الواشون حتى بدت لهم *** بطون الهوى مقلوبة لظهور

لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا *** و لكنّما الدنيا متاع غرور

- هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذريح. و ذكر الزّبير بن بكّار أنه لجدّه عبد اللّه بن مصعب - غنّى يزيد حوراء

1- الحرق بالتحريك: النار، و يحتمل أن تكون حرق بضم أوله جمع حرقة.

في الأوّل و الثاني و السادس و الثالث من هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى. و غنّى إبراهيم في الأوّل و الثاني لحنا من كتابه غير مجنّس. و ذكر حبش أنّ فيهما لإسحاق خفيف ثقيل بالوسطى. و في الخامس و ما بعده لعريب ثقيل أوّل ابتداؤه نشيد. و قال ابن الكلبيّ في خبره: قال قيس في إهدار معاوية دمه إن زارها:

إن تك لبنى قد أتى دون قربها *** حجاب منيع ما إليه سبيل

فإنّ نسيم الجوّ يجمع بيننا *** و نبصر قرن الشمس حين تزول

/و أرواحنا باللّيل في الحيّ تلتقي *** و نعلم أنّا بالنهار نقيل

و تجمعنا الأرض القرار و فوقنا *** سماء نرى فيها النجوم تجول

إلى أن يعود الدهر سلما و تنقضي *** تراث بغاها عندنا و ذحول

شعره فيما حين صادفها في موسم الحج:

و مما وجد في كتاب لابن النطّاح قال العتبيّ حدّثني أبي قال: حجّ قيس بن ذريح، و اتّفق أن حجّت لبنى في تلك السنة، فرآها و معها امرأة من قومها، فدهش و بقي واقفا مكانه و مضت لسبيلها. ثم أرسلت إليه بالمرأة تبلغه السلام و تسأله عن خبره؛ فألفته جالسا وحده ينشد و يبكي:

و يوم منّى أعرضت عنّي فلم أقل *** بحاجة(1) نفس عند لبنى مقالها

/و في اليأس للنفس المريضة راحة *** إذا النفس رامت خطّة لا تنالها

فدخلت خباءه و جعلت تحدّثه عن لبنى و يحدّثها عن نفسه مليّا، و لم تعلمه أنّ لبنى أرسلتها إليه. فسألها أن تبلغها عنه السلام، فامتنعت عليه؛ فأنشأ يقول:

إذا طلعت شمس النهار فسلّمي *** فآية تسليمي عليك طلوعها

بعشر تحيّات إذا الشمس أشرقت *** و عشر إذا اصفرّت و حان رجوعها

و لو أبلغتها جارة قولي أسلمي *** بكت جزعا و ارفضّ منها دموعها

و بان الذي تخفي من الوجد في الحشى *** إذا جاءها عنّي حديث يروعها

– غنّى في البيتين الأوّلين علّويه خفيف رمل بالوسطى – قال: و قضى الناس حجّهم و انصرفوا. فمرض قيس في طريقه مرضا شديدا أشفى منه على الموت، فلم يأته رسولها عائدا لأن قومها رأوه و علموا به؛ فقال:

أ لبنى لقد جلّت عليك مصيبتي *** غداة غد إذ حلّ ما أتوقّع

تمنّيننني نيلا و تلويننني به(2) *** فنفسي شوقا كلّ يوم تقطّع

و قلبك قطّ ما يلين لما يرى *** فوا كبدي قد طال هذا التضرّع

ألومك في شأني و أنت مليمة *** لعمري و أجفى للمحبّ و أقطع

1- كذا في «تجريد الأغاني». و في الأصول: «لحاجة نفس» باللام.

2- كذا في ج و «تجريد الأغاني» و «تزيين الأسواق». و في سائر الأصول «و تلويننني قلى».

أ خبّرت أنّي فيك ميّت حسرتي *** فما فاض من عينيك للوجد مدمع

و لكن لعمري قد بكيتك جاهدا *** و إن كان دائي كلّه منك أجمع

صبيحة جاء العائدات يعدنني *** فظلّت عليّ العائدات تفجّع

فقائلة جئنا إليه و قد قضى *** و قائلة لا، بل تركناه ينزع

و روى القحذميّ هاهنا:

فما غشيت عينيك من ذاك عبرة *** و عيني على ما بي بذكراك تدمع

/إذا أنت لم تبكي عليّ جنازة(1) *** لديك فلا تبكي غدا حين أرفع

قال: فبلغتها الأبيات، فجزعت جزعا شديدا و بكت بكاء كثيرا. ثم خرجت إليه ليلا على موعد فاعتذرت و قالت:

إنما أبقي عليك و أخشى أن تقتل، فأنا أتحاماك لذلك، و لو لا هذا لما/افترقنا. و ودّعته و انصرفت.

شعره فيها و قد بلغه أنها كذبت مرضه:

و قال خالد بن كلثوم: فبلغه أنّ أهلها قالوا لها: إنه عليل لما به و إنه سيموت في سفره هذا. فقالت لهم لتدفعهم عن نفسها: ما أراه إلا كاذبا فيما يدّعي و متعلّلا لا عليلا. فبلغه ذلك فقال:

تكاد بلاد اللّه يا أمّ معمر *** بما رحبت يوما عليّ تضيق

تكذّبني بالودّ لبنى وليتها *** تكلّف منّي مثله فتذوق

و لو تعلمين الغيب أيقنت أنني *** لكم و الهدايا المشعرات صديق

تتوق إليك النفس ثم أردّها *** حياء و مثلي بالحياء حقيق

أذود سوام النفس عنك و ما له *** على أحد إلا عليك طريق

فإنّي و إن حاولت صرمي و هجرتي *** عليك من احداث الرّدى لشفيق

و لم أر أيّاما كأيّامنا التي *** مررن علينا و الزمان أنيق

و وعدك إيّانا، و لو قلت عاجل، *** بعيد كما قد تعلمين سحيق

و حدّثتني يا قلب أنك صابر *** على البين من لبنى فسوف تذوق

فمت كمدا أو عش سقيما فإنّما *** تكلّفني مالا أراك تطيق

أطعت وشاة لم يكن لك فيهم *** خليل و لا جار عليك شفيق

فإن تك لمّا تسل عنها فإنّني *** بها مغرم صبّ الفؤاد مشوق

/بلبنى أنادى عند أوّل غشية *** و يثني بها الدّاعي لها فأفيق

ص: 139

1- الجنازة (بالكسر و يفتح): الميت. و قيل: الجنازة بالكسر الميت و بالفتح السرير، و قيل عكس ذلك. و المراد هنا المريض المشرف على الموت.

شهدت على نفسي بأنك غادة *** رداح و أنّ الوجه منك عتيق(1)

و أنك لا تجزيني بصحابة *** و لا أنا للهجران منك مطيق

و أنك قسّمت الفؤاد فنصفه *** رهين و نصف في الحبال وثيق

صبوحي إذا ما ذرّت الشمس ذكركم *** و لي ذكركم عند المساء غبوق

إذا أنا عزّيت الهوى أو تركته *** أتت عبرات بالدموع تسوق

كأنّ الهوى بين الحيازيم و الحشى *** و بين التّراقي و اللّهاة(2) حريق

فإن كنت لمّا تعلمي العلم فاسألي *** فبعض لبعض في الفعال فئوق

سلي هل قلاني من عشير صحبته *** و هل ملّ رحلي في الرّفاق رفيق

و هل يجتوي القوم الكرام صحابتي *** إذا اغبرّ مخشيّ الفجاج عميق

و أكتم أسرار الهوى فأميتها *** إذا باح مزّاح بهنّ بروق(3)

سعى الدهر و الواشون بيني و بينها *** فقطّع حبل الوصل و هو وثيق

هل الصبر إلا أن أصدّ فلا أرى *** بأرضك إلاّ أن يكون طريق

قصته مع لبنى و زوجها و قد باعه ناقة و هو لا يعرفه:

اشارة

قال: ثم أتى قومه فاقتطع قطعة من إبله و أعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها و يمتار لأهله بثمنها. فعرف أبوه أنه إنما يريد لبنى، فعاتبه و زجره عن ذلك؛ فلم يقبل منه، و أخذ إبله و قدم بها المدينة. فبينا هو يعرضها إذ ساومه زوج لبنى بناقة منها و هما لا يتعارفان، فباعه إيّاها. /فقال له: إذا كان غد فأتني في دار كثير بن الصّلت فاقبض الثمن؛ قال:

نعم. و مضى زوج لبنى إليها فقال لها: إني ابتعت ناقة من/رجل من أهل البادية و هو يأتينا غدا ليقبض ثمنها، فأعدّي له طعاما، ففعلت. فلما كان من الغد جاء قيس فصوّت بالخادم: قولي لسيّدك: صاحب الناقة بالباب.

فعرفت لبنى نغمته فلم تقل شيئا. فقال زوجها للخادم: قولي له: ادخل، فدخل فجلس. فقالت لبنى للخادم: قولي له: يا فتى، ما لي أراك أشعث أغبر؟ فقالت له ذلك. فتنفّس ثم قال لها: هكذا تكون حال من فارق الأحبّة و اختار الموت على الحياة، و بكى. فقالت لها لبنى: قولي له: حدّثنا حديثك. فلما ابتدأ يحدّث به كشفت الحجاب و قالت: حسبك! قد عرفنا حديثك! و أسبلت الحجاب. فبهت ساعة لا يتكلّم ثم انفجر باكيا و نهض فخرج. فناداه زوجها: ويحك! ما قصّتك؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك، و إن شئت زدناك. فلم يكلّمه و خرج فاغترز(4)

في رحله و مضـى. و قـالت لبنى لزوجها: ويحك! هـذا قيس بن دريـح. فما حملك على ما فعلت به؟ قال: ما عرفته. و جعل قيس يبكي في طريقه و يندب نفسه و يوبّخها على فعله ثم قال:

ص: 140

1- الرداح: الثقيلة الأوراك. و العتيق: الجميل الكريم.

2- الحيازيم: جمع حيزوم و هو وسط الصـدر. و التراقي: جمع ترقوة و هي العظم الذي بين ثغرة النحر و العاتق. و اللهاة: اللحمة المشـرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

3- في «الأمالي»: «نزوق».

4- أي ركب، و الغرز للجمل مثل الركاب للبغل.

صوت

أ تبكي على لبنى و أنت تركتها *** و أنت عليها بالملا أنت أقدر

فإن تكن الدنيا بلبنى تقلّبت *** عليّ فللدنيا بطون و أظهر

لقد كان فيها للأمانة موضع *** و للكفّ مرتاد و للعين منظر

و للحائم العطشان ريّ بريقها *** و للمرح المختال خمر و مسكر

كأنّي لها أرجوحة بين أحبل *** إذا ذكرة منها على القلب تخطر

للغريض في البيتين الأوّلين ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو و الهشامي و فيهما لعريب رمل. و لشارية خفيف رمل من رواية أبي العبيس.

/أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال:

تزوّج رجل من أهل المدينة يقال له أبو درّة امرأة كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بطينة؛ فلقيه زوجها الأوّل فضربه ضربة شلّت يده منها. فلقيه أبو السائب المخزومي فقال له: يا أبا درّة! أضربك أبو بطينة في زوجته؟ قال: نعم. قال: أما إني أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذريح في زوجته لبنى:

لقد كان فيها للأمانة موضع *** و للكفّ مرتاد و للعين منظر

و للحائم العطشان ريّ بريقها *** و للمرح المختال خمر و مسكر

قال: و كانت زوجة أبي درّة هذه سوداء كأنها خنفساء.

مرضه بعد هذه الحادثة:

قال: و عاد إلى قومه بعد رؤيته إيّاها و قد أنكر نفسه و أسف و لحقه أمر عظيم؛ فأنكروه و سألوه عن حاله فلم يخبرهم، و مرض مرضا شديدا أشرف منه على الموت. فدخل إليه أبوه و رجال قومه فكلّموه و عاتبوه و ناشدوه اللّه.

فقال: ويحكم! أ تروني أمرضت نفسي أو وجدت لها سلوة بعد اليأس فاخترت الهمّ و البلاء، أو لي في ذلك صنع! هذا ما اختاره لي أبواي و قتلاني به. /فجعل أبوه يبكي و يدعو به بالفرج و السّلوة. فقال قيس:

لقد عذّبتني يا حبّ لبنى *** فقع إمّا بموت أو حياة

فإنّ الموت أروح من حياة *** تدوم على التباعد و الشّتات

و قال الأقربون تعزّ عنها *** فقلت لهم إذا حانت وفاتي

دست إليه رسولا يسأله لم تزوّج حتى تزوّجت هي:

قال: و دسّت إليه لبنى بعـد خروجه رسولا و قالت له: اسـتنشده، فإن سألك عن سـبتك فانتسب له خزاعيّا؛ فإذا أنشـدك فقل له: لم تزوّجت بعدها حتى أجابت/إلى أن تتزوّج بعدك؟ و احفظ ما يقول لك حتى تردّه عليّ. فأتاه الرسول فسـلّم و انتسب خزاعيا، و ذكر أنه من أهل الشام و استنشده؛ فأنشده قوله:

فأقسم ما عمش العيون شوارف *** روائم بوّ حانيات على سقب

– و قـد مضت هـذه الأبيات – فقال له الرجل: فلم تزوّجت بعدها؟ فأخبره الخبر، و حلف له أنّ عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوّجها، و أنه لو رآها في نسوة ما عرفها، و أنه ما مـدّ يـده إليها و لا كلّمها و لا كشف لها عن ثوب. فقال له الرجل: فإني جار لها و إنها من الوجد بك على حال قد تمنّى زوجها معها أن تكون بقربها لتصـلح حالها بك؛ فحمّلني إليها ما شـئت أؤدّه إليها. قال: تعود إليّ إذا أردت الرحيل، فعاد إليه لمّا أراد الرحيل. فقال تقول لها:

ألا حيّ لبنى اليوم إن كنت غاديا *** و ألمم بها من قبل أن لا تلاقيا

و أهد لها منك النصيحة إنها *** قليل و لا تخش الوشاة الأدانيا

و قل إنّني و الراقصات إلى منّى *** بأجبل جمع(1) ينتظرن المناديا

أصونك عن بعض الأمور مضنّة *** و أخشى عليك الكاشحين الأعاديا

تساقط نفسي حين ألقاك أنفسا *** يردن فما يصدرن إلاّ صواديا

فإن أحي أو أهلك فلست بزائل *** لكم حافظا ما بلّ ريق لسانيا

أقول إذا نفسي من الوجد أصعدت *** بها زفرة تعتادني هي ما هيا

و بين الحشى و النحر منّي حرارة *** و لوعة وجد تترك القلب ساهيا

ألا ليت لبنى لم تكن لي خلّة(2) *** و لم ترني لبنى و لم أدر ماهيا

سلي الناس هل خبّرت سرّك منهم *** أخا ثقة أو ظاهر الغشّ باديا

يقول لي الواشون لمّا تظاهروا *** عليك و أضحى الحبل للبين واهيا

/العمري لقبل اليوم حمّلت ما ترى *** و أنذرت من لبنى الذي كنت لاقيا

خليليّ ما لي قد بليت و لا أرى *** لبينى على الهجران إلاّ كما هيا

ألا يا غراب البين مالك كلّما *** ذكرت لبينى طرت لي عن شماليا

أ عندك علم الغيب أم لست(3) مخبري *** عن الحيّ إلاّ بالذي قد بدا ليا

جزعت عليها لو أرى لي مجزعا *** و أفنيت دمع العين لو كان فانيا

/حياتك لا تغلب عليها فإنه *** كفى بالذي تلقى لنفسك ناهيا

تمرّ الليالي و الشهور و لا أرى *** و لوعي بها يزداد إلاّ تماديا

فما عن نوال من لبينى زيارتي *** و لا قلّة الإلمام أن كنت قاليا

و لكنّها صدّت و حمّلت من هوى *** لها ما يئود الشامخات الرواسيا

و هذه القصيدة تخلط بقصيدة المجنون التي في وزنها و على قافيتها لتشابههما، فقلّما يتميّزان.

ص: 142

1- جمع: المزدلفة.

2- خلة: صديقة.

3- كذا في س: و في جميع الأصول: «أم أنت».

غنّى الحسين بن محرز في البيت الأوّل و البيت الخامس من هذه القصيدة ثقيلا أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من روايتي بذل و الهشاميّ.

أنب لبنى زوجها لافتضاح أمره بشعر قيس فغضبت:

حدّثني المدائني عن عوانة عن يحيى بن عليّ الكنانيّ قال:

شهر أمر قيس بالمدينة و غنّى في شعره الغريض و معبد و مالك و ذووهم، فلم يبق شريف و لا وضيع إلاّ سمع بذلك فأطربه و حزن لقيس ممّا به. و جاءها زوجها فأنّبها على ذلك و عاتبها و قال: قد فضحتني بذكرك. فغضبت و قالت: يا هذا، إني و اللّه ما تزوّجتك رغبة فيك و لا فيما عندك و لا دلّس أمري عليك، و لقد علمت أني كنت زوجته قبلك و أنه أكره على طلاقي. و و اللّه ما قبلت التزويج حتى أهدر/دمه إن ألمّ بحيّنا، فخشيت أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيقتل، فتزوّجتك. و أمرك الآن إليك، ففارقني فلا حاجة بي إليك. فأمسك عن جوابها و جعل يأتيها بجواري المدينة يغنّينها بشعر قيس كيما يستصلحها بذلك؛ فلا تزداد إلاّ تماديا و بعدا، و لا تزال تبكي كلّما سمعت شيئا من ذلك أحرّ بكاء و أشجاه.

وسط بريكة في لقائها، و شعره في ذلك:

اشارة

رجع الحديث إلى سياقته.

و قال الحرمازيّ و خالد بن جمل: كانت امرأة من موالي بني زهرة يقال لها بريكة من أظرف النساء و أكرمهنّ، و كان لها زوج من قريش له دار ضيافة. فلما طالت علّة قيس قال له أبوه: إني لأعلم أن شفاءك في القرب من لبنى فارحل إلى المدينة. فرحل إليها حتى أتى دار الضيافة التي لزوج بريكة. فوثب غلمانه إلى رحل قيس ليحطّوه.

فقال: لا تفعلوا فلست نازلا أو ألقى بريكة فإنّي قصدتها في حاجة؛ فإن وجدت لها عندها موضعا نزلت بكم و إلاّ رحلت. فأتوها فأخبروها. فخرجت إليه فسلّمت عليه و رحّبت به و قالت: حاجتك مقضية كائنة ما كانت، فانزل.

فنزل و دنا منها فقال: أذكر حاجتي؟ قالت: إن شئت. قال: أنا قيس بن ذريح. قالت: حيّاك اللّه و قرّبك! إنّ ذكرك لجديد عندنا في كل وقت. قال: و حاجتي أن أرى لبنى نظرة واحدة كيف شئت. قالت: ذلك لك عليّ. فنزل بهم و أقام عندها و أخفت أمره، ثم أهدى لها هدايا كثيرة و قال: لاطفيها و زوجها بهذا حتى يأنس بك. ففعلت وزارتها مرارا، ثم قالت لزوجها: أخبرني عنك: أنت خير من زوجي؟ قال: لا. قالت: فلبنى خير منّي؟ قال: لا. قالت:

فما بالي أزورها و لا تزورني؟ قال: ذلك إليها. فأتتها و سألتها الزيارة و أعلمتها أن قيسا عندها. فتسارعت إلى ذلك و أتتها. فلمّا رآها/و رأته بكيا حتى كادا يتلفان. ثم جعلت تسأله عن خبره و علّته فيخبرها، و يسألها فتخبره. ثم قالت: أنشدني ما قلت في علّتك؛ فأنشدها قوله:

أعالج من نفسي بقايا حشاشة(1) *** على رمق و العائدات تعود

/فإن ذكرت لبنى هششت لذكرها *** كما هشّ للثدي الدّرور وليد

أجيب بلبنى من دعاني تجلّدا *** و بي زفرات تتجلى و تعود

1- الحشاشة: بقية الروح في المريض و الجريح.

تعيد إلى روحي الحياة و إنني *** بنفسي لو عاينتني لأجود

قال: و في هذه القصيدة يقول:

صوت

ألا ليت أيّاما مضين تعود *** فإن عدن يوما إنني لسعيد

سقى دار لبنى حيث خلّت و خيّمت *** من الأرض منهلّ الغمام رعود

في هذين البيتين لعريب خفيف ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى، و قيل: إنه لغيرها. و تمام هذه القصيدة:

على كلّ حال إن دنت أو تباعدت *** فإن تدن منّا فالدنوّ مزيد

فلا اليأس يسليني و لا القرب نافعي *** و لبنى منوع ما تكاد تجود

كأنّي من لبنى سليم مسهّد *** يظلّ على أيدي الرجال يميد

رمتني لبينى في الفؤاد بسهمها *** و سهم لبينى للفؤاد صيود

سلا كلّ ذي شجو علمت مكانه *** و قلبي للبنى ما حييت ودود

و قائلة قد مات أو هو ميّت *** و للنفس منّي أن تفيض رصيد

أعالج من نفسي بقايا حشاشة *** على رمق و العائدات تعود

/و قال الحرمازيّ في خبره خاصّة: و عاتبته على تزوّجه؛ فحلف أنه لم ينظر إليها ملء عينيه و لا دنا منها، فصدّقته.

و قال:

صوت

و لقد أردت الصبر عنك فعاقني *** علق بقلبي من هواك قديم

يبقى على حدث الزمان و ريبه *** و على جفائك، إنه لكريم

فصرمته و صححت و هو بدائه *** شتّان بين مصحّح و سقيم

و اربته(1) زمنا فعاد بحمله *** إنّ المحبّ عن الحبيب حليم

– لعريب في هـذه الأبيـات خفيف ثقيـل، و للـدّارميّ خفيف رمل من روايـة الهشاميّ. و من الناس من ينسب خفيف الثّقيل إليه و خفيف الرمل إليها – قالوا: فلم يزل يومه معها يحدّثها و يشكو إليها أعفّ شكوى و أكرم حديث حتى أمسى؛ فانصرفت و وعدته الرجوع إليه من غد فلم ترجع. و شاع خبره فلم ترسل إليه رسولا. فكتب هـذه الأبيات في رقعة و دفعها إلى بريكة و سألها أن توصـلها إليها، و رحل متوجّها إلى معاوية. و الأبيات:

صوت

بنفسي من قلبي له الدّهر ذاكر *** و من هو عنّي معرض القلب صابر

و من حبّه يزداد عندي جدّة *** و حبّي لديه مخلق العهد دائر

1– المواربة: المخاتلة و المخادعة.

شكا إلى يزيد ما به و امتدحه فحقن دمه:

/ - غنّت في هذين البيتين ضنين جارية خاقان بن حامد خفيف رمل قالوا: ثم ارتحل إلى معاوية، فدخل إلى يزيد فشكا ما به إليه و امتدحه؛ فرقّ له و قال: سل ما شئت، إن شئت أن أكتب إلى زوجها فأحتّم عليه أن يطلّقها فعلت. /قال: لا أريد ذلك، و لكن أحبّ أن أقيم بحيث تقيم من البلاد، أتعرّف أخبارها و أقنع بذلك من غير أن يهدر دمي. قال: لو سألت هذا من غير أن ترحل إلينا فيه لما وجب أن تمنعه، فأقم حيث شئت؛ و أخذ كتاب أبيه له بأن يقيم حيث شاء و أحبّ و لا يعترض عليه أحد، و أزال ما كان كتب له في إهدار دمه؛ فقدم إلى بلده. و بلغ الفزاريّين خبره و إلمامه بلبنى، فكاتبوه في ذلك و عاتبوه. فقال للرسول: قل للفتى (يعني أخا الجارية التي تزوّجها): يا أخي ما غررتك من نفسي، و لقد أعلمتك أني مشغول عن كل أحد، و قد جعلت أمر أختك إليك فأمض فيه من حكمك ما رأيت. فتكرّم الفتى عن أن يفرّق بينهما، فمكثت في حباله(1) مدّة ثم ماتت.

لقبه عياش السعدي ذاهلا شارد اللب و أنشده من شعره فيها:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني سليمان بن عيّاش السّعديّ عن أبيه قال:

أقبلت ذات يوم من الغابة(2)؛ فلما كنت بالمذاد(3)، إذا ربع حديث العهد بالساكن، و إذا رجل مجتمع في جانب ذلك الربع يبكي و يحدّث نفسه. فسلّمت فلم يردّ عليّ سلاما. فقلت في نفسي: رجل ملتبس(4) به فولّيت عنه. فصاح بي بعد ساعة: و عليك السلام، هلمّ هلم إليّ يا صاحب السلام! فأتيته فقال: أما و اللّه لقد فهمت سلامك و لكنّي رجل مشترك اللّبّ يضلّ عنّي أحيانا ثم يعود إليّ. فقلت: و من/أنت؟ قال: قيس بن ذريح اللّيثيّ.

قلت: صاحب لبنى؟ قال: صاحب لبنى لعمري و قتيلها!. ثم أرسل عينيه كأنهما مزادتان؛ فما أنسى حسن قوله:

أبائنة لبنى و لم تقطع المدى *** بوصل و لا صرم فييأس طامع

نهاري نهار الوالهين صبابة *** و ليلي تنبو فيه عنّي المضاجع

و قد كنت قبل اليوم خلوا و إنّما *** تقسّم بين الهالكين المصارع

فلو لا رجاء القلب أن تسعف(5) النّوى *** لما حبسته بينهنّ الأضالع

له وجبات إثر لبنى كأنها *** شقائق برق في السماء لوامع

أبى اللّه أن يلقى الرشاد متيّم *** ألا كلّ أمر حمّ لا بدّ واقع

هما برّحا بي معولين كلاهما *** فؤاد و عين جفنها الدّهر دامع

1- كذا في ج و «تجريد الأغاني». و في سائر الأصول: «في خباء له» و هو تحريف.

2- الغابة: بريد من المدينة على طريق الشام.

3- المذاد: موضع بالمدينة حيث حفر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الخندق. و قيل: هو واد بين سلع و خندق المدينة. (راجع «معجم ما استعجم» للبكري و «معجم البلدان» لياقوت و «لسان العرب» مادة مذد).

4- في «تجريد الأغاني»: «ملتبس» بدون كلمة «به». و في الأصول: «مكتنس عنه». و قد اعتمدنا في إصلاحه على ما ورد في حديث المبعث: «فجاء الملك فشق عن قلبه قال فخفت أن يكون قد التبس بي» أي خولطت في عقلي.

5- كذا في «تجريد الأغاني». و في الأصول: «تسعر» و لعلها محرفة عن «تسعد».

عبد اللّه بن مسلم بن جندب ينشد من شعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزّبير قال، و أخبرنا به وكيع عن أبي أيّوب المدينيّ، قال الزّبير قال حدّثتني ظبية قالت:

سمعت عبد اللّه بن مسلم بن جندب ينشد زوجي قول قيس بن ذريح:

إذا ذكرت لبنى تأوّه و اشتكى *** تأوّه محموم عليه البلابل

يبيت و يضحي تحت ظلّ منيّة *** به رمق تبكي عليه القبائل

قتيل للبنى صدّع الحبّ قلبه *** و في الحب شغل للمحبّين شاغل

فصاح زوجي: أوّه! وا حرباه وا سلباه!. ثم أقبل على ابن جندب فقال: ويلك! أ تنشد هذا كذا! /قال: فكيف أنشده؟ قال: لم لا تتأوّه كما يتأوّه و تشتكي كما يشتكي!.

استنشده ابن أبي عتيق أحرّ ما قال في لبنى:

و قال القحذميّ: قال ابن أبي عتيق لقيس يوما: أنشدني أحرّ ما قلت في لبنى. فأنشده قوله:

/

و إني لأهوى النّوم في غير حينه *** لعلّ لقاء في المنام يكون

تحدّثني الأحلام أنّي أراكم *** فيا ليت أحلام المنام يقين

شهدت بأني لم أحل عن مودّة *** و أنّي بكم لو تعلمين ضنين

و أن فؤادي لا يلين إلى هوى *** سواك و إن قالوا بلى سيلين

فقال له ابن أبي عتيق: لقلّ ما رضيت به منها يا قيس. قال: ذلك جهد المقلّ.

غنّى في البيتين الأوّلين قفا النجّار ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش.

أنشد ثعلب من شعره و كان يستحسنه:

اشارة

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لقيس بن ذريح و كان يستحسن هذه الأبيات من شعره:

سقى طلل الدّار التي أنتم بها *** حيا ثم وبل صيّف(1) و ربيع

مضى زمن و الناس يستشفعون بي *** فهل لي إلى لبنى الغداة شفيع

سأصرم لبنى حبلك اليوم مجملا *** و إن كان صرم الحبل منك يروع

و سوف أسلّي النفس عنك كما سلا *** عن البلد النائي البعيد نزيع(2)

و إن مسّني للضّرّ منك كآبة *** و إن نال جسمي للفراق خشوع

يقولون صب بالنساء موكّل *** و ما ذاك من فعل الرجال بديع

1- في ب، س: «صيب» بالباء الموحدة.

2- نزيع: غريب.

ندمت على ما كان منّي ندامة *** كما ندم المغبون حين يبيع

فقدتك من نفس شعاع أ لم أكن *** نهيتك عن هذا و أنت جميع

فقرّبت لي غير القريب و أشرفت *** هناك ثنايا ما لهنّ طلوع

إلى اللّه أشكو نيّة شقّت العصا *** هي اليوم شتّى و هي أمس جميع

فيا حجرات الدار حيث(1) تحمّلوا *** بذي سلم لا جادكنّ ربيع

صوت

فلو لم يهجني الظاعنون لها جني *** حمائم ورق في الدّيار وقوع(2)

تداعين فاستبكين من كان ذا هوّى *** نوائح لم تقطر لهنّ دموع

- غنّى في هذين البيتين ابن سريج خفيف ثقيل أوّل عن الهشاميّ -

صوت

إذا أمرتني العاذلات بهجرها *** أبت كبد عمّا يقلن صديع

و كيف أطيع العاذلات و ذكرها *** يؤرّقني و العاذلات هجوع

غنّى في هذين البيتين إبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

فكاهات لأبي السائب المخزومي في شعره و في سيرته:

اشارة

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال:

أنشدت أبا السائب المخزوميّ قول قيس بن ذريح:

صوت

أحبّك أصنافا من الحبّ لم أجد *** لها مثلا في سائر الناس يوصف

/فمنهنّ حبّ للحبيب و رحمة *** بمعرفتي منه بما يتكلّف

و منهن ألاّ يعرض الدّهر ذكرها *** على القلب إلاّ كادت النفس تتلف

و حبّ بدا بالجسم و اللون ظاهر *** و حبّ لدى نفسي من الرّوح ألطف

قال أبو السائب: لا جرم و اللّه لأخلصنّ له الصّفاء و لأغضبنّ لغضبه و لأرضينّ لرضاه. غنّى في البيتين الأوّلين الحسين بن محرز خفيف ثقيل عن الهشامي و بذل.

/أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن أبي السائب المخزوميّ أنه أخبره أنه كان مع عبد الرحمن بن عبد اللّه بن كثير في سقيفة دار كثير، إذ مرّ بجنازة؛ فقال لي: يا أبا السائب، جارك ابن

1- كذا في ج: و في سائر الأصول: «كيف».

2- يقال: وقع الطير على شجر أو أرض، إذا نزلت، فهن وقوع و وقع.

كلـدة، أ لا تقوم بنا فنصـلّي عليه! قال: قلت: بلى و اللّه فـديتك!. فقمنا حتى إذا كنّا عند دار أويس إذ ذكرت أن جدّه كان تزوّج لبنى و نزل بها المدينة، فرجعت فطرحت نفسـي في السّقيفة و قلت: لا يراني اللّه أصلّي عليه. فرجع الكثيريّ فقال: أ كنت جنبا؟ قلت: لا و اللّه. قال: فعلى غير وضوء؟ قلت: لا و اللّه. قال: فما لك؟ قلت: ذكرت أن جدّه كان تزوّج لبنى و فرّق بينها و بين قيس بن ذريح لمّا ظعن بها من بلادها، فما كنت لأصلّي عليه.

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى قال حدّثنا عبد اللّه بن شبيب قال حدّثني هارون بن موسـى الفرويّ قال أخبرنا الخليل بن سعيد قال:

مررت بسوق الطّير، فإذا الناس قـد اجتمعوا يركب بعضـهم بعضا، فاطّلعت فإذا أبو السائب المخزوميّ قائم على غراب يباع و قد أخذ بطرف ردائه و هو يقول للغراب: يقول لك قيس بن ذريح:

ألا يا غراب البين قد طرت بالذي *** أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

لم لا تقع! و يضربه بردائه و الغراب يصيح. قال: فقال قائل له: أصلحك اللّه يا أبا السائب! ليس هذا ذاك الغراب.

فقال: قد علمت، و لكن آخذ البريء حتى يقع الجريء(1).

آلت لبنى أ لا ترى غرابا إلاّ قتلته لبيت قاله من قصيدة، و ذكر المختار منها:

اشارة

و قال الحرمازيّ في خبره: لمّا بلغ لبنى قول قيس:

ألا يا غراب البين قد طرت بالذي *** أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

/آلت ألاّ ترى غرابا إلاّ قتلته؛ فكانت كلّما رأته أو رأته خادم لها أو جارة ابتيع ممن هو معه و ذبحته.

و هذه القصيدة العينيّة أيضا من جيّد شعر قيس. و المختر منها قوله:

أ تبكي على لبنى و أنت تركتها *** و كنت كآت حتفه و هو طائع

فيا قلب صبرا و اعترافا لما ترى(2) *** و يا حبّها قع بالذي أنت واقع

و يا قلب خبّرني إذا شطّت النّوى *** بلبنى و بانت عنك ما أنت صانع

أتصبر للبين المشتّ مع الجوى *** أم أنت امرؤ ناسي الحياء(3) فجازع

كأنّك بدع(4) لم تر الناس قبلها *** و لم يطّلعك الدهر فيمن(5) يطالع

ألا يا غراب البين قد طرت بالذي *** أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

فليس محبّ دائما لحبيبه *** و لا ثقة إلاّ له الدهر فاجع

/كأنّ بلاد اللّه ما لم تكن بها *** و إن كان فيها الناس قفر(6) بلاقع

1- في ج: «النطف». و النطف: المريب.

2- كذا في «الأمالي» (ج 2 ص 315 و «لسان العرب» مادة عرف). و اعترف للأمر: صبر. و في الأصول: «و اعترافا بحبها».

3- كذا في «تجريد الأغاني» و «الأمالي». و في الأصول: «الحياة» و هو تحريف.

4- البدع: الغمر من الرجال، و هو الذي لم يجرب الأمور.

5- كذا في «الأمالي». و في الأصول: «فيما».

6- كذا في «الأمالي»: و في الأصول: «وحش بلاقع».

فما أنت إذ بانت لبنى بهاجع *** إذا ما اطمأنّت بالنّيام المضاجع

صوت

أقضّي نهاري بالحديث و بالمنى *** و يجمعني و الهمّ بالليل جامع

نهاري نهار الناس حتى إذا دجا(1) *** لي الليل هزّتني إليك المضاجع

لقد رسخت في القلب منك مودّة *** كما رسخت في الراحتين الأصابع

/أحال عليّ الهمّ من كلّ جانب *** و دامت فلم تبرح عليّ الفواجع

ألا إنّما أبكي لما هو واقع *** فهل جزعي من وشك ذلك نافع

و قد كنت أبكي و النّوى مطمئنّة *** بنا و بكم من علم ما البين صانع

و أهجركم هجر البغيض و حبّكم *** على كبدي منه كلوم(2) صوادع

و أعمد للأرض التي لا أريدها *** لترجعني يوما إليك الرواجع

و أشفق من هجرانكم و تروعني *** مخافة وشك البين و الشّمل جامع

فما كلّ ما منّتك نفسك خاليا *** تلاقي و لا كلّ الهوى أنت تابع

لعمري لمن أمسى و لبنى ضجيعه *** من الناس ما اختيرت عليه المضاجع

فتلك لبنى قد تراخى مزارها *** و تلك نواها غربة ما تطاوع(3)

و ليس لأمر حاول اللّه جمعه *** مشتّ و لا ما فرّق اللّه جامع

فلا تبكين في إثر لبنى ندامة *** و قد نزعتها من يديك النوازع

غنّى الغريض في الثالث و الرابع و الأوّل و العشرين و هو «لعمري لمن أمسى و لبنى ضجيعه» ثقيلا أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. و غنّى إبراهيم الموصليّ في العاشر و هو: «أقضّي نهاري بالحديث و بالمنى» و الحادي عشر و الثاني عشر رملا بالوسطى عن عمرو. و قد قيل: إن ثلاثة أبيات من هذه و هي: «أقضّي نهاري بالحديث و بالمنى» [و البيتان اللذان بعده(4)] لابن الدّمينة الخثعميّ؛ و هو الصحيح؛ و إنما أدخلها الناس من هذه الأبيات لتشابهها.

مصير قيس و لبنى و هل ماتا زوجين أو مفترقين:

و قد اختلف في آخر أمر قيس و لبنى؛ فذكر أكثر الرّواة أنهما ماتا على افتراقهما، فمنهم من قال: إنه مات قبلها و بلغها ذلك فماتت أسفا

عليه. و منهم من قال: بل ماتت قبله و مات بعدها أسفا عليها، و ممن ذكر ذلك

1- في الأصول: «بدا».

2- كذا في «الأمالي» و في الأصول: «شئون».

3- رواية «الأمالى»: ألا تلك لبنى قد تراخى مزارها و للبين غم ما يزال ينازع

4- زيادة يقتضيها السياق. (راجع «الأغاني» ج 15 ص 154 طبع بولاق).

اليوسفيّ عن عليّ بن صالح المصلّى؛ قال قال لي أبو عمرو المدنيّ:

ماتت لبنى، فخرج قيس و معه جماعة من أهله فوقف على قبرها فقال:

ماتت لبينى فموتها موتي *** هل تنفعن حسرتي على الفوت

و سوف أبكي بكاء مكتئب *** قضى حياة وجدا على ميت

ثم أكبّ على القبر يبكي حتى أغمي عليه؛ فرفعه أهله إلى منزله و هو لا ـ يعقـل، فلم يزل عليلا ـ لا ـ يفيق و لا يجيب مكلّما ثلاثا حتى مات فدفن إلى جنبها.

و ذكر القحذميّ و ابن عائشة/و خالد بن جمل أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن و الحسين ابني عليّ بن أبي طالب و عبد اللّه بن جعفر رضي اللّه عنهم و جماعـة من قريش، فقال لهم: إن لي حاجة إلى رجل أخشـى أن يردّني فيها، و إني أسـتعين بجاهكم و أموالكم فيها عليه. قالوا: ذلـك لـك مبتـذل منّـا. فاجتمعوا ليوم وعـدهم فيه، فمضـى بهم إلى زوج لبنى. فلمّا رآهم أعظم مصـيرهم إليه و أكبره. فقالوا: لقـد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق. قال:

هي مقضيّة كائنة ما كانت. قال ابن أبي عتيق: قد قضيتها كائنة ما كانت من ملك أو مال أو أهل؟ قال نعم. قال:

تهب لهم و لي لبنى زوجتـك و تطلّقهـا. قـال: فإني أشـهدكم أنها طالق ثلاثا. فاسـتحيا القوم و اعتـذروا و قالوا: و اللّه ما عرفنا حاجته، و لو علمنا أنها هـذه ما سألناك إيّاها. و قال ابن عائشـة: فعوّضه الحسن من ذلك مائـة ألف درهم و حملها ابن أبي عتيق إليه. فلم تزل عنـده حتى انقضت عدّتها. /فسأل القوم أباها فزوّجها قيسا، فلم تزل معه حتى ماتا. قالوا: فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق:

جزى الرحمن أفضل ما يجازي *** على الإحسان خيرا من صديق

فقد جرّبت إخواني جميعا *** فما ألفيت كابن أبي عتيق

سعى في جمع شملي بعد صدع *** و رأي حدت فيه عن الطريق

و أطفأ لوعة كانت بقلبي *** أغصّتني حرارتها بريقي

قال: فقال له ابن أبي عتيق: يا حبيبي أمسك عن هذا المديح؛ فما يسمعه أحد إلاّ ظنّني قوّادا. مضى الحديث.

صوت من مدن معبد في شعر عنترة:

اشارة

و من مدن معبد و هو الذي أوّله:

يا دار عبلة بالجواء تكلّمي

و قد جمع معه سائر ما يغنّى فيه من القصيدة.

منها:

صوت

هل غادر الشعراء من متردّم *** أم هل عرفت الدار(1) بعد توهم

يا دار عبلة بالجواء تكلّمي *** و عمي صباحا دار عبلة و اسلمي

1- و يروي: «أم هل عرفت الربع» و هي الرواية التي كتب عليها المؤلف.

و تحلّ عبلة بالجواء و أهلنا *** بالحزن فالصّمّان فالمتثلّم(1)

كيف القرار(2) و قد تربّع أهلها *** بعنيزتين و أهلنا بالغيلم

حيّيت من طلل تقادم عهده *** أقوى و أقفر بعد أمّ الهيثم

/و لقد نزلت فلا تظنّي غيره *** منّي بمنزلة المحبّ المكرم

و لقد خشيت بأن أموت و لم تدر *** للحرب دائرة على ابني ضمضم

الشّاتمي عرضي و لم أشتمهما *** و النّاذرين إذا لم القهما دمي

و لقد شفى نفسي و أبرأ سقمها *** قيل الفوارس ويك عنتر فاقدم

/ما زلت أرميهم بثغرة نحره *** و لبانه حتى تسربل بالدّم

هلاّ سألت الخيل يا ابنة مالك *** إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الوقيعة أنّني *** أغشى الوغى و أعفّ عند المغنم

يدعون عنتر و الرّماح كأنّها *** أشطان بئر في لبان الأدهم

فشككت بالرّمح الطويل ثيابه *** ليس الكريم على القنا بمحرّم

فإذا شربت فإنني مستهلك *** مالي، و عرضي وافر لم يكلم

و إذا صحوت فما أقصّر عن ندى *** و كما علمت شمائلي و تكرمي

الشعر لعنترة بن شدّاد العبسيّ، و قد تقدّمت أخباره و نسبه. و غنّى في البيت الأوّل، على ما ذكره ابن المكّيّ، إسحاق خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، و ما وجدت هذا في رواية غيره. و غنّى معبد في البيت الثاني و الثالث خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، و هو الصوت المعدود في مدن معبد. و غنّى سلاّم الغسّال في السابع و الثامن و الثالث و العاشر رملا بالسبّابة في مجرى البنصر، و وجدت في بعض الكتب أن له أيضا في السابع وجده ثاني ثقيل أيضا، و ذكر عمرو بن بانة أن هذا الثقيل الثاني بالوسطى لمعبد و وافقه يونس، و ذكر ابن المكيّ أن هذا الثقيل الثاني للهذليّ، و ذكر غيره أنه لابن محرز. و ذكر أحمد بن عبيد أنّ في السابع ثقيلا أوّل للهذليّ، و وافقه حبش. و ذكر حبش أن في الثاني لمعبد ثقيلا- أوّل، و أن لابن سريج فيه رملا آخر غير رمل ابن الغسّال، و أن لابن مسجح/أيضا فيه خفيف ثقيل بالوسطى. و في كتاب أبي العبيس: له في الثالث لحن. و في كتاب أبي أيّوب المدينيّ: لابن جامع في هذه الأبيات لحن. و لمعبد في الحادي عشر و الثاني عشر و الخامس عشر و السادس عشر خفيف ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضا. و لعلّويه في السادس و الرابع ثاني ثقيل، و له أيضا في الرابع عشر و الثالث عشر رمل. و في كتاب هارون بن الزّيّات لعبد آل في الخامس ثقيل أوّل؛ و قد نسب الثقيل الثاني المختلف فيه لابن محرز. و في كتاب هارون: لأحمد النّصبيّ في الرابع و الخامس لحن.

«هل غادر الشعراء» البيت، يدفع أكثر الرواة أن يكون لعنترة؛ و ممن يدفعه الأصمعيّ و ابن الأعرابيّ. و أوّل

1- الصـمان: موضع، و يقال: هو جبل. و قال أبو جعفر: الجواء بنجـد، و الحزن لبني يربوع، و الصـمان لبني تميم. و المتثلم: مكان. (انظر «شرح القصائد العشر» للتبريزي).

2- في «المعلقات»: «كيف المزار».

القصيدة عندهما «يا دار عبلة». فذكر أبو عمرو الشّيبانيّ أنه لم يكن يرويه حتى سمع أبا حزام العكليّ يرويه له.

قوله: «هل غادر الشعراء من متردّم» يقول: هل تركوا شيئا ينظر فيه لم ينظروا فيه؟. و المتردّم: المتعطّف، و هو مصدر. يقول: هل تركوا شيئا يتردّم عليه أي يتعطّف؛ و يقال: تردّمت الناقة على ولدها إذا تعطّفت عليه، و ثوب مردّم و ملدّم إذا سدّت خروقه بالرّقاع. و الرّبع: المنزل، سمّي ربعا لارتباعهم فيه؛ و الرّبيعة: الصخرة. حكى أبو نصر أنه يقول: هل ترك الشعراء من خرق لم يرقعوه و فتق لم يرتقوه! و هو أشبه بقوله من متردّم. و قال غيره:

يعني بقوله من متردّم البناء و هو الرّدم، أي لم يتركوا بناء إلاّ بنوه؛ قال اللّه عز و جل: أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْماً يعني بناء؛ و ردم فلان حائطه أي بناه. /و الجواء: بلد بعينه؛ و الجواء أيضا: جمع جوّ و هو البطن الواسع من الأرض. عمي صباحا، و انعمي صباحا: تحيّة. تربّع أهلها: نزلوا في الرّبيع. و عنيزتين: أكمة سوداء بين البصرة و مكة. و الغيلم: موضع. و الطّلل: ما كان/له شخص من الدار مثل أثفيّة(1) أو وتد أو نؤي، و تقول العرب: حيّا اللّه طللك، أي شخصك. و ابنا ضمضم: حصين و هرم المرّيّان. و ثغرة نحره: موضع لبّته. و اللّبان: مجرى لبه من صدره و هو الصدر نفسه. و يروى «بغرّة وجهه». و تسربل، أي صار له سربال من الدم. و قوله: «هلاّ سألت الخيل» يريد فرسان الخيل؛ كما قال اللّه تعالى: وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ . و الوقيعة: الوقعة. و الوغى و الوحى: أصوات الناس و جلبتهم في الحرب؛ و قال الشاعر:

و ليل كساج(2) الحميريّ ادّرعته *** كأنّ وغى حافاته لغط العجم

و الأشطان: الحبال، واحدها شطن. شبّه اختلاف الرّماح في صدر فرسه بالأشطان. و شككت بالرمح: نظمت.

و قال أبو عمرو: يعني بثيابه قلبه. و العرض: موضع المدح و الذّمّ من الرجل؛ يقال: طيّب العرض أي طيّب ريح الجسم. و الكلوم: الجراح. و الوافر: التامّ. و شمائلي: أخلاقي، واحدها شمال. يقال: فلان حلو الشّمائل و النّحائت و الضّرائب و الغرائز.

عنترة يقول معلقته لأن رجلا سبه و عيره سواده:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السّكّريّ قال قال أبو عمرو الشّيبانيّ:

قال عنترة هذه القصيدة لأن رجلا من بني عبس سابّه فذكر سواده و سواد أمّه و إخوته و عيّره ذلك. فقال عنترة:

و اللّه إن الناس ليترافدون(3) بالطّعمة، فو اللّه ما حضرت مرفد الناس أنت و لا أبوك و لا جدّك قطّ. و إنّ الناس ليدعون في الفزع فما رأيتك في خيل قطّ، و لا كنت في أوّل النساء. و إن اللّبس (يعني الاختلاط) ليكون بيننا فما حضرت أنت و لا أحد من أهل بيتك لخطّة فيصل قطّ، /و كنت فقعا بقرقرة(4). و لو كنت في مرتبتك و مغرسك الذي أنت فيه ثم ما جدتك لمجدتك، أو طاولتك لطلتك. و لو سألت أمّك و أباك عن هذا لأخبراك بصحته. و إنّي لأحتضر الوغى،

1- الأثفية: الحجر توضع عليه القدر.

2- الساج: الطيلسان الأسود.

3- يترافدون: يتعاونون.

4- و يقال أيضا فقع قرقرة. و هو مثل يضـرب للضـعيف الذليل الذي لا يمتنع على من يضـيمه. و الفقع: هجين الكمأة، و هو أبيض ضـخم سريع الفساد قليل الصبر عن الحيا لا يمتنع على من اجتناه، و قيل: لأنه يـداس دائما بالأرجل، و قيل: لأنه لا أصل له و لا أغصان. و القرقرة و القرقر: الأرض المستوية السهلة. (انظر ما يعول عليه في المضاف و المضاف إليه).

و أوفّى المغنم، و أعفّ عن المسألة، و أجود بما ملكت، و أفصل الخطّة الصّمعاء(1). فقال له الآخر: أنا أشعر منك.

فقال: ستعلم!. و كان عنترة لا يقول من الشّعر إلاّ البيت أو البيتين في الحرب فقال هذه القصيدة. و يزعمون أنها أوّل قصيدة قالها. و كانت العرب تسمّيها المذهّبة.

بقية مدن معبد:

نسبة الأصوات التي جعلت مكان بعض هذه الأصوات في مدن معبد، و هنّ:

اشارة

<صوت من مدنه في شعر كثير عزة:>

صوت

تقطّع من ظلاّمة الوصل أجمع *** أخيرا على أن لم يكن يتقطّع

و أصبحت قد ودّعت ظلاّمة التي *** تضرّ و ما كانت مع الضّرّ تنفع

الشعر لكثيّر. و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو و يونس.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني سليمان بن عيّاش السّعديّ قال قال السائب راوية كثيّر، و أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال زعم/ابن الكلبيّ عن أبي المقوّم قال حدّثني سائب راوية كثيّر قال:

كنت مع كثيّر عند ظلاّمة فأقمنا أيّاما. فلما أردنا الانصراف عقدت له في علاقة سوطه عقدا و قالت: احفظها.

ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبنى ضمرة، /فقال: إن في هذه الأخبية جارية ظريفة ذات جمال، فهل لك أن تستبرزها؟ فقلت: ذاك إليك. قال: فملنا إليهم فخرجت إلينا جاريتها فأخرجتها إلينا، فإذا هي عزّة، فجلس معها يحادثها، و طرح سوطه بينه و بينها إلى أن غلبته عيناه. و أقبلت عزّة على تلك العقد تحلّها واحدة واحدة. فلما استيقظ انصرفنا. فنظر إلى علاقة سوطه فقال: أحلّتها؟ قلت: نعم! فلا وصلها اللّه! و اللّه إنك لمجنون. قال:

فسكت عنّي طويلا ثم رفع السّوط فضرب به واسطة رحله و أنشأ يقول:

تقطّع من ظلاّمة الوصل أجمع *** أخيرا على أن لم يكن يتقطّع

و أصبحت قد ودّعت ظلاّمة التي *** تضرّ و ما كانت مع الضّرّ تنفع

و قد سدّ من أبواب ظلاّمة التي *** لنا خلف للنّفس منها و مقنع

ثم وصل عزّة بعد ذلك و قطع ظلاّمة.

و منها:

و هو الذي أوّله:

«خمصانة قلق موشّحها»

.

1- الصمعاء: الحازمة.

صوت من مدنه في شعر الحارث بن خالد:

صوت

أقوى من آل ظليمة الحزم *** فالغمرتان فأوحش الخطم(1)

فجنوب أثبرة فملحدها *** فالسّدرتان فما حوى دسم(2)

و بما أرى شخصا به حسنا *** في القوم إذ حيّتكم نعم

إذ ودّها صاف و رؤيتها *** أمنيّة و كلامها غنم

/لفّاء(3) مملوء مخلخلها *** عجزاء ليس لعظمها حجم

خمصانة قلق موشّحها *** رؤد الشباب علا بها عظم

و كأنّ غالية(4) تباشرها *** تحت الثياب إذا صغا(5) النّجم

أ ظليم إنّ مصابكم رجلا *** أهدى السلام تحية ظلم

أقصيته و أراد سلمكم *** فليهنه إذ جاءك السّلم

عروضه من الكامل. الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ. و الغناء لمعبد، و لحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر. قال: و لحن معبد(6):

خمصانة قلق موشّحها

و أوّل لحن(7) مالك:

أقوى من آل ظليمة الحزم

1- أقوى: خلا. و الحزم: موضع أمام خطم الحجول. و الغمرة: منهل من مناهل طريق مكة و منزل من منازلها.

2- » أثبرة: عدة جبال بمكة، واحدها ثبير. و السدرتان: موضع. و دسم: موضع قرب مكة فيه قبر ابن سريج المغني.

3- كذا في ج. و في سائر الأصول: «هيفا». و لفاء: ضخمة الفخذين مكتنزة.

4- الغالية: ضرب من الطيب.

5- صغا النجم: مال للغروب.

6- لعله: «و أوّل لحن معبد».

7- يلاحظ أنه لم يتقدم لمالك لحن في هذا الشعر.

10 - ذكر الحارث بن خالد و نسبه و خبره في هذا الشعر

اشارة

الحارث بن خالـد بن العاصـي بن هشام بن المغيرة بن عبـد اللّه بن عمر بن مخزوم؛ و قـد تقـدّم ذكره و أخباره في كتاب المائة المختارة في بعض الأغاني المختارة التي شعرها له و هو:

إنّ امرأ تعتاده ذكر

تزوّج حميدة بنت النعمان بن بشير ثم طلقها:

اشارة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال:

بلغني/أن الحـارث بن خالـد بن العاصـي بن هشام بن المغيرة - و يقال: بل خالـد بن المهاجر بن خالـد بن الوليـد بن المغيرة - كان تزوّج حميدة بنت النّعمان بن بشير بدمشق لمّا قدم على عبد الملك بن مروان. فقالت فيه:

نكحت المدينيّ إذ جاءني *** فيا لك من نكحة غاويه

كهول دمشق و شبّانها *** أحبّ إلينا من الجالية

صنان لهم كصنان التّيو *** س أعيا على المسك و الغاليه

فقال الحارث يجيبها:

صوت

أسنا ضوء نار ضمرة بالقف *** رة أبصرت أم سنا ضوء برق

قاطنات الحجون أشهى إلى قل *** بي من ساكنات دور دمشق

يتضوّعن لو تضمّخن بالمس *** ك صنانا كأنّه ريح مرق(1)

غنّاه مالك بن أبي السّمح خفيف ثقيل أوّل بالسـبّابة في مجرى البنصـر من رواية إسحاق. و فيه لابن محرز(2) لحن من روايـة عمرو بن بانة ثقيل أوّل بالوسطى.

1- المرق (بالفتح): صوف العجاف و المرضى و هو منتن، أو هو الجلد المنتن.

2- في ج: لابن مسجع».

رجعت الرواية إلى خبر الحارث

قال: و طلّقها الحارث؛ فخلف عليها روح بن زنباع. قال: و كان الحارث خطب أمة لمالك بن عبد اللّه بن خالد، بن أسيد، و خطبها عبد اللّه بن مطيع. فتزوّجها عبد اللّه ثم طلّقها أو مات عنها، فتزوّجها الحارث بن خالد بعد ذلك و قال فيها قبل أن يتزوّج:

أقوى من آل ظليمة الحزم *** فالغمرتان فأوحش الخطم

الأبيات التي فيها الغناء.

قال و أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا محمد بن الحكم عن عوانة بهذا الخبر فذكر مثله، و لم يذكر أنّ الحارث هو المتزوّجها، و فسّر قولها:

أحبّ إلينا من الجالية

و قال: الجالية أهل الحجاز، كان أهل الشام يسمّونهم بذلك لأنهم كانوا يجلون عن بلادهم إلى الشام. و قال في الحديث: فبلغ عبد الملك قولها فقال: لو لا أنها قدّمت الكهول على الشبّان لعاقبتها.

قتل مصعب أختها عمرة بعد قتل زوجها المختار:

قال عوانة: و كانت لحميدة أخت يقال لها عمرة، و كانت تحت المختار بن أبي عبيد الثّقفيّ، فأخذها مصعب بعد قتله المختار و أخذ امرأته الأخرى و هي بنت سمرة بن جندب، فأمرهما بالبراءة من المختار. أمّا بنت سمرة فبرئت منه، و أبت ذلك عمرة. فكتب به مصعب إلى أخيه عبد اللّه. فكتب إليه: إن أبت أن تبرأ منه فاقتلها.

فأبت فحفر لها حفيرة و أقيمت فيها فقتلت. فقال عمر بن أبي ربيعة في ذلك:

/

إنّ من أعجب العجائب عندي *** قتل بيضاء حرّة عطبول(1)

قتلت حرّة على غير جرم *** إنّ للّه درّها من قتيل

كتب القتل و القتال علينا *** و على الغانيات جرّ الذيول

رجع الحديث إلى رواية عمر بن شبّه

/قال أبو زيد و حدّثني ابن عائشة عن أبيه بهذا الخبر و نحوه، و زاد فيه أن الحارث لمّا تزوّجها قالت فيه:

نكحت المدينيّ إذ جاءني *** فيا لك من نكحة غاويه

تهاجي حميدة مع زوجها روح بن زنباع:

و ذكر الأبيات المتقدّمة. و قال عمر بن شبّة فيه: و تزوّجها روح بن زنباع؛ فنظر إليها يوما تنظر إلى قومه جذام، و قد اجتمعوا عنده فلامها. فقالت: و هل أرى إلاّ جذام! فو اللّه ما أحبّ الحلال منهم فكيف بالحرام!.

و قالت تهجوه:

1- العطبول: المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.

بكى الخزّ من روح و أنكر جلده *** و عجّت عجيجا من جذام المطارف

و قال العبا قد كنت حينا لباسكم *** و أكسية كرديّة و قطائف

فقال روح:

إن تبك منّا تبك ممن يهينها *** و إن تهوكم تهو اللّئام المقارفا(1)

و قال روح:

أثني(2) عليّ بما علمت فإنّني *** مثن عليك لبئس حشو المنطق(3)

فقالت:

أثني عليك بأنّ باعك ضيّق *** و بأن أصلك في جذام ملصق

/فقال روح:

أثني عليّ بما علمت فإنّني *** مثن عليك بمثل ريح الجورب

فقالت:

فثناؤنا شرّ الثّناء عليكم *** أسوا و أنتن من سلاح الثّعلب

و قالت:

و هل أنا إلاّ مهرة عربيّة *** سليلة أفراس تجلّلها بغل

فإن نتجت مهرا كريما فبالحرى *** و إن يك إقراف(4) فما أنجب الفحل

فقال روح:

فما بال مهر رائع عرضت له *** أتان فبالت عند جحفلة(5) البغل

إذا هو ولّى جانبا ربخت(6) له *** كما ربخت قمراء(7) في دمس سهل

و قالت عمرة لأخيها أبان بن النّعمان:

أطال(8) اللّه شأوك من غلام *** متى كانت مناكحنا جذام

أ ترضى بالأكارع(9) و الذّنابى *** و قد كنّا يقرّ بنا السّنام

1- المقارف: الأنذال. و يروى: «و ما صانها إلاّ اللئام المقارف».

2- الثناء: ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم، و خص بعضهم به المدح.

3- المنطق و النطاق (وزان منبر و كتاب): شبه إزار فيه تكة كانت المرأة تنتطق به. و في حديث أم إسماعيل: أوّل ما اتخذ النساء المنطق.

4- المقرف: الذي أمه عربية و أبوه ليس كذلك، ضد الهجين و المقرف أيضا: النذل. و عليه وجه هذا البيت.

5- الجحفلة: لذي الحافر كالشفة للإنسان.

6- ربخت: استرخت.

7- القمراء: البيضاء.

8- ستأتي فيه رواية أخرى (ج 14 ص 129 طبع بولاق): «أضل اللّه حلمك من غلام».

9- في الأصول هنا: «بالفواسق و الذنابي». و التصويب عن الموضع المذكور.

و قال ابن عمّ لروح:

رضي الأشياخ بالفطيون(1) فحلا *** و ترغب للحماقة عن جذام

/يهوديّ له بضع العذارى *** فقبحا للكهول و للغلام

تزفّ إليه قبل الزوج خود *** كأن شمسا تدلّت من غمام

فأبقى ذلكم عارا و خزيا *** بقاء الوحي(2) في صمّ السّلام

يهود جمّعوا من كلّ أوب *** و ليسوا بالغطاريف الكرام

و قالت:

سمّيت روحا و أنت الغمّ قد علموا *** لا روّح اللّه عن روح بن زنباع

فقال روح:

لا روّح اللّه عمّن ليس يمنعنا *** مال رغيب و بعل غير ممناع

كشافع(3) جونة ثجل مخاصرها *** دبّابة شثنة الكفّين جبّاع

قال: و الجبّاع: القصيرة. و الجبّاع من السهام: الذي لا نصل له. و الجبّاع: الرّصف(4). و قالت:

/

تكحّل عينيك برد العشيّ *** كأنّك مومسة زانيه

و آية ذلك بعد الخفوق *** تغلّف رأسك بالغاليه

و أنّ بنيك لريب الزما *** ن أمست رقابهم حاليه

فلو كان أوس لهم حاضرا *** لقال لهم إنّ ذا ماليه

و أوس رجل من جذام يقال: إنه استودع روحا مالا فلم يردّه عليه. فقال لها روح:

إن يكن الخلع من بالكم *** فليس الخلاعة من باليه

/و إن كان من قد مضى مثلكم *** فأفّ و تفّ على الماضية

و ما إن برا اللّه فاستيقني *** ه من ذات بعل و من جاريه

شبيها بك اليوم فيمن بقي *** و لا كان في الأعصر الخاليه

ص: 158

1- كذا في «نسخة الشنقيطي» مصححة بقلمه. و الفطيون (بكسر الفاء و سكون الطاء): رجل من اليهود سيئ فاجر كانت اليهود تدين له إلى أن كانت لا تتزوّج امرأة منهم حتى تدخل عليه قبل دخولها على زوجها، و يقال إنه كان يفعل ذلك بنساء الأوس و الخزرج. حتى كان زفاف أخت لمالك بن العجلان فأثارت في أخيها عوامل الحمية و الغيرة فقتله. (راجع الجزء الثالث من هذه الطبعة ص 40 الحاشية رقم 3). و في «الأصل» هنا: «القيطون» و هو تحريف.

2- الوحي: الكتابة. و السلام: الحجارة.

3- الشافع من النوق و الشاء: التي في بطنها ولد و يتبعها آخر. و جونة: سوداء. و ثجل: جمع أثجل أو ثجلاء. و الثجل: عظم البطن وسعته. و شثنة الكفين: غليظتهما.

4- الرصف: جمع رصفة و هي العقبة (و العقب: العصب الذي تعمل منه الأوتار) تلوي فوق الرعظ (و رعظ السهم: مدخل سنخ السهم في النصل).

فبعدا لمحياك إذ ما حييت *** و بعدا لأعظمك البالية

تزوّجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم:

و قال روح في بعض ما يتنازعان فيه: اللّهمّ إن بقيت بعدي فابتلها ببعل يلطم وجهها و يملأ حجرها قيئا:

فتزوّجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل و كان شابا جميلا يصيب من الشّراب فأحبّته. فكان ربّما أصاب من الشّراب مسكرا فيلطم وجهها و يقيء في حجرها؛ فتقول: يرحم اللّه أبا زرعة! قد أجيبت دعوته فيّ.

و قالت لفيض:

سمّيت فيضا و ما شيء تفيض به *** إلاّ سلاحك بين الباب و الدار

فتلك دعوة روح الخير أعرفها *** سقى الإله صداه الأوطف(1) السّاري

و قالت لفيض أيضا:

ألا يا فيض كنت أراك فيضا *** فلا فيضا أصبت و لا فراتا

و قالت:

و ليس فيض بفيّاض العطاء لنا *** لكنّ فيضا لنا بالقيء فيّاض

ليث اللّيوث علينا باسل شرس *** و في الحروب هيوب الصدر جيّاض(2)

تزوّج ابنتها من الفيض الحجاج بن يوسف:

فولدت من الفيض ابنة فتزوّجها الحجّاج بن يوسف؛ و قد كانت قبلها عند الحجّاج أمّ أبان بنت النّعمان بن بشير. فقالت حميدة للحجّاج:

إذا تذكّرت نكاح الحجّاج *** من النّهار أو من اللّيل الداج

فاضت له العين بدمع ثجّاج *** و أشعل القلب بوجد وهّاج

/لو كان نعمان قتيل الأعلاج(3) *** مستوي الشّخص صحيح الأوداج

لكنت منها بمكان النّسّاج *** قد كنت أرجو بعض ما يرجو الرّاج

أن تنكحيه ملكا أو ذا تاج

فقدمت حميدة على ابنتها زائرة. فقال لها الحجّاج: يا حميدة، إنّي كنت أحتمل مزاحك مرّة(4)، و أمّا اليوم فإني بالعراق و هم قوم سوء

فإيّاك!. فقالت: سأكفّ حتى أرحل.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا سليمان بن أيوب قال حدّثنا المدائنيّ عن مسلمة بن محارب قال:

قالت حميدة بنت النّعمان لزوجها روح بن زنباع، و كان أسود ضخما: /كيف تسود و فيك ثلاث خصال:

1- الأوطف من السحاب: الداني من الأرض.

2- الجياض: الروّاغ.

3- في ج: «قتيل الإدلاج».

4- لعله: «مدة».

أنت من جـذام، و أنت جبان، و أنت غيور. فقال: أمّا جذام فأنا في أرومتها(1)، و بحسب الرجل أن يكون في أرومـة قومه. و أما الجبن فإنما لي نفس واحـدة، و لو كـان لي نفسـان لجـدت بإحـداهما. و أمّـا الغيرة فهو أمر لا أحبّ أن أشارك فيه، و إن المرء لحقيق بالغيرة على المرأة مثلك الحمقاء الورهاء لا يأمن أن تأتي بولد من غيره فتقذفه في حجره. ثم ذكر باقي خبرها مثل ما تقدّم، و قال فيه: فخلف بعده عليها الفيض بن محمد عمّ يوسف بن عمر، فكان يشرب و يلطمها و يقيء في حجرها، فقالت:

سمّيت فيضا و ما شيء تفيض به *** إلاّ سلاحك بين الباب و الدار

قال المدائنيّ: و تمثّل فيض يوما بهذا البيت:

إن كنت ساقية يوما على كرم *** صفو المدامة فاسقيها بني قطن

ثم تحرّك فضرط. فقالت: واسق هذه أيضا بني قطن!.

أبو عثمان المازني و الواثق:

و هذا الصوت أعني:

أقوى من آل ظليمة الحزم

هو الصوت الذي أشخص الواثق له أبا عثمان المازنيّ بسبب بيت منه اختلف في إعرابه بحضرته، و هو قوله:

أ ظليم إنّ مصابكم رجلا *** أهدى السّلام تحيّة ظلم

و قال آخرون: «رجل». حـدّثني بذلك عليّ بن سـليمان الأخفش عن أبي العباس محمد بن يزيد عن أبي عثمان، و أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثنا القاسم بن إسماعيل و عون بن محمد و عبد الواحد بن العبّاس بن عبد الواحد و الطيّب بن محمد الباهليّ، يزيد بعضهم على بعض، قالوا حدّثنا أبو عثمان المازنيّ قال:

كان سبب طلب الواثق لي أنّ مخارقا غنّى في مجلسه:

أ ظليم إنّ مصابكم رجلا *** أهدى السّلام تحيّة ظلم

فغنّاه مخارق «رجل» فتابعه بعض القوم و خالفه آخرون. فسأل الواثق عمّن بقي من رؤساء النحويين فذكرت له، فأمر بحملي. فلما وصـلت إليه قال: ممن الرجل؟ قلت: من بني مازن. قال: أ من مازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة أم مازن اليمن؟ قلت: من مازن ربيعة. فقال لي بـا اسـمك؟ (يريـد ما اسـمك و هي لغـة كثيرة في قومنا) فقلت على القياس: مكر (أي بكر). فضـحك فقال(2): اجلس و اطبئنّ (يريـد: و اطمئنّ) فجلست. فسألني عن البيت.

فقلت: «إن مصـابكم رجلا» فقال: أين خبر «إن»؟ قلت: «ظلم» و هو الحرف الـذي في آخر البيت. و قال الأخفش في خبره: و قلت له: إن معنى «مصابكم» إصابتكم، مثل ما تقول: /إنّ قتلكم رجلا حيّاكم ظلم. ثم قلت: يا أمير المؤمنين، إن البيت كله معلّق لا معنى له حتى يتمّ بقوله «ظلم». ألاـّ ترى أنه لو قـال: أ ظليم إن مصـابكم رجل أهـدى السـلام تحيـة، لما احتيـج إلى «ظلم» و لا كان له معنى، إلاّ أن يجعل

التحية بالسلام ظلما، و ذلك محال، و يجب حينئذ أن يقول:

ص: 160

1- الأرومة (بالفتح و تضم): الأصل.

2- لعله: «و قال».

أ ظليم إن مصابكم رجل *** أهدى السّلام تحيّة ظلما

و لا معنى لـذلك، و لا هو، لم كان له وجه، معنى قول الشاعر في شـعره. فقال: صـدقت، أ لك ولـد؟ قلت: بنيّة لا غير. قال: فما قالت حين ودّعتها؟ قال قلت: أنشدت شعر الأعشى:

تقول ابنتي حين جدّ الرّحيل *** أرانا سواء و من قد يتم

/أبانا فلا رمت من عندنا *** فإنّا بخير إذا لم ترم

أرانا إذا أضمرتك البلا *** د نجفى و تقطع منّا الرّحم

قال: فما قلت لها؟ قال: قلت لها قول جرير:

ثقي باللّه ليس له شريك *** و من عند الخليفة بالنّجاح

فقـال: ثق بالنجـاح إن شـاء اللّه تعالى. إنّ هاهنا قوما يختلفون إلى أولادنا فامتحنهم، فمن كان منهم عالما ينتفع به ألزمناهم إيّاه، و من كان بغير هـذه الصورة قطعنـاه عنهم. فـأمر فجمعوا إليّ فـامتحنتهم فما وجـدت فيهم طائلا؛ و حـذروا ناحيتي، فقلت: لا بأس على أحـد. فلمّا رجعت إليه قـال: كيف رأيتهم؟ قلت: يفضـل بعضـهم بعضـا في علوم، و يفضـل البـاقون في غيرها، و كلّ يحتاج إليه. فقال لي الواثق: إنى خاطبت منهم واحـدا فكان في نهاية من الجهل في خطابه و نظره. فقلت: يا أمير المؤمنين، أكثر من تقدّم منهم بهذه الصـفة؛ و لقد أنشدت فيهم:

/

إنّ المعلّم لا يزال مضعّفا *** و لو ابتنى فوق السماء بناء

من علّم الصبيان أضنوا عقله *** مما يرقي غدوة و مساء

مضى الحديث:

صوت من مدن معبد في شعر الأعشى:

اشارة

و منها:

صوت

يوم تبدي لنا قتيلة عن جي *** د أسيل تزينه الأطواق

و شتيت كالأقحوان جلاه الطّلّ فيه عذوبة و اتّساق الشـعر للأعشى. و الغناء لمعبد. و ذكر إسحاق أن لحنه خفيف ثقيل من أصوات قليلات الأشـباه، و ذكر عمرو بن بانة أنّ لحنه من الثقيل الأوّل بالبنصـر. و لإسحاق لحن من الثقيل أيضا و هو مما عارض فيه معبدا فانتصف منه، و من أوائل أغانيه و صدورها.

أخبرنا إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق قال ذكر الحسن بن عتبة اللّهبيّ المعروف بفورك قال:

قتيلات معبد:

قال لي الوليد بن يزيد: أريد الحجّ، فما يمنعني منه إلاّ أن يلقاني أهل المدينة بقتيلات معبد و بقصره و نخله

فأفتضح به طربا. يعني ثلاثة أصوات لمعبد من شعر الأعشى في قتيلة هذه، و نسبتها تأتي بعد. و يعني بقصره و نخله لحنه:

القصر فالنخل فالجمّاء بينهما

قال أبو زيد قال إسحاق و حدّثني عبد الملك بن هلال: و بلغني أن فتنة من قريش دخلوا إلى قينة و معهم روح بن حاتم المهلّبيّ، فتماروا فيما يختارونه من الغناء. فقالت لهم: أغنّي لكم صوتا يزيل الاختلاف و يوقع بينكم الاجتماع، فرضوا بها. فغنّت:

/

يوم تبدي لنا قتيلة عن جي *** د أسيل تزينه الأطواق

فرضوا به و اتّفقوا على أنه أحسن صوت يعرفونه، و أقاموا عندها أسبوعا لا يسمعونه غيره.

نسبة أصوات معبد في قتيلة

الصوتان الباقيان من قتيلات معبد في شعر الأعشى:

اشارة

منها:

أثوى و قصّر ليلة ليزوّدا *** فمضى و أخلف من قتيلة موعدا

يجحدن ديني بالنّهار و أقتضي *** ديني إذا وقذ(1) النّعاس الرّقّدا

/و أرى الغواني لا يواصلن امرأ *** فقد الشّباب و قد يصلن الأمردا

الشعر للأعشى. و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى.

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أبو شراعة في مجلس الرّياشيّ قال:

حدّثت أنّ رجلا نظر إلى الأعشى يدور بين البيوت ليلا؛ فقال له: يا أبا بصير، إلى أين في هذا الوقت؟ فقال:

يجحدن ديني بالنّهار و أقتضي *** ديني إذا وقذ النّعاس الرّقّدا

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال حدّثني أبي قال:

غنّيت بين يدي الرشيد و ستارته منصوبة:

و أرى الغواني لا يواصلن امرأ *** فقد الشباب و قد يصلن الأمردا

/فطرب و استعاده و أمر لي بمال. فلما أردت أن أنصرف قال لي: يا عاضّ كذا و كذا! أ تغنّي بهذا الصوت و جواريّ من وراء ستارة يسمعنه! لو لا حرمتك لضربت عنقك!. فتركته و اللّه حتى أنسيته.

و منها:

صوت

ألمّ خيال من قتيلة بعد ما *** و هى حبلها من حبلنا فتصرّما

1- وقذه النعاس: غلبه.

فبتّ كأنّي شارب بعد هجعة *** سخاميّة(1) حمراء تحسب عند ما

الشعر للأعشى. و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو. و فيه لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى عنه و عن ابن المكيّ.

سبعة ابن سريج:

فأمّا السبعة التي جعلت لابن سريج بإزار سبعة معبد فإني قرأت خبرها في كتاب محمد بن الحسن، قال حدّثني الحسين بن أحمد الأكثميّ عن أبيه قال:

ذكرنا عند إسحاق يوما أصوات معبد السبعة فقال: و اللّه ما سبعة ابن سريج بدونهنّ. فقلنا له: و أيّ سبعة؟ فقال: إن مغنّي المكّيين لمّا سمعوا بسبعة معبد و شهرتها لحقتهم لذلك غيرة، فاجتمعوا فاختاروا من غناء ابن سريج سبعة فجعلوها بإزاء سبعة معبد، ثم خايروا(2) أهل المدينة فانتصفوا منهم. فسألوا إسحاق عن السبعة السّريجيّة؛ فقال: منها.

تشكّى الكميت الجري لما جهدته

و قد مضت نسبته في الثلاثة الأصوات المختارة.

و

لقد حبّبت نعم إلينا بوجهها

/و

قرّب جيراننا جمالهم

و

أرقت و ما هذا السّهاد المؤرّق

و قد مضى في أخبار الأعشى المذكورة في مدن معبد – و

بينا كذاك إذا عجاجة موكب

و

فلم أر كالتّجمير منظر ناظر

– و قد مضى في الأرمال المختارة – و

تضوّع مسكا بطن نعمان إن مشت

- و قد ذكر في المائة مع غيره في شعر النّميريّ - و

إن جاء فليأت على بغلة

ص: 163

1- خمر سخام و سخامية: لينة سلسة.

2- أي غالبوهم، يقال: خايره في العلم و خيره مخايرة فخاره، أي غالبه فغلبه و كان خيرا منه.

نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد مضى متقدّما

الكلام على ما لم يمض الكلام عليه من هذه السبقة:

اشارة

فمنها:

صوت

/

لقد حبّبت نعم إلينا بوجهها *** مساكن ما بين الوتائر(1) فالنّقع

و من أجل ذات الخال أعملت ناقتي *** أكلّفها سير الكلال مع الظّلع

عروضه من الطويل. و الشعر لعمر بن أبي ربيعة، و الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر. و ذات الخال التي عناها هاهنا عمر امرأة من ولد أبي سفيان بن حرب، كان عمر يكني عنها بذلك.

عمر بن أبي ربيعة و ذات الخال:

اشارة

حدّثني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن الزّبيريّ و المسيّبيّ و محمد بن سلاّم و المدائنيّ، و أخبرنا به الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عمّي و لم يتجاوزه:

/أن عمر بن أبي ربيعة و ابن أبي عتيق كانا جالسين بفناء الكعبة، إذ مرّت بهما امرأة من آل أبي سفيان، فدعا عمر بكتف(2) فكتب إليها و كنى عن اسمها:

صوت

ألمّا بذات الخال فاستطلعا لنا *** على العهد باق ودّها أم تصرّما

و قولا لها إنّ النّوى أجنبيّة *** بنا و بكم قد خفت أن تتيمّما

– غنّاه ابن سـريج خفيف ثقيل أوّل بالسـبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق – قال فقال له ابن أبي عتيق: سبحان اللّه! ما تريد إلى امرأة مسلمة محرمة أن تكتب إليها مثل هذا! قال: فكيف بما قد سيّرته في الناس من قولي:

لقد حبّبت نعم إلينا بوجهها *** مساكن ما بين الوتائر و النّقع

و من أجل ذات الخال أعملت ناقتي *** أكلّفها سير الكلال مع الظّلع

و من أجل ذات الخال يوم لقيتها *** بمندفع الأخباب(3) أخضلني دمعي

و من أجل ذات الخال آلف منزلا *** أحلّ به لا ذا صديق و لا زرع

و من أجل ذات الخال عدت كأنني *** مخامر سقم داخل أو أخو ربع(4)

1– الوتيرة: ماء بأسفل مكة لخزاعة. و النقع: موضع قرب مكة في جنبات الطائف.

2– في ب، س: «بكاتب» و هو تحريف.

3– موضع قرب مكة. و في الأصول: «الأجناب» بالجيم و النون و هو تصحيف.

4– الربع: النعش، و يكنى به عن الموت.

ألمّا بذات الخال إن مقامها *** لدى الباب زاد القلب صدعا على صدع

و أخرى لدى البيت العتيق نظرتها *** إليها تمشّت في عظامي و في سمعي

و قال الحرميّ في خبره: أما ترى ما سار لي من الشعر! ما علم اللّه أنّي اطّلعت حراما قطّ! ثم انصرفنا. فلما كان من الغد التقينا. فقال عمر: أشعرت أنّ ذلك الإنسان قد ردّ الجواب؟ قال: و ما كان من ردّه؟ قال: كتب.

صوت

أمسى قريضك بالهوى نمّاما *** فاربع هديت و كن له كتّاما

و اعلم بأن الخال حين وصفته *** قعد العدوّ به عليك و قاما

لا تحسبنّ الكاشحين عدمتهم *** عما يسوؤك غافلين نياما

لا تمكننّ من الدّفينة كاشحا *** يتلو بها حفظا عليك إماما

غنّى فيه سليم خفيف رمل بالبنصر عن عمرو. قال: و فيه لفريدة و إبراهيم لحنان.

و في بعض النسخ: لإسحاق فيه ثقيل أوّل غير منسوب. و ذكر حبش أن خفيف الرّمل لفريدة.

/أخبرني محمد بن خلف وكيع قال أخبرنا أبو أيّوب المدينيّ عن محمد بن سلاّم، قال و أخبرني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم قال:

سألت عمر بن خليفة العبديّ - و كان عابدا و كان يعجبه الغناء - أيّ القوم كان أحسن غناء؟ قال: ابن سريج إذا تمعبد - يريد: إذا غنّى في مذهب معبد من الثقيل - قلت: مثل ما ذا؟ قال: مثل صوته(1)

صوت

لقد حبّبت نعم إلينا بوجهها *** مساكن ما بين الوتائر فالنّقع

و قال حمّاد بن إسحاق حدّثني أبي قال حدّثني أبو محمد العامريّ قال:

جلس معبد و الأبجر و جماعة من المغنّين فتذاكروا ابن سريج و ما اشتهاه الناس من غنائه، فقالوا: ما هو إلاّ من غناء الزّفّاف و المخنّثين. فنمي الحديث إلى ابن سريج فغنّى:

لقد حبّبت نعم إلينا بوجهها

/فلمّا جاء معبد و أصحابه و اجتمعوا غنّاهم إيّاه. فلمّا سمعوه قاموا هاربين، و جعل ابن سريج يصفّق خلفهم و يقول: إلى أين؟! إنما هو ابن ليلته فكيف لو اختمر!. قال فقال معبد: دعوه مع طرائقه الأول و لا تهيجوه على طرائقكم، و إلاّ لم يدع لكم و اللّه خبزا تأكلونه.

قال الزّبير في خبره عن عمّه: و علق نعما هذه فقال فيها شعرا كثيرا. و نحن نذكرها هاهنا ما فيه غناء من ذلك.

فمنه قوله:

1- كذا في أ، م و في سائر الأصول: «قوله».

صوت

خطرت لذات الخال ذكرى بعد ما *** سلك المطيّ بنا على الأنصاب(1)

أنصاب عمرة و المطيّ كأنّها *** قطع القطا صدرت عن الأحباب(2)

فانهلّ دمعي في الرّداء صبابة *** فسترته بالبرد عن أصحابي

فرأى سوابق دمعة مسكوبة *** بكر فقال بكى أبو الخطّاب

عروضه من الكامل. «بكر» الذي ذكره هاهنا عمر هو ابن أبي عتيق و هو يسمّيه في شعره ببكر و بعتيق، و إياه يعني بقوله:

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي *** إنّ بي يا عتيق ما قد كفاني

الغناء في «خطرت لـذات الخال» للغريض، و لحنه ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصـر عن إسـحاق. و ذكر عمرو بن بانة أنّ فيه ثقيلا أوّل بالبنصر لأبي سعيد مولى فائد.

و أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزّبير قال حدّثني عمّي:

أنّ عمر بن أبي ربيعة وافقها و هي تستلم الركن، فقرب منها. فلما رأته تأخّرت و بعثت إليه جاريتها. فقالت له:

تقول لك ابنة عمّك: إنّ هذا مقام/لا بدّ منه كما ترى، و أنا أعلم أنك ستقول في موقفنا هذا فلا تقولنّ هجرا.

فأرسل إليها: لست أقول إلاّ خيرا. ثم تعرّض لها و هي ترمي الجمار، فأعرضت عنه و استترت؛ فقال:

صوت

دين هذا القلب من نعم *** بسقام ليس كالسّقم

إن نعما أقصدت رجلا *** آمنا بالخيف إذ ترمي

/اسمعي منّا تحاورنا *** و احكمي رضّيت بالحكم

بشتيت(3) نبته رتل *** طيّب الأنياب و الطّعم(4)

يأتكم(5) منه بحجّته *** فله العتبى و لا أحمي(6)

عروضه من المديد. الغناء لإسـحاق خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. و فيها لمالك ثقيل أوّل من أصوات قليلات الأشباه عن إسحاق. و فيه لابـن سـريج رمل بالبنصـر عن حبش. و فيه لابن مسـجح ثقيل أوّل بالوسـطى عن حبش أيضا. و ذكر الهشاميّ أنّ الصوت مما يشكّ فيه أنه

لمعبد أو غيره.

ص: 166

1- الأنصاب: موضع.

2- الأجباب: جمع جب و هو البئر التي لم تطو أي لم تبن.

3- الشتيت: المتفرق. و الرتل: بياض الأسنان و حسن تناسقها.

4- كذا في «ديوانه». و في الأصول: «و اللغم».

5- كذا في «ديوانه». و قد ورد فيه قبل هذا البيت بيت يرجح رواية «الديوان» و هو: و انشديه هل أتيت له سخطا مني على علم و في الأصول: «و ليأتكم».

6- كذا في «الديوان». و في الأصول: «و لم أحم».

قال: و قال فيها أيضا:

صوت

أبيني اليوم أي نعم *** أوصل منك أم صرم

فإن يك صرم عاتبة(1) *** فقد نغنى و هو سلم

/تلومك في الهوى نعم *** و ليس لها به علم

صحيح لو رأى نعما *** لخالط جسمه سقم

عروضه من الهزج. غنّاه مالك و لحنه ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. و فيه لمتيّم خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق(2)، و ذكر أنّ فيه أيضا صنعة لابن سريج.

و مما يغنّى فيه مما قاله فيها – و هو من قصيدة طويلة –:

صوت

فقلت لجنّاد خذ السّيف و اشتمل *** عليه بحزم و انظر الشمس تغرب

و أسرج لنا الدّهماء و اعجل بممطري(3) *** و لا تعلمن خلقا من الناس مذهبي

عروضه من الطويل. غنّاه زرزور غلام المارقيّ خفيف ثقيل بالبنصر.

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا عمّي قال:

قيل لعمر بن أبي ربيعة: ما أحبّ شيء أصبته إليك؟ قال: بينا أنا في منزلي ذات ليلة إذ طرقني رسول مصعب بن الزّبير بكتابه يقول: إنه قد وقعت عندنا أثواب مما يشبهك، و قد بعثت بها إليك و بدنانير و مسك و طيب و بغلة. قال: فإذا بثياب من وشي و خزّ العراق لم أر مثلها قطّ و أربعمائة دينار و مسك و طيب كثير و بغلة. فلمّا أصبحت لبست بعض تلك الثياب و تطيّبت و أحرزت الدنانير و ركبت البغلة و أنا نشيط لا همّ لي قد أحرزت نفقة سنتي؛ فما أفدت فائدة كانت أحبّ إليّ منها. و قلت في ذلك:

/

أ لا أرسلت نعم إلينا أن ائتنا *** فأحبب بها من مرسل متغضّب

فأرسلت أن لا أستطيع فأرسلت *** تؤكّد أيمان الحبيب المؤنّب

فقلت لجنّاد خذ السيف و اشتمل *** عليه بحزم و انظر الشمس تغرب

و أسرج لي الدّهماء و اعجل بممطري *** و لا تعلمن خلقا من الناس مذهبي

و موعدك البطحاء أو بطن يأجج(4)*** أو الشّعب بالممروخ(5) من بطن مغرب

1- كذا في «ديوانه». و في الأصول: «غانية» و هو تصحيف.

2- في ج: «عن حبش».

3- الممطر: ما يلبس للوقاية من المطر.

4- يأجج: مكان من مكة على ثمانية أميال.

5- كذا في «الديوان». و في الأصول: «أو الشعب ذي المسروح».

/

فلما التقينا سلّمت و تبسّمت *** و قالت مقال المعرض المتجنّب

أ من أجل واش كاشح بنميمة *** مشى بيننا صدّقته لم تكذّب

قطعت وصال الحبل منّا و من يطع *** بذي(1) ودّه قول المحرّش يعتب

فبات وسادي ثني كفّ مخضّب *** معاود عذب لم يكدّر بمشرب

إذا ملت مالت كالكثيب رخيمة *** منعّمة حسّانة المتجلبب

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عمّي قال:

بلغ عمر بن أبي ربيعة أنّ نعما اغتسلت في غدير؛ فنزل عليه و لم يزل يشرب منه حتى نضب.

قال الزّبير قال عمّي: «و قال فيها أيضا:

صوت

طال ليلي و عادني اليوم سقم *** و أصابت مقاتل القلب نعم

و أصابت مقاتلي بسهام *** نافذات و ما تبيّن كلم

حرّة الوجه و الشمائل و الجو *** هر تكليمها لمن نال غنم

/هكذا وصف ما بدا لي منها *** ليس لي بالذي تغيّب علم

غير أني أرى الثياب ملاء *** في يفاع يزين ذلك جسم

و حديث بمثله تنزل العص *** م رخيم يشوب ذلك حلم

عروضه من الخفيف. غنّى ابن سريج في الأربعة الأبيات لحنا ذكره إسحاق و أبو أيّوب المديني في جامع غنائه و لم يجنّسه، و ذكر حبش أنه خفيف رمل بالبنصر.

مناقشة بين إسحاق و إبراهيم بن المهدي في معبد و ابن سريج:

أخبرني عمي قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال حدّثني عمرو بن بانة قال:

كنت حاضرا مع إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عند إبراهيم بن المهديّ. فتفاوضنا حديث المغنّين، حتى انتهوا إلى أن حكى إسحاق قول عمر بن أبي خليفة: «إذا تمعبد ابن سـريج كان أحسن الناس غناء». فقال إبراهيم لإسحاق: حاشاك يا أبا محمد أم تقول هذا! فقد رفع اللّه علمك و قـدر ابن سـريج عن مثل هذا القول، و أغنى ابن سـريج بنفسه عن أن يقال له تمعبد؛ و ما كان معبد يضع نفسه هذا الموضع؛ و كيف ذلك و هو إذا أحسن يقول:

أصبحت اليوم سريجيّا. و ما قد أنصف أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي معبدا في هذا القول؛ لأن معبدا و إن كان يعظّم ابن سريج و يوفّيه حقّه فليس بدونه و لا هو بمرذول عنده. و قد مضـى في صدر الكتاب خبر ابن سـريج لمّا قدم المدينة مع الغريض ليستمنحا أهلها، فسمعاه و هو يصيد الطير يغنّي لحنه:

القصر فالنخل فالجمّاء بينهما

1- كذا في ج و «ديوانه». و في الأصول: «لدى وده».

فرجع ابن سريج و ردّ الغريض و قال: لا خير لنا عند قوم هذا غناء غلام فيهم يصيد الطير، فكيف بمن داخل الجونة!.

تعظيم ابن سريج لمعبد و أخذه عنه:

اشارة

و أظرف من ذلك من أخباره و أدلّ على تعظيم ابن سريج معبدا ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليّ بن سليمان النّوفليّ، قال حدّثني أبي قال:

التقى ابن سريج و معبد ليلة بعد افتراق طويل و بعد عهد؛ فتساءلا عما صنعا من الأغاني بعد افتراقهما؛ فتغنّى هذا و تغنّى هذا؛ ثم تغنّى ابن سريج لحنه في:

/

أنا الهالك المسلوب مهجة نفسه *** إذا جاوزت مرّا(1) و عسفان عيرها

فغنّاه مرسلا لا صيحة فيه. فقال له معبد: أ فلا حسّنته بصيحة! قال: فأين أضعها؟ قال: في:

غدت سافرا و الشمس قد ذرّ قرنها

قال: فصح أنت فيه حتى أسمع منك. قال: فصاح فيه معبد الصّيحة التي يغنّى بها فيه اليوم. فاستعاده ابن سريج حتى أخذه فغنّى صوته كما رسمه معبد فحسن به جدّا. و في هذا دليل يبين فيه التحامل على معبد في الحكاية.

صوت

غدت سافرا و الشمس قد ذرّ قرنها *** فأغشى شعاع الشمس منها سفورها

و قد علمت شمس النهار بأنّها *** إذا ما بدت يوما سيذهب نورها

أنا الهالك المسلوب مهجة نفسه *** إذا جاوزت مرّا و عسفان عيرها

أهاجتك سلمى إذ أجدّ بكورها *** و هجّر يوما للرّواح بعيرها

الشعر يقال: إنه لطريف العنبريّ. و الغناء لابن سريج خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن ابن المكّيّ، و ذكر عمرو أنه لسياط. و لإبراهيم في الثالث و الأوّل و الرابع خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق و عمرو.

و فيه لبسباسة ثقيل/أوّل بالبنصر عن حبش. و فيه لابن جامع لحن عن حبش من رواية أبي أيّوب المدينيّ.

و من سبعة ابن سريج:

صوت

<أصوات من سبعة ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة:>

قرّب جيراننا جمالهم *** ليلا فأضحوا معا قد ارتفعوا

ما كنت أدري بوشك بينهم *** حتى رأيت الحداة(2) قد طلعوا

1- يريد مر الظهران و هو موضع على مرحلة من مكة. و عسفان على مرحلتين منها.

2- كذا أ، م. و في سائر الأصول: «الغداة» و هو تحريف.

على مصكّين من جمالهم *** و عنتريسين فيهما شجع(1)

يا نفس صبرا فإنّه سفه *** بالحرّ أن يستفزّه الجزع

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. و الغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو. و ذكر حبش أن فيه للغريض ثقيلا أوّل بالبنصر. و ذكر ابن أبي حسّان أن هبة اللّه بن إبراهيم بن المهديّ حدّثه عن أبيه عن ابن جامع قال: عيب على ابن سريج خفّة غنائه، فأخذ أبيات عمر بن أبي ربيعة:

قرّب جيراننا جمالهم

فغنّى فيها في كل إيقاع لحنا. فجميع ما فيها من الألحان له.

و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني منصور بن أبي مزاحم قال حدّثني رزام أبو قيس مولى خالد بن عبد اللّه قال:

قال لي إسماعيل بن عبد اللّه: يا أبا قيس، أيّ رجل أنت لو لا أنك تحب السّماع!. قلت: أصلحك اللّه! أما و اللّه لو سمعت فلانة تغنّيك:

قرّب جيراننا جمالهم *** ليلا فأضحوا معا قد ارتفعوا

لعذرتني. فقال: يا أبا قيس، لا عاتبتك بعد هذا أبدا.

/و منها:

صوت

بينا كذلك إذ عجاجة موكب *** رفعوا ذميل العيس في الصحراء

قالت أبو الخطّاب أعرف زيّه(2) *** و لباسه لا شكّ غير خفاء

الشعر لابن أبي ربيعة. و الغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر، و ذكر الهشاميّ و أبو العبيس أنه لمعبد؛ و ليس الأمر كما ذكرا.

و منها:

صوت

و هو الذي أوّله:

إن جاء فليأت على بغلة

1- المصك: القوي. و العنتريس: الناقة الغليظة الوثيقة. و الشجع في الإبل: سرعة نقل القوادم.

2- كذا في «ديوانه». و قبل البيت: قالت لجارتها انظري ها من أولى و تأملي من راكب الأدماء و في الأصول: «تعرف».

سلمى عديه سرحتي مالك *** أو الرّبا دونهما منزلا

إن جاء فليأت على بغلة *** إني أخاف المهر أن يصهلا

الشـعر لعمر بن أبي ربيعـة. و الغناء لابن سـريج من رواية يحيى بن المكّيّ و الهشاميّ ثقيل أوّل بالبنصـر، و ذكر يونس أنه للغريض، و ذكره إسحاق في أغاني الغريض و لـم يجنّسه.

ص: 171

11 - أغاني الخلفاء و أولادهم و أولاد أولادهم

من ثبت عنه من الخلفاء أنه غنى و من لم يثبت عنه ذلك:

قال مؤلف هذا الكتاب: المنسوب إلى الخلفاء من الأغاني و الملصق بهم منها لا أصل لجلّه و لا حقيقة لأكثره، لا سيّما ما حكه ابن خرداذبه فإنه بدأ بعمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فذكر أنه تغنّى في هذا البيت:

كأنّ راكبها غصن بمروحة

ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحدا بعد واحد، حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بدّ منه و لا معدل عنه، يخبط خبط العشواء و يجمع جمع حاطب الليل. فأمّا عمر بن الخطاب فلو جاز هذا أن يروى عن كل أحد لبعد عنه؛ و إنما روي أنه تمثّل بهذا البيت و قد ركب ناقة فاستوطأها، لا أنه غنّى به، و لا كان الغناء العربيّ أيضا عرف في زمانه إلا ما كانت العرب تستعمله من النّصب(1) و الحداء، و ذلك جار مجرى الإنشاد إلا أنه يقع بتطريب و ترجيع يسير و رفع للصوت. و الذي صحّ من ذلك عن رواة هذا الشأن فأنا ذاكر منه ما كان متقن الصّنعة لا حقا بجيّد الغناء قريبا من صنعة الأوائل و سالكا مذاهبهم لا ما كان ضعيفا سخيفا، و جامع منه ما اتصل به خبر له يستحسن و يجري مجرى هذا الكتاب و ما تضمّنه.

فأوّل من دوّنت له صنعة منهم عمر بن عبد العزيز؛ فإنه ذكر عنه أنه صنع في أيّام إمارته على الحجاز سبعة ألحان يذكر سعاد فيها كلّها؛ فبعضها عرفت الشاعر القائل له فذكرت خبره، و بعضها لم أعرف قائله فأتيت به كما وقع إليّ. فإن مرّ/بي بعد وقتي هذا أثبتّه في موضعه و شرحت من أخباره ما اتصل بي، و إن لم يقع لي و وقع إلى بعض من كتب هذا الكتاب فمن أقلّ الحقوق عليه أن يتكلّف إثباته و لا يستثقل تجشّم هذا القليل فقد وصل إلى فوائد جمّة تجشّمناها له و لنظرائه في هذا الكتاب، فحظي بها من غير نصب و لا كدح؛ فإن جمال ذلك موفّر عليه إذا نسب إليه، و عيبه عنّا ساقط مع/اعتذارنا عنه إن شاء اللّه.

و من الناس من ينكر أن تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصّنعة و يقول: إنها أصوات محكمة العمل لا يقدر على مثلها إلاّ من طالت دربته بالصّنعة و حذق الغناء و مهر فيه و تمكّن منه. و لم يوجد عمر بن عبد العزيز في وقت من الأوقات و لا حال من الحالات اشتهر بالغناء و لا عرف به و لا بمعاشرة أهله، و لا جالس من ينقل ذلك عنه و يؤدّيه؛ و إنما هو شيء يحسّن المغنّون نسبته إليه. و روي من غير وجه خلاف لذلك و إثبات لصنعته إيّاها، و هو أصح القولين؛ لأن الذين أنكروا ذلك لم يأتوا على إنكارهم بحجّة أكثر من هذا الظن و الدعوى، و مخالفوهم قد أيّدتهم أخبار رويت.

1- النصب: غناء للعرب يشبه الحداء إلا أنه أرق.

عمر بن عبد العزيز و الغناء:

أخبرني محمد بن خلف وكيع و الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي عن أبيه و عن إسماعيل ابن جامع عن سياط عن يونس الكاتب عن شهدة أمّ عاتكة بنت شهدة عن كردم بن معبد عن أبيه:

أنّ عمر بن عبد العزيز طارحه لحنه في:

أ لمّا صاحبيّ نزر سعادا

و نسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسين الكاتب قال حدّثني أبو يعلى زرقان غلام أبي الهذيل و صاحب أحمد بن أبي داود قال حدّثني محمد بن يونس قال/حدّثني هاتف أراه قال أمّ ولد المعتصم قالت حدّثتني عليّة بنت المهديّ قالت حدّثتني عاتكة بنت شهدة عن أمّها شهدة عن كردم قال:

طرح عليّ عمر بن عبد العزيز لحنه:

علق القلب سعادا *** عادت القلب فعادا

كلّما عوتب فيها *** أو نهي عنها تمادى

و هو مشغوف بسعدى *** قد عصى فيها و زادا

قال كردم: و كان عمر أحسن خلق اللّه صوتا، و كان حسن القراءة للقرآن.

و نسخت من كتاب ابن الكرنبيّ بخطّة حدّثني أحمد بن الفتح الحجّاجيّ في مجلس حمّاد بن إسحاق قال أخبرني أحمد بن الحسين قال:

رأيت عمر بن عبد العزيز في النوم و عليه عمامة و رأيت الشّجّة في وجهه تدلّ على أنها ضربة حافر، فسمعته يقول: قال عمر بن الخطّاب: لا تعلّموا نساءكم الخلع(1). قال حدّثني محمد(2) بن الحسين: فأقبلت عليه في نومي فقلت له: يا أمير المؤمنين، صوت يزعم الناس أنك صنعته في شعر جرير:

أ لمّا صاحبيّ نزر سعادا *** لوشك فراقها و ذرا البعادا

لعمرك إنّ نفع سعاد عنّي *** لمصروف و نفعي عن سعادا

إلى الفاروق ينتسب ابن ليلى *** و مروان الذي رفع العمادا

فتبسّم عمر و لم يردّ عليّ شيئا.

نسبة هذين الصوتين

صوت

أ لمّا صاحبيّ نزر سعادا *** لوشك فراقها و ذرا البعادا

/العمرك إنّ نفع سعاد عنّي *** لمصروف و نفعي عن سعادا

ص: 173

1- الخلع: تطليق المرأة ببذل منها للزوج.

2- كذا في الأصول. و لعل صوابه «أحمد بن الحسين».

إلى الفاروق ينتسب ابن ليلى *** و مروان الذي رفع العمادا

الشعر لجرير يمدح عمر بن عبد العزيز بن مروان. و الغناء لعمر بن عبد العزيز ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر. و فيه خفيف ثقيل ينسب إلى معبد.

صوت

علق القلب سعادا *** عادت القلب فعادا

كلّما عوتب فيها *** أو نهي عنا تمادى

و هو مشغوف بسعدى *** قد عصى فيها و زادا

الغناء لعمر بن عبد العزيز خفيف ثقيل. و فيه ثاني ثقيل ينسب إلى الهذليّ.

12 - ذكر عمر بن عبد العزيز و شيء من أخباره

هو أشج بني مروان:

عمر بن عبد العزيز مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف. و يكنى أبا حفص.

و أمّه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه. و كان يقال له أشجّ قريش؛ لأنه كان في جبهته أثر يقال إنه ضربة حافر. فذكر يحيى بن سعيد الأمويّ عن أبيه أن عبد الملك بن مروان كان يؤثر عمر بن عبد العزيز و يرقّ عليه و يدنيه، و إذا دخل عليه رفعه فوق ولده جميعا إلاّ الوليد. فعاتبه بعض بنيه على ذلك، فقال له: أ و ما تعلم لم فعلت ذلك؟ قال لا. قال: إن هذا سيلي الخلافة يوما و هو أشجّ بني مروان الذي يملأ الأرض عدلا بعد أن تملأ جورا، فما لي لا أحبّه و أدنيه!.

أخبرني محمد بن يزيد قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثنا سالم بن عجلان قال:

خرج عمر بن عبد العزيز يلعب فرمحته بغلة على جبينه. فبلغ الخبر أمّه أمّ عاصم، فخرجت في خدمها، و أقبل عبد العزيز بن مروان إليها فقالت: أمّا الكبير فيخدم، و أمّا الصغير فيكرم، و أما الوسط فيضيع! لم لا تتخذ لا بني حاضنا حتى أصابه ما ترى! فجعل عبد العزيز يمسح الدّم عن وجهه، ثم نظر إليها و قال لها: ويحك! إن كان أشجّ بني مروان، أو أشجّ بني أميّة، إنه لسعيد!.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن أحمد المقدّميّ قال حدّثنا عبيد اللّه بن سعد الزّهريّ قال حدّثنا هارون بن معروف قال حدّثنا ضمرة قال سمعت ثروان مولى عمر بن عبد العزيز قال:

/دخل عمر بن عبد العزيز و هو غلام إصطبل أبيه، فضربه فرس على وجهه، فأتي به أبوه يحمل. فجعل أبوه يمسح الدم عن وجهه و يقول: لئن كنت أشجّ بني أمية إنك لسعيد.

أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب:

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا مصعب الزّبيريّ قال:

كانت بنت لعبيد اللّه بن عمر بن الخطّاب تحت إبراهيم بن نعيم النّحّام فماتت، فأخذ عاصم بن عمر بيده فأدخله منزله، و أخرج إليه ابنتيه حفصة و أمّ عاصم، فقال له: اختر فاختار حفصة فزوّجها إيّاه. فقيل له: تركت أمّ عاصم و هي أجملهما! فقال: رأيت جارية رائعة، و بلغني أن آل مروان ذكروها فقلت: علّهم أن يصيبوا من/دنياهم.

فتزوّجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له أبا بكر و عمر و كانت عنده. و قتل إبراهيم بن نعيم يوم الحرّة. و ماتت أمّ عاصم عند عبد العزيز بن مروان؛ فتزوّج أختها حفصة بعدها، فحملت إليه بمصر؛ فمرّت بأيلة(1) و بها مخنّث أو

1- أيلة: هي المعروفة الآن باسم «العقبة» و هي التي تقع على نهاية الساحل الشرقي لخليج العقبة. و كانت قديما تابعة لمصر، و هي الآن من بلاد إمارة شرق الأردن.

معتوه و قد كان أهدى لأمّ عاصم حين مرّت به فأثابته. فلمّا مرت به حفصة أهدى لها فلم تثبه. فقال: «ليست حفصة من رجال أمّ عاصم» فذهبت مثلا.

لما ولي بدأ بأهل بيته و أخذ ما كان في أيديهم و سمى أعمالهم المظالم:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثنا أبو بكر الرّماديّ و سليمان بن أبي شيخ قالا حدّثنا أبو صالح كاتب اللّيث قال حدّثني الليث قال:

لمّا ولي عمر بن عبد العزيز، بدأ بلحمته(1) و أهل بيته، فأخذ ما كان في أيديهم و سمّى أعمالهم المظالم.

ففزعت بنو أميّة إلى فاطمة بنت مروان عمّته. فأرسلت/إليه: إنه قد عناني أمر لا بدّ من لقائك فيه. فأتته ليلا فأنزلها عن دابّتها. فلمّا أخذت مجلسها قال: يا عمّة، أنت أولى بالكلام لأنّ الحاجة لك فتكلّمي. قالت: تكلّم يا أمير المؤمنين. فقال: إنّ اللّه تبارك و تعالى بعث محمدا صلى اللّه عليه و سلم رحمة، لم يبعثه عذابا، إلى الناس كافّة، ثم اختار له ما عنده فقبضه إليه، و ترك لهم نهرا شربهم فيه سواء. ثم قام أبو بكر فترك النّهر على حاله. ثم ولي عمر فعمل على عمل صاحبه، فلما ولي عثمان اشتقّ من ذلك النهر نهرا. ثم ولي معاوية فشقّ منه الأنهار. ثم لم يزل ذلك النهر يشقّ منه يزيد و مروان و عبد الملك و الوليد و سليمان حتى أفضى الأمر إليّ، و قد يبس النهر الأعظم و لن يروى أصحاب النهر حتى يعود إليهم النهر الأعظم إلى ما كان عليه. فقالت له: قد أردت كلامك و مذاكرتك. فأمّا إذ كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيئا أبدا. و رجعت إليهم فأبلغتهم كلامه.

و قال سليمان بن أبي شيخ في خبره: فلمّا رجعت إلى بني أميّة قالت لهم: ذوقوا مغبّة أمركم في تزويجكم آل عمر بن الخطاب.

كثير و الأحوص و نصيب عند عمر بن عبد العزيز:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال أخبرني عبد اللّه بن دينار مولى بني نصر بن معاوية قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التّيميّ قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن بن سهيل عن حمّاد الراوية، و أخبرني محمد بن حسين الكندي خطيب القادسيّة قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثنا شيبان بن مالك قال حدّثنا عبد اللّه بن إسماعيل الجحدريّ عن حمّاد الراوية، و الروايتان متقاربتان و أكثر اللفظ للرّياشي، قال:

دخلت المدينة ألتمس العلم، فكان أوّل من لقيت كثيّر عزّة. فقلت: يا أبا صخر، ما عندك من بضاعتي؟ قال: عندي ما عند الأحوص و نصيب. قلت: و ما هو؟ /قال: هما أحقّ بإخبارك. فقلت له: إنّا لم نحثّ المطيّ نحوكم شهرا نطلب ما عندكم إلاّ ليبقى لكم ذكر، و قلّ من يفعل ذلك، فأخبرني عما سألتك ليكون ما تخبرني به حديثا آخذه عنك. فقال: إنه لمّا كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان، قدمت أنا و نصيب و الأحوص و كلّ واحد منا يدلّ بسابقته عند عبد العزيز و إخائه لعمر. فكان أوّل من لقينا مسلمة بن عبد الملك و هو يومئذ فتى العرب، و كلّ واحد منّا ينظر في عطفيه لا يشكّ أنه شريك الخليفة في الخلافة، فأحسن ضيافتنا و أكرم مثوانا، ثم قال: أ ما علمتم أن إمامكم لا يعطي الشعراء شيئا؟ قلنا: قد جئنا الآن، فوجّه لنا في هذا الأمر/وجها. فقال: إن كان ذو دين من آل مروان قد ولي الخلافة فقد بقي ذوي دنياهم من يقضي حوائجكم و يفعل بكم ما أنتم له أهل. فأقمنا على بابه

1- لحمته: قرابته.

أربعة أشـهر لا نصل إليه، و جعل مسـلمة يسـتأذن لنا فلا يؤذن. فقلت: لو أتيت المسـجد يوم الجمعة فتحفّظت من كلام عمر شيئا!. فأتيت المسـجد فأنّا أوّل من حفظ كلامه، سـمعته يقول في خطبـة له: لكل سـفر زاد لا محالـة، فتزوّدوا من الدنيا إلى الآخرة التّقوى، و كونوا كمن عاين ما أعـدّ اللّه له من ثوابه و عقابه، فعمل طلبا لهـذا و خوفا من هذا. و لا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، و تنقادوا لعدوّكم. و اعلموا أنه إنما يطمئنّ بالـدنيا من وثق بالنّجاة من عـذاب اللّه في الآخرة. فأما من لا يـداوي جرحا إلاّ أصابه جرح من ناحيـة أخرى، فكيف يطمئنّ بالدنيا! أعوذ باللّه أن آمركم بما أنهى نفسـي عنه فتخسـر صـفقتي، و تبدو عيلتي، و تظهر مسـكنتي يوم لا ينفع فيه إلاّ الحقّ و الصدق. فارتجّ المسـجد بالبكـاء، و بكى عمر حتى بلّ ثوبه، حتى ظننّا أنه قاض نحبه. فبلغت إلى صاحبيّ فقلت: جـدّدا لعمر من الشّعر غير ما أعـددناه، فليس الرجل بـدنيويّ. ثم إن مسـلمة اسـتأذن لنا يوم جمعـة بعـد ما أذن للعامّـة. فدخلنا فسـلّمنا عليه بالخلافة فردّ علينا. فقلت له: /يا أمير المؤمنين، طـال الثّواء و قلّت الفائـدة و تحـدّثت بجفائـك إيانّا وفود العرب. فقال: يا كثيّر، أ ما سـمعت إلى قول اللّه عزّ و جلّ في كتابه إِنَّمَا الصَّدَقٰاتُ لِلْفُقَرٰاءِ وَ الْمَسٰاكِينِ وَ الْعٰامِلِينَ عَلَيْهٰا وَ الْمُؤَلَّفَـةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقٰابِ وَ الْغٰارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَـةً مِنَ اللّٰهِ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أ فمن هؤلاء أنت؟ فقلت له و أنا ضاحك: أنا ابن سبيل و منقطع به. قال: أ و لست ضـيف أبي سعيد؟ قلت بلى. قال: ما أحسب من كان ضيف أبي سعيد ابن سبيل و لا منقطعا به. ثم استأذنته في الإنشاد، فقال: قل و لا تقل إلاّ حقا؛ فإنّ اللّه سائلك. فقلت:

وليت فلم تشتم عليّا و لم تخف *** بريّا و لم تتبع مقالة مجرم

و قلت فصدّقت الذي قلت بالذي *** فعلت، فأضحى راضيا كلّ مسلم

ألا إنّما يكفي الفتى بعد زيغه *** من الأود الباقي ثقاف المقوّم

لقد لبست لبس الهلوك ثيابها(1) *** و أبدت لك الدنيا بكفّ و معصم

و تومض أحيانا بعين مريضة *** و تبسم عن مثل الجمان المنظّم

فأعرضت عنها مشمئزا كأنما *** سقتك مدوفا(2) من سمام و علقم

و قد كنت من أجبالها في ممنّع *** و من بحرها في مزبد الموج مفعم

و ما زلت سبّاقا إلى كلّ غاية *** صعدت بها أعلى البناء المقدّم

فلما أتاك الملك عفوا و لم يكن *** لطالب دنيا بعده من تكلّم

تركت الذي يفنى و إن كان مونقا *** و آثرت ما يبقى برأي مصمّم

فأضررت بالفاني و شمّرت للذي *** أمامك في يوم من الهول مظلم

و مالك أن كنت الخليفة مانع *** سوى اللّه من مال رغيب و لا دم

/سما لك همّ في الفؤاد مؤرّق *** صعدت به أعلى المعالي بسلّم

1- الهلوك من النساء: الفاجرة المتساقطة على الرجال. و في الأصول: «لبس الملوك ببابها». و ظاهر «أنه تحريف».

2- مدوفا: مخلوطا. و أكثر ما يستعمل هذا اللفظ في الدواء و الطيب. و السمام: السم.

/

فما بين شرق الأرض و الغرب كلّها *** مناد ينادي من فصيح و أعجم

يقول: أمير المؤمنين ظلمتني *** بأخذ لدينار و لا أخذ درهم

و لا بسط كفّ لامرئ ظالم له *** و لا السفك منه ظالما ملء محجم

فلو يستطيع المسلمون تقسّموا *** لك الشّطر من أعمارهم غير ندّم

فعشت به ما حجّ للّه راكب *** مغذّ مطيف بالمقام و زمزم

فأربح بها من صفقة لمبايع *** و أعظم بها أعظم بها ثم أعظم

فقال لي: يا كثيّر، إن اللّه سائلك عن كل ما قلت. ثم تقدّم إليه الأحوص فاستأذنه فقال: قل و لا تقل إلاّ حقّا؛ فإن اللّه سائلك. فأنشده:

و ما الشعر إلاّ خطبة من مؤلّف *** بمنطق حقّ أو بمنطق باطل

فلا تقبلن إلاّ الذي وافق الرّضا *** و لا ترجعنّا كالنساء الأرامل

رأيناك لم تعدل عن الحقّ يمنة *** و لا يسرة فعل الظّلوم المجادل

و لكن أخذت القصد جهدك كلّه *** و تقفو مثال الصالحين الأوائل

فقلنا و لم نكذب بما قد بدا لنا *** و من ذا يردّ الحقّ من قول عاذل

و من ذا يردّ السّهم بعد مروقه(1) *** على فوقه إن عار(2) من نزع نابل

و لو لا الذي قد عوّدتنا خلائف *** غطاريف كانت كالليوث البواسل

لما وخدت شهرا برحلي جسرة *** تفلّ متون البيد بين الرّواحل

و لكن رجونا منك مثل الذي به *** صرفنا قديما من ذويك الأفاضل

/فإن لم يكن للشعر عندك موضع *** و إن كان مثل الدّرّ من قول قائل

و كان مصيبا صادقا لا يعيبه *** سوى أنه يبنى بناء المنازل

فإنّ لنا قربى و محض مودّة *** و ميراث آباء مشوا بالمناصل

فذادوا عدوّ السّلم عن عقر دراهم *** و أرسوا عمود الدّين بعد تمايل

فقبلك ما أعطى الهنيدة(3) جلّة *** على الشعر كعبا من سديس و بازل

رسول الإله المصطفى بنبوّة *** عليه سلام بالضّحى و الأصائل(4)

ص: 178

1- كذا في أ. و في سائر الأصول: «صدوفه» و هو تحريف.

2- السهم العائر: «الذي لا يدري من أين أتى. و أنشد أبو عبيده: أخشى على وجهك يا أمير عوئرا من جندل تعير و في الأصول: «عاد» بالدال و هو تحريف.

3- هنيدة: اسم للمائة من الإبل خاصة، و قيل اسم للمائة من الإبل و غيرها. و يريد بكعب كعب بن زهير. و السديس من الإبل ما دخل في السنة الثامنة. و البازل الذي فطر نابه أي انشق، و ذلك في السنة التاسعة.

4- المعروف المحفوظ في كتب السير أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لما أنشده كعب بن زهير قصيدته اللامية «بانت سعاد» و وصل فيها إلى قوله: إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف اللّه مسلول ألقى عليه بردة كانت عليه، بذل له فيها معاوية عشرة آلاف درهم، فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أحدا. فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم.

فكلّ الذي عدّدت يكفيك بعضه *** و نيلك خير من بحور السوائل

فقال له عمر: يا أحوص، إنّ اللّه سائلك عن كلّ ما قلت. ثم تقدّم إليه نصيب فاستأذن في الإنشاد، فأبى أن يأذن له و غضب عضبا شديدا، و أمره باللّحاق بدابق(1). و أمر لي و للأحوص لكلّ واحد بمائة و خمسين درهما.

و قال الرّياشيّ في خبره: فقال لنا: ما عندي ما أعطيكم، فانتظروا حتى يخرج عطائي فأواسيكم منه. فانتظرنا حتى خرج، فأمر لي و للأحوص بثلاثمائة درهم، و أمر لنصيب بمائة و خمسين درهما. فما رأيت أعظم بركة من الثلاث المائة التي أعطاني، ابتعت بها وصيفة فعلّمتها الغناء فبعتها بألف دينار.

خبر دكين الراجز معه:

أخبرني عمّي عبد العزيز بن أحمد قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال:

/قال دكين/الراجز: امتدحت عمر بن عبد العزيز و هو والي المدينة، فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم، فكرهت أن أرمي بهنّ الفجاج، و لم تطب نفسي ببيعهنّ. فقدمت علينا رفقة من مصر، فسألتهم الصّحبة، فقالوا:

ذاك إليك، و نحن نخرج الليلة، فأتيته فودّعته و عنده شيخان لا أعرفهما. فقال لي: يا دكين، إن لي نفسا توّاقة، فإن صرت إلى أكثر مما أنا فيه فأتني و لك الإحسان. قلت: أشهد لي بذلك. قال: أشهد اللّه به. قلت: و من خلقه؟ قال: هذين الشيخين. فأقبلت على أحدهما فقلت: من أنت أعرفك؟ قال: سالم بن عبد اللّه بن عمر. فقلت له: لقد استسمنت الشاهد. و قلت للآخر: من أنت؟ قال: أبو يحيى مولى الأمير. فخرجت إلى بلدي بهنّ، فرمى اللّه في أذنابهنّ بالبركة حتى اعتقدت(2) منهن الإبل و العبيد. فإنّي لبصحراء فلج(3) إذا ناع ينعى سليمان. قلت: فمن القائم بعده؟ قال: عمر بن عبد العزيز. فتوجّهت نحوه، فلقيني جرير متصرفا من عنده. فقلت: يا أبا حزرة، من أين؟ فقال: من عند من يعطي الفقراء، و يمنع الشعراء. فانطلقت فإذا هو في عرصة دار و قد أحاط الناس به، فلم أخلص إليه فناديت:

يا عمر الخيرات و المكارم *** و عمر الدّسائع(4) العظائم

إني امرؤ من قطن بن دارم *** طلبت ديني من أخي مكارم

إذ تنتحي و الليل غير نائم(5) *** عند أبي يحيى و عند سالم

فقام أبو يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، لهذا البدوي عندي شهادة عليك، فقال: أعرفها؛ أدن يا دكين، أنا كما ذكرت لك، إن نفسي لم تنل شيئا قطّ إلاّ تاقت/لما هو فوقه، و قد نلت غاية الدنيا فنفسي تتوق إلى الآخرة، و اللّه

1- دابق: قرية قرب حلب بينها و بين حلب أربعة فراسخ.

2- اعتقد الشيء: اشتراه أو اقتناه.

3- فلج: واد بين البصرة و حمى ضرية.

4- الدسائع: الشمائل أو العطايا.

5- كذا في «العقد الفريد»: و في الأصول: إذا تنتحي و اللّه غير نائم.

ما رزأت من أموال الناس شيئا، و لا عندي إلا ألف درهم، فخذ نصفها. قال: فو اللّه ما رأيت ألفا كان أعظم بركة منه. قال: و دكين الذي يقول:

إذا المرء يدنس من اللّؤم عرضه *** فكلّ رداء يرتديه جميل

و إن هو لم يرفع عن اللؤم نفسه *** فليس إلى حسن الثّناء سبيل(1)

زهده بعد أن ولي الخلافة:

أخبرني الحرميّ عن الزّبير عن هارون بن صالح عن أبيه قال:

كنّا نعطي الغسّال الدراهم الكثيرة حتى يغسل ثيابنا في أثر ثياب عمر بن عبد العزيز من كثرة الطّيب فيها يعني المسك. قال: ثم رأيت ثيابه بعد ذلك و قد ولي الخلافة فرأيت غير ما كنت أعرف.

حبه آل البيت:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ عن نافع بن أبي نعيم قال:

قدم عبد اللّه بن الحسن بن الحسن على عمر بن عبد العزيز فقال: إنك لا تغنم أهلك شيئا خيرا من نفسك فارجع، و أتبعه حوائجه.

قال الرّياشيّ و حدّثنا نصر بن عليّ قال حدّثنا أبو أحمد محمد بن الزّبير الأسديّ عن سعيد بن أبان قال:

رأيت عمر بن عبد العزيز آخذا بسرّة عبد اللّه بن حسن و قال: اذكرها عندك تشفع لي يوم القيامة.

/حدّثني أبو عبيد الصّيرفيّ قال حدّثنا الفضل بن الحسن المصريّ قال حدّثنا عبد اللّه بن عمر القواريريّ قال حدّثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبان القرشيّ قال:

دخل عبد اللّه بن حسن على عمر بن عبد العزيز و هو حديث السّنّ و له وفرة(2)، فرفع مجلسه و أقبل عليه/و قضى حوائجه، ثم أخذ عكنة من عكنه فغمزها حتى أوجعه و قال له: أذكرها عندك للشّفاعة. فلمّا خرج لامه أهله و قالوا:

فعلت هذا بغلام حديث السنّ! فقال: إن الثّقة حدّثني حتى كأنّي أسمعه من في رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال: «إنما فاطمة بضعة منّي يسرّني ما يسرّها» و أنا أعلم أن فاطمة لو كانت حيّة لسرّها ما فعلت بابنها. قالوا: فما معنى غمزك بطنه و قولك ما قلت؟ قال: إنه ليس أحد من بني هاشم إلاّ و له شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا.

أكرم يزيد بن عيسى لأنه مولى عليّ:

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عيسى بن عبد اللّه بن محمد بن عمر بن عليّ قال أخبرني يزيد بن عيسى بن مورق قال:

كنت بالشام زمن ولي عمر بن عبد العزيز، و كان بخناصرة(3)، و كان يعطي الغرباء مائتي درهم. قال: فجئته

1- المعروف أن هذين البيتين للسـموأل بن عادياء اليهودي. و يروى، كما في «الحماسة و الأمالي» لأبي علي القالي، صدر البيت الثاني: و إن هو لم يحمل عن النفس ضيمها

2- الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس.

3- خناصرة: بلبدة من أعمال حلب.

فأجده متكئا على إزار و كساء من صوف. فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل الحجاز. قال: من أيّهم؟ قلت: من أهل المدينة. قال: من أيّهم؟ قلت: من قريش. قال: من أيّ قريش؟ قلت: من بني هاشم. قال: من أيّ بني هاشم؟ قلت: مولى عليّ. قال: من عليّ؟ فسكتّ. قال: من؟! فقلت: ابن أبي طالب. فجلس و طرح الكساء ثم وضع يده على صدره و قال: و أنا و اللّه مولى عليّ، ثم قال: أشهد على عدد ممّن أدرك النبيّ صلى اللّه عليه و سلم/يقول: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». أين مزاحم(1)؟ كم تعطي مثله؟ قال: مائتي درهم. قال: أعطه خمسين دينارا لولائه من عليّ. ثم قال: أ في فرض أنت؟ قلت لا. قال: و افرض له، ثم قال: الحق بلادك فإنه سيأتيك إن شاء اللّه ما يأتي غيرك.

سمى عمر بن علي نحله غلامه مورقا:

قال أبو زيد فحدّثني عيسى بن عبد اللّه قال حدّثني أبي عن أبيه قال قال أبي:

ولد لي غلام يوم قام عمر بن عبد العزيز، فغدوت عليه فقلت له: ولد لي في هذه الليلة غلام. فقال لي:

ممّن؟ قلت: من التّغلبيّة. قال: فهب لي اسمه. قلت نعم. قال: قد سمّيته اسمي و نحلته غلامي مورقا، و كان نوبيّا فأعتقه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك؛ فولده اليوم موالينا.

كان يكرم عبد اللّه بن الحسن:

أخبرني محمد بن العبّاس قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عيسى بن عبد اللّه قال أخبرني موسى بن عبد اللّه بن حسن عن أبيه قال:

كان عمر بن عبد العزيز يراني إذا كانت لي حاجة أتردّد إلى بابه. فقال لي: أ لم أقل لك: إذا كانت لك حاجة فارفع بها إليّ! فو اللّه إني لأستحي من اللّه أن يراك على بابي.

لم يفد من ولايته شيئا و خلف ولده فقراء:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكرانيّ قال حدّثني العمريّ عن العتبيّ عن أبيه قال:

لمّا حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع ولده حوله، فلما رآهم استغبر ثم قال: بأبي و أمّي من خلّفتهم بعدي فقراء! فقال له مسلمة بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين، فتعقّب فعلك و أغنهم، فما يمنعك أحد في حياتك و لا يرتجعه الوالي بعدك. فنظر إليه نظر مغضب متعجّب فقال: يا مسلمة، منعتهم إيّاه في حياتي و أشقى به/بعد وفاتي! إن ولدي بين رجلين: إمّا مطيع للّه فاللّه مصلح له شأنه و رازقه ما يكفيه، أو عاص له فما كنت لأعينه على معصيته. يا مسلمة، إني حضرت أباك لمّا دفن فحملتني عيني عند قبره فرأيته قد أفضى إلى أمر من أمر اللّه راعني و هالني، فعاهدت اللّه ألاّ أعمل بمثل عمله إن وليت؛ و قد اجتهدت في ذلك طول حياتي، و أرجو أن أفضي إلى عفو من اللّه/و غفران. قال مسلمة: فلمّا دفن حضرت دفنه، فما فرغ من شأنه حتى حملتني عيني، فرأيته فيما يرى النائم و هو في روضة خضراء نضرة فيحاء و أنهار مطّردة و عليه ثياب بيض؛ فأقبل عليّ فقال: يا مسلمة، لمثل هذا فليعمل العاملون. هذا أو نحوه، فإن الحكاية تزيد أو تنقص.

1- هو مزاحم بن أبي مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز.

رثاه مسلمة بن عبد الملك:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن يحيى بن سعيد الأمويّ قال:

لمّا مات عمر بن عبد العزيز وقف مسلمة عليه بعد أن أدرج في كفنه فقال: رحمك اللّه يا أمير المؤمنين! فقد أورثت صالحينا بك اقتداء و هدى، و ملأت قلوبنا بمواعظك و ذكرك خشية و تقى، و أثّلت لنا بفضلك شرفا و فخرا، و أبقيت لنا في الصالحين بعدك ذكرا.

كتابه إلى أسارى قسطنطينية:

أخبرني الحسن قال أخبرنا الغلابيّ عن ابن عائشة عن أبيه:

أنّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأسارى بقسطنطينيّة: أمّا بعد، فإنكم تعدّون أنفسكم أسارى و لستم أسارى.

معاذ اللّه! أنتم الحبساء في سبيل اللّه. و اعلموا أنّي لست أقسم شيئا بين رعيّتي إلاّ خصصت أهلكم بأوفر ذلك و أطيبه. و قد بعثت إليكم خمسة دنانير، خمسة دنانير. و لو لا أنّي خشيت إن زدتكم أن يحبسه عنكم/طاغية الرّوم لزدتكم. و قد بعثت إليكم فلان بن فلان يفادي صغيركم و كبيركم، ذكركم و أنثاكم، حرّكم و مملوككم بما يسأل، فأبشروا ثم أبشروا.

كتاب الحسن البصري له و ردّه عليه:

أخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عبد اللّه بن مسلم قال زعم لنا سليمان بن أرقم قال:

كتب الحسن البصريّ إلى عمر بن عبد العزيز، و كان يكاتبه، فلما استخلف كتب إليه: «من الحسن البصريّ إلى عمر بن عبد العزيز». فقيل له: إن الرجل قد ولي و تغيّر. فقال: لو علمت أنّ غير ذلك أحبّ إليه لاتّبعت محبّته.

ثم كتب: «من الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبد العزيز. أما بعد، فكأنك بالدنيا لم تكن، و كأنك بالآخرة لم تزل». قال: فمضيت إليه بالكتاب فقدمت عليه به. فإني عنده أتوقّع الجواب إذ خرج يوما غير يوم جمعة حتى صعد المنبر و اجتمع الناس. فلما كثروا قام فحمد اللّه و أثنى عليه ثم قال: أيها النّاس، إنكم في أسلاب الماضين، و سيرثكم الباقون حتى تصيروا إلى خير الوارثين. كلّ يوم تجهّزون غاديا إلى اللّه و رائحا، قد حضر أجله، و طوي عمله، و عاين الحساب، و خلع الأسلاب، و سكن التراب، ثم تدعونه غير موسّد و لا ممهّد. ثم وضع يديه على وجهه فبكى مليّا ثم رفعهما فقال: يا أيّها الناس، من وصل إلينا منكم بحاجته لم نأله خيرا، و من عجز فو اللّه لوددت أنه و آل عمر في العجز سواء. قال: ثم نزل. فأرسل إليّ فدخلت إليه؛ فكتب: «بسم اللّه الرحمن الرحيم. أمّا بعد، فإنك لست بأوّل من كتب عليه الموت، و قد مات. و السلام».

آخر خطبة له:

أخبرني ابن عمّار قال حدّثني سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا أبو مطرّف المغيرة بن مطرّف عن شعيب بن صفوان عن أبيه:

/أنّ عمر بن عبد العزيز خطب بخناصرة خطبة لم يخطب بعدها، حمد اللّه و أثنى عليه ثم قال: أيها الناس،

ص: 182

إنكم لم تخلقوا عبثا و لم تتركوا سدى؛ و إن لكم معادا يتولّى اللّه فيه الحكم فيكم و الفصل بينكم، /فخاب و خسر من خرج من رحمة اللّه التي وسعت كلّ شيء، و حرم الجنّة التي عرضها السماوات و الأرض. و اعلموا أنّ الأمان غدا لمن حذر اللّه و خافه، و باع قليلا بكثير، و نافدا بباق، و خوفا بأمان. أ لا ترون أنكم في أسلاب الهالكين و سيخلفها من بعدكم الباقون، و كذلك حتى تردّوا إلى خير الوارثين. ثم إنكم في كلّ يوم و ليلة تشيّعون غاديا إلى اللّه و رائحا، قد قضى نحبه، و انقضى أجله، ثم تضعونه في صدع من الأرض في بطن لحد، ثم تدعونه غير موسّد و لا ممهّد، قد خلع الأسلاب، و فارق الأحباب، و وجّه للحساب، غنيّا عمّا ترك، فقيرا إلى ما قدّم. و ايم اللّه إني لأقول لكم هذه المقالة و لا أعلم عند أحد منكم أكثر مما عندي، و أستغفر اللّه لي و لكم. و ما يبلغنا أحد منكم حاجته يسعها ما عندنا إلا سددنا من حاجته ما قدرنا عليه، و لا أحد يتّسع له ما عندنا إلا وددت أنه بدئ بي و بلحمتي الذين يلونني حتى يستوي عيشنا و عيشكم. و ايم اللّه لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به منّي ناطقا ذلولا عالما بأسبابه، و لكنه من اللّه عزّ و جلّ كتاب ناطق، و سنّة عادلة، دلّ فيهما على طاعته و نهى فيهما عن معصيته. ثم بكى فتلقّى دموعه بطرف ردائه؛ ثم نزل فلم ير على تلك الأعواد بعد حتى قبضه اللّه إليه. رحمه اللّه عليه.

اشترى موضع قبره بعشرة دنانير:

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو سلمة المدينيّ. عن إبراهيم بن ميسرة: أن عمر بن عبد العزيز اشترى موضع قبره بعشرة دنانير.

وفاته:

أخبرني اليزيديّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو سلمة المدينيّ قال أخبرني ابن مسلمة بن عبد الملك قال حدّثني أبى مسلمة قال:

كنّا عند عمر في اليوم الذي توفّي فيه أنا و فاطمة بنت عبد الملك؛ فقلنا له: يا أمير المؤمنين، إنّا نرى أنّا قد منعناك النّوم، فلو تأخّرنا عنك شيئا عسى أن تنام! قال: ما أبالي لو فعلتما. قال: فتنحّيت أنا و هي و بيننا و بينه ستر.

قال: فما نشبنا أن سمعناه يقول: حيّ الوجوه حيّ الوجوه. فابتدرناه أنا و هي فجئناه و قد أغمض ميّتا، فإذا هاتف يهتف في البيت لا نراه: تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لاٰ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ فَسٰاداً وَ الْعٰاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

من أصواته في سعاد:

اشارة

<و من أصوات عمر في سعاد>

صوت

ألا يا دين قلبك من سليمى *** كما قد دين قلبك من سعادا

هما سبتا الفؤاد و أصبتاه *** و لم يدرك بذلك ما أرادا

قفا نعرف منازل من سليمى *** دوارس بين حومل أو عرادا(1)

1- عراد: جبل.

ذكرت بها الشّباب و آل ليلى *** فلم يرد الشباب بها مرادا

فإن تشب الذّؤابة أمّ زيد *** فقد لاقيت أيّاما شدادا

عروضه من الوافر. الشعر لأشهب بن رميلة فيما ذكر ابن الأعرابيّ و أبو عمرو الشّيباني. و حكى ابن الأعرابيّ أنه سمع بعض بني ضبّة يذكر أنها لابن أبي رميلة الضّبّيّ. و الغناء لعمر/بن عبد العزيز رمل بالوسطى عن الهشاميّ و حبش و غيرهما. و في نسخة عمرو بن بانة الثانية: لخزرج رمل بالبنصر.

13 - نسب الأشهب بن رميلة و أخباره

نسبه:

رميلة أمّه، و هي أمة لخالد بن مالك بن ربعيّ بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن عمرو بن تميم. و هو الأشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد الدار بن جندل بن نهشل بن دارم في النّسب. قال أبو عمرو: و ولدها يزعمون أنها كانت سبيّة من سبايا العرب، فولدت لثور بن أبي حارثة أربعة نفر، و هم رباب، و حجناء، و الأشهب، و سويد.

إخوته و عزّهم في الجاهلية و الإسلام:

فكانوا من أشدّ إخوة في العرب لسانا و يدا، و أمنعهم جانبا. و كثرت أموالهم في الإسلام. و كان أبوهم ثور ابتاع رميلة في الجاهليّة، و ولدتهم في الجاهليّة، فعزّوا عزّا عظيما، حتى كانوا إذا وردوا ماء من مياه الصّمّان(1)حظروا على الناس ما يريدون منه. و كانت لرميلة قطيفة حمراء، فكانوا يأخذون الهدب من تلك القطيفة فيلقونه على الماء، أي قد سبقنا إلى هذا، فلا يرده أحد لعزّهم، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه و يدعون ما يستغنون عنه.

يوم الصمان بينهم و بين أبناء عمومتهم:

فوردوا في بعض السنين ماء من مياه الصّمّان و ورد معهم ناس من بني قطن بن نهشل. و كانت بنو قطن بن نهشل و بنو زيد بن نهشل و بنو مناف بن درام حلفاء. و كانت الأعجاز حلفاء عليهم، و هم جندل و جرول و صخر بنو نهشل. فأورد بعضهم بعيره فأشرعه حوضا قد حظروا عليه. و بلغهم ذلك فغضبوا منه و اجتمعوا و أحلافهم، و اجتمعت الأحلاف عليهم، فاقتتلوا قتالا شديدا، فضرب رباب بن رميلة رأس نسير بن صبيح المعروف بأبي بدّال، و أمّه بنت أبي الحمام بن قراد بن مخزوم. و قال رباب في ذلك:

/

ضربته عشيّة الهلال *** أوّل يوم عدّ من شوّال

ضربا على رأس أبي بدّال *** ثمّت ما أبت و لا أبالي

ألاّ يئوب آخر اللّيالي

فجمع كلّ واحد منهما لصاحبه. فقالت بنو قطن: يا بني جرول و يا بني صخر و يا بني مناف(2)، ضرب صاحبكم صاحبنا ضربة لا ندري أ يموت منها أم يعيش، فأنصفونا؛ فأبى القوم أن يفعلوا؛ فاقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل.

و كان أبيّ بن أشيم أخو بني جرول و هو سيّدهم خرج في حاجة له، فلقيه بعض بني قطن فأسره و أتى به أصحابه.

فقال نهشل(3) بن حرّيّ: يا بني قطن، أطيعوني اليوم و اعصوني أبدا. قالوا: نعم، فقل. فقال: إن هذا لم يشهد

1- الصمان: جبل في أرض تميم.

2- يلاحظ أن بني مناف ليسوا حلفاء لبني جرول و بني صخر، و إنما هم حلفاء بني قطن بن نهشل و بني زيد بن نهشل.

3- هو نهشل بن حريّ بن ضـمرة، كان شاعرا و هو القائل: إنا بني نهشل لا ندّعي لأب عنه و لا هو بالأبناء يشرينا إن تبتدر غاية يوما لمكرمة تلق السوابق منا و المصلينا (انظر ترجمته في «الشعر و الشعراء» ص 404-405).

شرّكم و لا- حربكم، و لا يحلّ لكم دمه، و إنّ قومه أحرّ من يقاتلكم و شوكتهم؛ فخذوا عليه العهد أن يصرفهم عنكم و خلّوا سبيله. قالوا: افعل ما رأيت. فأتاه نهشل بن حرّيّ فقال له: يا أبا أسماء، إنّ قومك قد حالوا بيننا و بين حقّنا و قاتلوا دونه، و قد أمكننا اللّه منك، و أنت و اللّه أوفى دما عندنا من بني رميلة، فو اللّه لأقتلنّك أو تعطيني ما أسألك.

قال: سل. قال: تجعل أن تصرف بني جرول جميعا، فإن لم يطيعوك انصرفت ببني أشيم، فإن لم يطيعوك أتيتنا.

قال نعم. فخلّي سبيله/تحت الليل. فأتاهم و هم بحيث يرى بعضهم بعضا فقال: يا بني جرول انصرفوا؛ أ تعترضون على قوم يريدون حقّهم! أ لا تتّقون اللّه! و اللّه لقد أسرني القوم و لو أرادوا قتلي لكان/فيه وفاء بحقّهم، و لكنّهم يكرهون حربكم فلا تبغوا عليهم. فانصرف منهم أكثر من سبعين رجلا. فلما رأى ذلك بنو صخر و بنو جرول قالوا: و اللّه إنا لنظلم(1) قومنا إن قاتلناهم؛ و انصرفوا، و تخاذل القوم. فلما رأى ذلك الأشهب بن رميلة قال:

ويلكم! أ في ضربة من عصا لم تصنع شيئا تسفكون دماءكم! و اللّه ما به من بأس، فأعطوا قومكم حقّهم. فقال حجناء و رباب: و اللّه لننصرفنّ فلنلحقنّ بغيركم و لا نعطي ما بأيدينا. فجعل الأشهب بن رميلة يقول: ويلكم! أ تخرّبون دار قومكم في ضربة عصا لم تبلغ شيئا!. فلم يزل بهم حتى جاءوا برباب فدفعوه إلى بني قطن، و أخذوا منهم أبا بدّال و هو المضروب فمات في تلك الليلة في أيديهم؛ فكتموه، و أرسلوا إلى عبّاد بن مسعود، و مالك بن ربعيّ، و مالك بن عوف، و القعقاع بن معبد، فعرضوا عليهم الدّية. فقالوا: و ما الدّية و صاحبنا حيّ! قالوا: فإن صاحبكم ليس بحيّ. فأمسكوا و قالوا: ننظر. ثم جاءوا إلى رباب فقالوا: أوصنا بما بدا لك. قال: دعوني أصلّي. قالوا:

صلّ. فصلّى ركعتين ثم قال: أما و اللّه إنّي إلى ربّي لذو حاجة، و ما منعني أن أزيد في صلاتي إلا- أن تروا أن ذلك فرق من الموت، فليضربني منكم رجل شديد السّاعد حديد السيف. فدفعوه إلى أبي خزيمة بن نسير المكنيّ بأبي بدّال فضرب عنقه، فدفنوه؛ و ذلك في الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفّان. فقال الأشهب يرثي أخاه و يلوم نفسه في دفعه إليهم لتسكن الحرب:

أعينيّ قلّت عبرة من أخيكما *** بأن تسهرا ليل التّمام و تجزعا

و باكية تبكي الرّباب و قائل *** جزى اللّه خيرا ما أعفّ و أمنعا

و أضرب في الهيجا إذا حمس الوغى *** و أطعم إذ أمسى المراضيع جوّعا

/إذا ما اعترضنا من أخينا أخاهم *** روينا و لم نشف الغليل فينقعا

قرونا دما و الضّيف منتظر القرى *** و دعوة داع قد دعانا فأسمعا

مردنا(2) و كانت هفوة من حلومنا *** بثدي إلى أولاد ضمرة أقطعا

و قد لامني قومي و نفسي تلومني *** بما فال رأيي في رباب و ضيّعا

1- في أ، م: «لنضيع».

2- مرد الصبي ثدي أمه: مرسه.

فلو كان قلبي من حديد أذابه *** و لو كان من صمّ الصّفا لتصدّعا

مضى الحديث.

أصوات عمر في سعاد:

و نسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّي عن أبيه قال:

لعمر بن عبد العزيز في سعاد سبعة ألحان.

منها:

يا سعاد التي سبتني فؤادي *** و رقادي هبي لعيني رقادي

و لحنه رمل مطلق.

و منها:

حظّ عيني من سعاد *** أبدا طول السّهاد

و لحنه رمل بالسبّابة في مجرى البنصر.

و منها:

سبحان ربّي برا سعادا *** لا تعرف الوصل و الوداد

/و لحنه خفيف(1) رمل.

/و منها:

لعمري لئن كانت سعاد هي المنى *** و جنّة خلد لا يملّ خلودها

و لحنه ثقيل أوّل.

و منها:

أسعاد جودي لا شقيت سعادا *** و اجزي محبّك رأفة و ودادا

و لحنه خفيف رمل.

و منها:

أ لمّا صاحبيّ نزر سعادا

و منها:

ألا يا دين قلبك من سليمى

و قد ذكرت طريقتهما.

ص: 187

1- في ج: «خفيف ثقيل».

كان محدثا و فقيها و راويا:

و قد روي عن عمر بن عبد العزيز حديث كثير و فقه، و حمل عنه أهل العلم.

أخبرنا محمد بن جرير الطّبريّ قال حدّثنا عمران بن بكّار الكلاعيّ قال حدّثنا خالد بن عليّ قال حدّثنا بقيّة بن الوليد عن مبشّر بن إسماعيل عن بشر بن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عمر عن جدّه عبد العزيز عن معاوية بن أبي سفيان قال:

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «من أحبّ أن تمثل له الرجال قياما فليتبوّأ مقعده من النار».

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ و عمّي قالا حدّثنا العنزيّ قال حدّثني وزير بن محمد أبو هاشم الغسّانيّ قال حدّثني محمد بن أيّوب بن سعيد السّكّريّ عن عمر بن عبد العزيز عن أمّه عن أبيها عاصم بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال:

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «نعم الإدام الخلّ».

غناء يزيد بن عبد الملك:

اشارة

و ممن حكي عنه أنه صنع في شعره غناء يزيد بن عبد الملك، و لم يأت ذلك برواية عمّن يحصّل قوله كما حكي عن عمر بن عبد العزيز، و إنما وجد في الكتب أنه صنع لحنا في شعره، و ذكره من لا يوثق به، و لم نروه عن أحد فلم نأت بأخباره هاهنا مشروحة، و أتيت بها في أخباره مع حبابة بحيث يصلح. و أما اللحن الذي ذكر أنه صنعه فهو:

صوت

أبلغ حبابة أسقى ربعها المطر *** ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر

إن سار صحبي لم أملل بذكركم *** أو عرّسوا فهموم النفس و الفكر

في هذين البيتين ثقيل أوّل يقال إنه ليزيد بن عبد الملك. و ذكر ابن المكّيّ أنه لحبابة.

و حكي عن الهيثم بن عديّ أن يزيد بن عبد الملك لمّا رأى حبابة تعلّقها و لم يقدر على ابتياعها خوفا من أخيه سليمان أو من عمر بن عبد العزيز، و قال فيها هذين البيتين و هو راحل عن الحجاز، و غنّاه فيهما معبد، فوصله بعد ذلك بما كان يغنيه، و أخذته حبابة و غيرها عنه. و ذكر الهشاميّ أنه مما لا يشكّ فيه من غناء معبد. و قد مضت أخبار يزيد بن عبد الملك و حبابة في صدر هذا الكتاب فاستغني عن إعادتها هنا.

غناء الوليد بن يزيد:

و ممن غنّى منهم الوليد بن يزيد:

و له أصوات صنعها مشهورة، و قد كان يضرب بالعود و يوقع بالطبل و يمشي بالدّفّ على مذهب أهل الحجاز.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد عن الفطرانيّ عن محمد بن جبر قال حدّثني من سمع خالد/صامة يقول:

/كنت يوما عند الوليد بن يزيد و أنا أغنّيه:

أراني اللّه يا سلمى حياتي

و هو يشرب حتى سكر. ثم قال لي: هات العود، فدفعته إليه، فغنّاه أحسن غناء؛ فنفست عليه إحسانه، و دعوت بطبل فجعلت أوقع عليه و هو يضرب حتى دفع العود و أخذ الطّبل فجعل يوقع به أحسن إيقاع، ثم دعا بدفّ فأخذه و مشى به و جعل يغنّي أهزاج طويس حتى قلت قد عاش، ثم جلس و قد انبهر. فقلت: يا سيّدي، كنت أرى أنك تأخذ عنّا و نحن الآن نحتاج إلى الأخذ عنك! فقال: أسكت ويلك! فو اللّه أن سمع هذا منك أحد ما دمت حيّا لأقتلنّك. فو اللّه ما حكيته عنه حتى قتل.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرنا أبو أيّوب المديني قال ذكر أبو الحسن المدائني أن يحيى مولى العبلات المعروف بفيل و هو الذي غنّى:

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا

كان مقيما بمكة. فلمّا قدمها الوليد بن يزيد سأل عن أحسن الناس غناء و حكاية لابن سريج؛ فقيل له: فيل.

فدعاه و قال له: امش لي بالدّفّ، ففعل. ثم قال له الوليد: هاته حتى أمشي به، فإن أخطأت فقوّمني. فمشى به أحسن من مشية فيل. فقال له يحيى: جعلت فداءك! ائذن لي حتى أختلف إليك لأتعلّم منك.

فمن مشهور صنعته في شعره:

و صفراء في الكأس كالزعفران *** سباها التّجيبيّ من عسقلان

تريك القذاة و عرض الإناء *** ستر لها دون لمس البنان

لحنه فيه خفيف رمل. و فيه لأبي كامل ثاني ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق و يونس. و لعمر الواديّ فيه ثقيل أوّل بالوسطى عن يونس و الهشاميّ. و قد مضت أخباره مشروحة في المائة الصوت المختارة.

غناء الواثق:

و من دوّنت صنعته من خلفاء بني العبّاس الواثق باللّه.

و لم نعلمه حكي ذلك عن أحد منهم قبله إلاّ ما قدّمنا سوء العهدة فيه عن ابن خرداذبه؛ فإنه حكى أن للسّفّاح و المنصور و سائرهم غناء و أتى فيها بأشياء غثّة لا يحسن لمحصّل ذكرها.

غنى الواثق في شعر لأبي العتاهية بحضرة إسحاق و وصله:

و أخبرني يحيى بن محمد الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخلت يوما دار الواثق بغير إذن إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالسا. فسمعت صوت عود من بيت و ترنّما لم أسمع أحسن منه قطّ، فأطلع خادم رأسه ثم ردّه و صاح بي فدخلت فإذا الواثق. فقال: أيّ شيء سمعت؟ فقلت:

الطّلاق لازم لي و كلّ مملوك لي حرّ لقد سمعت ما لم أسمع مثله قطّ حسنا! فضحك فقال: و ما هو! إنما هذه فضلة أدب و علم مدحه

الأوائل و اشـتهاه أصـحاب رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم و سلم و رحمهم و التابعون بعدهم و كثر في حرم اللّه و مهاجر رسول اللّه. أ تحبّ أن تسـمعه منّي؟ قلت: إي و الذي شرّفني بخطابك و جميل رأيك. فقال: يا غلام، هات العود و أعط إسحاق رطلا. فدفع الرّطل إليّ و ضرب و غنّى في شعر لأبي العتاهية بلحن صنعه فيه:

أضحت قبورهم من بعد عزّهم *** تسفي عليها الصّبا و الحرجف الشّمل

ص: 189

/

لا يدفعون هواما عن وجوههم *** كأنهم خشب بالقاع منجدل

فشربت الرّطل ثم قمت فدعوت له؛ فأجلسني و قال: أ تشتهي أن تسمعه ثانية؟ فقلت: إي و اللّه، فغنّانيه و دعا لي برطل، ففعلت كما فعلت ثانية ثم ثالثة. و صاح ببعض خدمه و قال له: احمل إلى إسحاق ثلاثمائة ألف درهم. ثم قال: يا إسحاق، /قد سمعت ثلاثة أصوات و شربت ثلاثة أرطال و أخذت ثلاثمائة ألف درهم، فانصرف إلى أهلك ليسرّوا بسرورك؛ فانصرفت بالدراهم.

صنع مائة صوت ليس فيها صوت ساقط:

أخبرني محمد قال سمعت أحمد بن محمد بن الفرات يقول سمعت عريب تقول: صنع الواثق مائة صوت ما فيها صوت ساقط. و لقد صنع في هذا الشعر:

هل تعلمين وراء الحبّ منزلة *** تدني إليك فإنّ الحبّ أقصاني

هذا كتاب فتى طالت بليّته *** يقول يا مشتكى بثّي و أحزاني

لحنا من الرّمل تشبّه فيه بصنعة الأوائل.

نسبة هذا الصوت

الشعر ليعقوب بن إسحاق الرّبعيّ المخزوميّ. و الغناء للواثق رمل بالوسطى من رواية الهشاميّ.

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ و الحرميّ بن أبي العلاء و عليّ بن سليمان الأخفش قالوا حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال قال الزّبير بن بكّار:

كتب ابن أبي مسرّة المكّيّ إلى أهل المدينة بيتين و هما:

هذا كتاب فتى طالت بليّته *** يقول يا مشتكى بثّي و أحزاني

هل تعلمين وراء الحبّ منزلة *** تدني إليك فإنّ الحبّ أقصاني

قال الزّبير: و كنت غائبا، فلما قدمت قال لي أهل المدينة ذلك. فقلت لهم: أ يكتب إليكم صاحبكم يعاتبكم فلا تجيبونه!.

شعر يعقوب بن إسحاق الربعي:

أنشدني يعقوب بن إسحاق الرّبعيّ المخزوميّ لنفسه:

قال الوشاة لهند عن تصارمنا *** و لست أنسى هوى هند و تنساني

يعقوب ليس بمتبول و لا كلف *** ويح الوشاة فإنّ الداء أضناني

/ما بي سوى الحبّ من هند و إن بخلت *** حبّي لهند برى جسمي و أبلاني

قد قلت حين بدا لي بخل سيّدتي *** و قد تتابع بي بثّي و أحزاني

هل تعلمين وراء الحبّ منزلة *** تدني إليك فإنّ الحبّ أقصاني

قالت نعم قلت ما ذاكم أ سيّدتي *** و طاعة الحبّ تنفي كلّ عصيان

ص: 190

قالت فدعنا بلا صرم و لا صلة *** و لا صدود و لا في حال هجران

حتى يشكّ وشاة قد رموك بنا *** و أعلنوا بك فينا أيّ إعلان

و من غناء الواثق باللّه:

صوت

<غناؤه في شعر لذي الرمة:>

خليليّ عوجا من صدور الرّواحل *** بجرعاء حزوى و ابكيا في المنازل

/لعلّ انحدار الدمع يعقب راحة *** من الوجد أو يشفي نجيّ البلابل

الشعر لذي الرّمة. و الغناء للواثق باللّه رمل مطلق في مجرى الوسطى عن الهشاميّ. و لإسحاق فيهما رمل بالسبّابة في مجرى البنصر. و لحن الواثق منهما الذي أوّله البيت الثاني و هو اللحن المحثوث المسجح و له ردّة في «لعل». و لحن إسحاق أوّله البيت الأوّل ثم الثاني و هو أشدّهما إمساكا و فيه صياح.

غنى إسحاق الموصلي بحضرته صوتا أخذته عنه شاجى فأجازه:

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثنا محمد بن عبد اللّه بن مالك الخزاعيّ قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ:

أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ و قد كان تكلّم له في حاجة فقضيت. فقال له: أعطاك اللّه أيها الأمير ما لم تحط به أمنيّة و لم تبلغه رغبة. قال: فاشتهي هذا الكلام فاستعاده فأعدته. قال: ثم مكثنا ما شاء اللّه؛ و أرسل الواثق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإشخاصي إليه في الصوت الذي أمرني أن أتغنّى فيه و هو:

لقد بخلت حتى لو انّي سألتها

/فأمر لي بمائة ألف درهم. فأقمت ما شاء اللّه ليس أحد من مغنّيهم يقدر على أن يأخذ هذا الصوت منّي. فلما طال مقامي قلت: يا أمير المؤمنين، ليس أحد من هؤلاء المغنّين يقدر على أن يأخذ هذا الغناء منّي. فقال لي: و لم ويحك؟ قلت: لأني لا أصحّحه و لا تسخو نفسي لهم به. فلما فعلت يا أمير المؤمنين في الجارية التي أخذتها منّي؟ (يعني شجا، و هي التي كان أهداها إلى الواثق و عمل لها المصنّف الذي في أيدي الناس لإسحاق). قال: و كيف؟ فقلت: لأنها تأخذه منّي و أطيب به لها نفسا، و هم يأخذونه منها. قال: فأمر بها فأخرجت و أخذته على المكان.

فأمر لي بمائة ألف درهم أخرى، و أذن لي في الانصراف. و كان إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ حاضرا عنده، فقلت له عند وداعي إيّاه: أعطاك اللّه يا أمير المؤمنين ما لم تحط به أمنيّة و لم تبلغه رغبة. فالتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي: ويحك يا إسحاق! تعيد الدعاء! فقلت: إي و اللّه أعيده قاصّ أنا أو مغنّ. فانصرفت إلى بغداد و أقمت، حتى قدم إسحاق فجئته مسلّما. فقال: ويلك يا إسحاق! أ تدري ما قال أمير

المؤمنين بعد خروجك من عنده؟ قلت:

لا، أيها الأمير. قال: قال لي: ويحك! كنّا أغنى الناس عن أن نبعث إسحاق على لحننا فيفسده علينا. هذه رواية أبي أيّوب.

ص: 191

تقدير إسحاق لغناء الواثق:

اشارة

قال أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى و أخبرني أبي رحمه اللّه عن إسحاق أنه قال: لمّا صنعت لحني في:

خليليّ عوجا من صدور الرواحل

غنّيته الواثق فاستحسنه و عجب من صحّة قسمته، و مكث صوته أيّاما ثم قال لي: يا إسحاق، قد صنعت لحنا في صوتك و في إيقاعه، و أمر فغنّيت به؛ فقلت: /يا أمير المؤمنين، بغّضت إليّ لحني و سمّجته عندي. و قد كنت استأذنته مرّات في الانحدار إلى بغداد بعد أن ألقيت اللحن الذي كان أمرني بصنعه في:

لقد بخلت حتى لو اني سألتها فمنعني و دافعني بذلك. فلما صنع لحنه الرّمل في:

خليليّ عوجا من صدور الرّواحل

قلت له: يا أمير المؤمنين، قد و اللّه اقتصصت و زدت؛ فأذن لي بعد ذلك. قال أبو الحسن عليّ بن يحيى قلت لإسحاق: فأيّهما أجود الآن لحنك/فيه أو لحنه؟ فقال: لحني أجود قسمة و أكثر عملا، و لحنه أظرف، لأنه جعل ردّته من نفس قسمته، فليس يقدر على أدائه إلا متمكّن من نفسه. قال أبو الحسن: فتأمّلت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق. قال و قال لي إسحاق: ما كان يحضر مجلس الواثق أعلم منه بالغناء.

فأمّا نسبة هذين الصوتين، فإن أحدهما قد مضى و مضت نسبته. و الآخر:

صوت

أيا منشر الموتى أقدني من التي *** بها نهلت نفسي سقاما و علّت

لقد بخلت حتى لو انّي سألتها *** قذى العين من ضاحي التّراب لضنّت

الشعر لأعرابيّ رواه إسحاق عنه و لم يذكر اسمه، و الناس يغلطون فينسبونه إلى كثيّر و يظنّونه من قصيدته التي أوّلها:

خليليّ هذا رسم عزّة فاعقلا *** قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلّت

و هذا خطأ ممن قال ذلك. و الغناء للواثق ثاني ثقيل بالوسطى. و لإسحاق في البيت الثاني و بعده بيت ألحقه به ليس من الشعر ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى. و البيت الذي ألحقه إسحاق به من شعره:

/

فإن بخلت فالبخل منها سجية *** و إن بذلت أعطت قليلا و أكدت

كان يعرض غناءه على إسحاق فيدلي فيه برأيه:

أخبرني عمّي رحمه اللّه قال حدّثني أبو جعفر بن الدّهقانة النّديم قال:

كان الواثق إذا أراد أن يعرض صنعته على إسحاق نسبها إلى غيره و قال: وقع إلينا صوت قديم من بعض العجائز ما سمعه أحد، و يأمر من يغنّيه إيّاه. و كان إسحاق يأخذ نفسه في ذلك بقول الحق أشدّ أخذ، فإن كان جيّدا من صناعته قرّظه و وصفه و استحسنه، و إن كان مطّرحا أو فاسدا أو متوسّطا ذكر ما فيه. فربّما كان للواثق فيه هوًى فيسأله عن تقويمه و إصلاح فساده، و ربما اطّرحه بقول إسحاق فيه؛ إلى أن صنع لحنا في قول الشاعر:

لقد بخلت حتى لو انّي سألتها *** قذى العين من ضاحي التراب لضنّت

كان عنده مخارق لإسحاق فجفاه و أصلحت بينهما فريدة:

فأعجب به و استحسنه، و أمر المغنّين فغنّوا فيه، و أمر بإشخاص إسحاق إليه من بغداد ليسمعه.

فكاده مخارق عنده و قال: يا أمير المؤمنين، إن إسحاق شيطان خبيث داهية، و إن قولك له فيما تصنعه: هذا صوت وقع إلينا، لا يخفى عليه به أنّ الصوت لك و من صنعتك و لا يوقع في فهمه أنه قديم، فيقول لك و بحضرتك ما يقارب هواك، فإذا خرج عن حضرتك قال لنا ضدّ ذلك. فأحفظ الواثق قوله و غاظه، و قال له: أريد على هذا القول منك دليلا. قال: أنا أقيم عليه الدليل إذا حضر. فلما قدم به و جلس في أوّل مجلس اندفع مخارق يغنّي لحن الواثق:

لقد بخلت حتّى لو انّي سألتها

فزاد فيه زوائد أفسدت قسمته فسادا شديدا و خفيت على الواثق لكثرة زوائد مخارق في غنائه. فسأله الواثق عنه؛ فقال: هذا غناء/فاسد غير مرضيّ عندي. فغضب الواثق و أمر بإسحاق فسحب حتى أخرج من المجلس. فلما كان من الغد/قالت فريدة للواثق: يا أمير المؤمنين، إن إسحاق رجل يأخذ نفسه بقول الحق في صناعته على كل حال ساءته أو سرّته، لا يخاف في ذلك ضررا و لا يرجو نفعا؛ و ما لك منه عوض. و قد كاده مخارق عندك فزاد في صدر الصوت من زوائده التي تعرف، و تركه في المصراع الثاني على حاله، و نقص من البيت الثاني، و قد تبيّنت ذلك.

و أنا أعرضه على إسحاق و أغنيه إيّاه على صحّته، و اسمع ما يقول. و ما زالت تلطف للواثق حتى رضي عنه و أمر بإحضاره. فغنّته إيّاه فريدة كما صنعه الواثق. فلمّا سمعه قال: هذا صوت صحيح الصّنعة و القسمة و التجزئة، و ما هكذا سمعته في المرة الأولى. ثم أخبر الواثق عن مواضع فساده حينئذ، و أبان ذلك له بما فهمه. و غنّته فريدة عدّة أصوات من القديم و الحديث كلّها يقول فيها بما عنده من مدح لبعضها و طعن على بعض. فاستحسن الواثق ذلك و أجازه يومئذ و حباه، و جفا مخارقا مدّة لما فعله به.

أخبرني جحظة قال حدّثني ابن المكّيّ عن أبيه قال:

كان الواثق إذا صنع شيئا من الغناء أخبر إسحاق به و عرضه عليه حتى يصلح ما فيه ثم يظهره.

و قد أخبرني الحسن بن عليّ عن يزيد بن محمد المهلّبيّ بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكرته هاهنا و في ألفاظه اختلاف. و قد تقدّم ذكره(1) و ابتدأناه في أخبار إسحاق. و الأبيات الثانية التي غنّى فيها الواثق و إسحاق أنشدنيها عليّ بن سليمان الأخفش و عليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى جميعا عن هارون بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق لأعرابيّ، و أنشدناها محمد بن العبّاس اليزيديّ قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لبعض الأعراب:

/

ألا قاتل اللّه الحمامة غدوة *** على الغصن ما ذا هيّجت حين غنّت

فغنّت بصوت أعجميّ فهيّجت *** هواي الذي كانت ضلوعي أكنّت

فلو قطرت عين امرئ من صبابة *** دما قطرت عيني دما و ألمّت

فما سكتت حتى أويت لصوتها *** و قلت أرى هذي الحمامة جنّت

ص: 193

1- راجع ج 5 ص 360-361 من هذه الطبعة.

و لي زفرات لو يدمن قتلنني *** بشوق إلى نادي التي قد تولّت

إذا قلت هذي زفرة اليوم قد مضت *** فمن لي بأخرى في غد قد أظلّت

أيا منشر الموتى أعنّي على التي *** بها نهلت نفسي سقاما و علّت

لقد بخلت حتى لو انّي سألتها *** قذى العين من سافي(1) التراب لضنّت

فقلت ارحلا يا صاحبيّ فليتني *** أرى كلّ نفس أعطيت ما تمنّت

حلفت لها باللّه ما أمّ واحد *** إذا ذكرته آخر الليل أنّت

و ما وجد أعرابيّة قذفت بها *** صروف النّوى من حيث لم تك ظنّت

إذا ذكرت ماء العضاه و طيبه *** و بطن الحصى من بطن خبت أرنّت

بأعظم من وجدي بها غير أنني *** أجمجم أحشائي على ما أجنّت

غناه إسحاق فوصله و شعره فيه:

أخبرني جحظة و ابن أبي الأزهر و يحيى بن عليّ و الحسين بن يحيى قالوا جميعا أخبرنا/حمّاد بن إسحاق عن أبيه، و قد جمعت روايتهم في هذا الخبر و زدت فيه ما نقصه كل واحد منهم حتى كملت ألفاظه، قال:

ما وصلني أحد من الخلفاء بمثل ما وصلني به الواثق؛ و ما كان أحد منهم يكرمني إكرامه. و لقد غنّيته لحني:

لعلّك إن طالت حياتك أن ترى *** بلادا بها مبدى لليلى و محضر

فاستعاده منّي ليلة(2) لا يشرب على غيره، ثم وصلني بثلاثمائة ألف درهم. و لقد قدمت عليه في بعض قدماتي، فقال لي: ويحك يا إسحاق! أ ما اشتقت إليّ! فقلت: بلى و اللّه يا سيّدي! و قلت في ذلك أبياتا إن أمرتني أنشدتها.

قال: هات؛ فأنشدته:

أشكو إلى اللّه بعدي عن خليفته *** و ما أقاسيه من همّ و من كبر

لا أستطيع رحيلا إن هممت به *** يوما إليه و لا أقوى على السفر

أنوي الرحيل إليه ثم يمنعني *** ما أحدث الدهر و الأيّام في بصري

ثم استأذنته في إنشاد قصيدة مدحته بها فأذن لي؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها:

لمّا أمرت بإشخاصي إليك هوى *** قلبي حنينا إلى أهلي و أولادي

ثم اعتزمت فلم أحفل ببينهم *** و طابت النفس عن فضل و حمّاد

كم نعمة لأبيك الخير أفردني *** بها و خصّ بأخرى بعد إفرادي

فلو شكرت أياديكم و أنعمكم *** لما أحاط بها وصفي و تعدادي

لأشكرنّك ما غار النجوم و ما *** حدا على الصّبح في إثر الدّجى حاد

1- و يروى: «ضاحي التراب» (راجع ص 280 ص 15).

2- في ح: «جمعة».

قال عليّ بن يحيى خاصّة في خبره: فقال لي أحمد بن إبراهيم: يا أبا الحسن، أخبرني لو قال الخليفة لإسحاق:

أحضر لي فضلا و حمّادا أ ليس كان يفتضح إسحاق! (يعني من دمامة خلقتهما و تخلّف شاهدهما).

خرج معه إسحاق إلى النجف، و شعره فيها و في حنينه إلى ولده:

قال إسحاق: ثم انحدرت مع الواثق إلى النّجف، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد قلت في النّجف قصيدة.

فقال: هاتها؛ فأنشدته قولي:

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف *** نحيّ دارا لسعدى ثم ننصرف

/لم ينزل الناس في سهل و لا جبل *** أصفى هواء و لا أغذى من النّجف

حفّت ببرّ و بحر في جوانبها *** فالبرّ في طرف و البحر في طرف

ما إن يزال نسيم من يمانية *** يأتيك منها بريّا روضة أنف

حتى انتهيت إلى مديحه فقلت و قد انتهيت إلى قولي فيه:

لا يحسب الجود يفني ماله أبدا *** و لا يرى بذل ما يحوي من السّرف

فقال لي: أحسنت يا أبا محمد! فكنّاني، و أمر لي بألف درهم. و انحدرنا إلى الصالحيّة التي يقول فيها أبو نواس:

فالصالحيّة من أكناف كلواذا(1)

و ذكرت الصبيان و بغداد فقلت:

أ تبكي على بغداد و هي قريبة *** فكيف إذا ما ازددت منها غدا بعدا

لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى *** لو انّا وجدنا من فراق لها بدّا

/إذا ذكرت بغداد نفسي تقطّعت *** من الشوق أو كادت تموت بها وجدا

كفى حزنا أن رحت لم تستطع لها *** وداعا و لم تحدث لساكنها عهدا

فقال لي: يا موصليّ، لقد اشتقت إلى بغداد! فقلت: لا و اللّه يا أمير المؤمنين، و لكني اشتقت إلى الصبيان، و قد حضرني بيتان. فقال هاتهما. فقلت:

حننت إلى الأصيبية الصّغار *** و شاقك منهم قرب المزار

و كلّ مفارق يزداد شوقا *** إذا دنت الدّيار من الديار

فقال لي: يا إسحاق، سر إلى بغداد فأقم شهرا مع صبيانك ثم عد إلينا، و قد أمرت لك بمائة ألف درهم.

امتياز إسحاق على المغنين في مجلسه:

أخبرني جحظة عن ابن حمدون: أن إسحاق كان يحضر مجالس الخلفاء إذا جلسوا للشّرب في جملة المغنّين و عوده معه إلى أيام الواثق، فإنه كان إذا قدم عليه يحضر مع الجلساء بغير عود، و يدنيه الواثق و لا يغنّي حتى يقول له: غنّ، فإذا قال له غنّ جاءوه بعود فغنّى به، و إذا فرغ رفع العود من بين يديه إكراما من الواثق له.

1- راجع الحاشية رقم 1 ص 357 ج 5 من هذه الطبعة.

برّز إسحاق عليه في لحن اشتركا فيه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن وسواسة بن الموصليّ عن حمّاد بن إسحاق قال:

كتب حمدون بن إسماعيل إلى أبي: إن أمير المؤمنين الواثق يأمرك أن تصنع لحنا في هذا الشعر:

لقد بخلت حتى لو انّي سألتها

و قد كان الواثق غنّى فيه غناء أعجبه؛ فغنّى فيه أبي. فلما سمعه الواثق قال: أفسد علينا إسحاق ما كنّا أعجبنا به من غنائنا. قال حمّاد: ثم لم أعلم أن أبي صنع بعده غناء حتى مات.

و من مشهور أغاني الواثق:

صوت

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله *** غزالان مكحولان مؤتلفان

أرغتهما ختلا فلم أستطعهما *** و رميا ففاتاني و قد رمياني(1)

و لحنه فيه من الثقيل الأوّل. و لإسحاق فيه رمل.

قصة لأعرابي عاشق مع إسحاق بن سليمان بن علي:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن منصور بن عليّة القرشيّ قال أخبرني جعفر بن عبيد اللّه بن جعفر الهاشميّ عن إسحاق بن سليمان بن عليّ قال:

/لقيت أعرابيّا بالسّميّة(2) فصيحا، فاستخففته و تأمّلته فإذا هو مصفرّ شاحب ناحل الجسم، فاستنشدته فأنشدني الشيء بعد الشيء على استكراه منّي له. فقلت له: ما بالك؟ فو اللّه إنك لفصيح! فقال: أما ترى الجبلين؟ قلت بلى. قال: في ظلالهما و اللّه يمنعني من إنشادك و يشغلني و يذهلني عن الناس. قلت: و ما ذاك؟ قال: بنت عمّ لي قد تيّمتني و ذهبت بعقلي، و اللّه إنه لتأتي عليّ ساعات ما أدري أ في السماء أنا أم في الأرض، و لا أزال ثابت العقل ما لم يخامر ذكرها قلبي، فإذا خامره بطلت حواسّي و عزب عنّي لبّي. قلت: فما يمنعك منها؟ أ قلّة ما في يدك؟ قال: و اللّه ما يمنعني منها غير ذلك. قلت: و كم مهرها؟ قال: مائة ناقة. قلت: فأنا أدفعها إليك إذا لتدفعها إليهم. قال: و اللّه لئن فعلت ذلك إنك لأعظم الناس عليّ منّة. فوعدته بذلك و استنشدته ما قال فيها، فأنشدني أشياء كثيرة منها قوله:

/

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله *** غزالان مكحولان مؤتلفان

البيتان. فقلت له: يا أعرابيّ، و اللّه لقد قتلتني بقولك «ففاتاني و قد قتلاني» و أنا بريء من العبّاس أن لم أقم بأمرك.

ثم دعوت بمركوب فركبته و حملت معي الأـعرابيّ، فصـرنا إلى أبي الجاريـة في جماعـة من أهلي و مواليّ حتى زوّجته إيّاها و ضـمنت عنه الصّداق و اشتريت له مائة ناقة فسقتها عنه؛ و أقمت عندهم ثلاثا و نحرت لهم ثلاثين جزورا، و وهبت للأعرابيّ عشرة آلاف درهم و للجارية مثلها، و قلت: استعينا بهذا على اتّصالكما و انصرفت. فكان الأعرابيّ يطرقنا في كلّ سنة و امرأته معه فأهب له و أصله و ينصرف.

1- و يروى: «و قد قتلاني» (انظر الصفحة الآتية).

2- السمية: جبل، كما في «معجم البلدان» لياقوت.

غناؤه في شعر حسان:

اشارة

و من أغانيه – أخبرني به ذكاء وجه الرّزّة عن أحمد بن العلاء عن مخارق و أنه أخذه عنه –:

صوت

إنّ التي عاطيتها فرددتها *** قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني *** بزجاجة أرخاهما للمفصل

يروي: «كلتاهما جلب العصير» و «حلب العصير». و يروي: «للمفصل» و «للمفصل». و المفصل: الواحد من المفاصل، و المفصل هو اللسان. ذكر ذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن الحسن الأحول عن ابن الأعرابيّ.

الشعر لحسّان بن ثابت. و الغناء للواثق خفيف رمل بالبنصر. و فيه لإبراهيم الموصليّ رمل مطلق في مجرى الوسطى. و هذه الأبيات من قصيدة حسّان المشهورة التي يمدح بها بني جفنة، و أوّلها:

أ سألت رسم الدار أم لم تسأل

و هي من فاخر المديح، منها قوله:

أولاد جفنة عند قبر أبيهم *** قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريص(1) عليهم *** بردى يصفّق بالرّحيق السّلسل

بيض الوجوه كريمة أنسابهم *** شمّ الأنوف من الطّراز الأوّل

يغشون حتى ما تهرّ كلابهم *** لا يسألون عن السّواد المقبل

تفسير القاضي عبيد اللّه بن الحسن لهذا الشعر:

نسخت من كتاب الشّاهينيّ: حدّثني ابن عليل العنزيّ قال حدّثني أحمد بن عبد الملك بن أبي السّمّال السّعديّ قال حدّثني أبو ظبيان الحمّانيّ قال:

/اجتمعت جماعة من الحيّ على شراب لهم، فتغنّى رجل منهم بشعر حسّان:

إنّ التي عاطيتني فرددتها *** قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني *** بزجاجة أرخاهما للمفصل

فقال رجل من القوم: ما معنى قوله «إن التي عاطيتني» فجعلها واحدة، ثم قال: «كلتاهما حلب العصير» فجعلهما ثنتين؟ فلم يعلم أحد منّا الجواب. فقال رجل من القوم: امرأته طالق ثلاثا إن بات أو يسأل القاضي عبيد اللّه بن الحسن عن تفسير هذا الشعر. قال أبو ظبيان: فحدّثني بعض أصحابنا السعديّين قال: فأتيناه نتخطّى إليه الأحياء حتى أتيناه و هو في/مسجده يصلّي بين العشاءين. فلما سمع حسّ نا أوجز في صلاته، ثم أقبل علينا و قال: ما حاجتكم؟ فبدأ رجل منّا كان أحسننا بقيّة(2) فقال: نحن، أعزّ اللّه القاضي، قوم نزعنا إليك من طرف البصرة في

1- البريص: اسم غوطة دمشق. و بردى: نهر دمشق.

2- أي أحسننا رأيا و فضلا. و إنما سمي ذلك بقية، لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده و أفضله.

حاجة مهمّة فيها بعض الشيء. فإن أذنت لنا قلنا. قال: قولوا. فذكر يمين الرجل و الشعر. فقال: أمّا قوله «إن التي ناولتني(1)» هي الخمرة. و قوله: «قتلت» يعني مزجت بالماء. و قوله: «كلتاهما حلب العصير» يعني به الخمر و مزاجها، فالخمر عصير العنب، و الماء عصير السّحاب؛ قال اللّه عزّ و جلّ: وَ أَنْزَلْنٰا مِنَ الْمُعْصِرٰاتِ مٰاءً ثَجّٰاجاً انصرفوا إذا شئتم.

غناؤه لحنا على مثال لحن لمخارق:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ عن أبيه قال:

غنّى مخارق يوما بحضرة الواثق:

حتى إذا الليل خبا ضوأه *** و غابت الجوزاء و المرزم(2)

/خرجت و الوطء خفيّ كما *** ينساب من مكمنه الأرقم

فاستملح الواثق الشعر و اللحن، فصنع في نحوه:

قالت إذا الليل دجا فأتنا *** فجئتها حين دجا الليل

خفيّ وطء الرّجل من حارس *** و لو درى حلّ بي الويل

و لحنه فيه من الرّمل. و صنع فيه الناس ألحانا بعده: منها لعريب خفيف رمل، و منها ثقيل أوّل لا أعلم لمن هو؛ و سمعت ذكاء و محمد بن إبراهيم قريضا يغنّيانه و ذكرا أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العلاء، و لا أدري لمن هو.

تحدّث إسحاق إليه بقصة أعرابي عاشق و غنى في شعره فوصله و وصل الأعرابي:

حدّثني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال:

سرت إلى سرّ من رأى بعد قدومي من الحجّ، فدخلت إلى الواثق فقال: بأي شيء أطرفتني من أحاديث الأعراب و أشعارهم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين جلس إليّ فتى من الأعراب في بعض المنازل، فحادثني فرأيت منه أحلى ما رأيت من الفتيان منظرا و حديثا و أدبا. فاستنشدته فأنشدني:

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله *** غزالان مكحولان مؤتلفان

إذا أمنا التقّا بجيدي تواصل *** و طرفاهما للرّيب مسترقان(3)

أرغتهما ختلا فلم أستطعهما *** و رميا ففاتاني و قد قتلاني

ثم تنفّس تنفّسا ظننت أنه قد قطع حيازيمه. فقلت: مالك بأبي أنت؟ فقال: إن لي وراء هذين الجبلين شجنا، و قد حيل بيني و بين المرور به و نذروا دمي، و أنا أتمتّع بالنظر إلى الجبلين تعلّلا بهما إذا قدم الحاجّ، ثم يحال بيني و بين ذلك. فقلت له: زدني مما قلت في ذلك. فأنشدني:

/

إذا ما وردت الماء في بعض أهله *** حضور فعرّض بي كأنّك مازح

ص: 198

1- الرواية المتقدمة في البيت: «... عاطيتني».

2- الجوزاء: برج في السماء، سميت بذلك لأنها معترضة في جوز السماء أي وسطها. و المرزمان: نجمان مع الشعريين.

3- الاستراق: اختلاس النظر و السمع، و مثله التسرق و المسارقة.

فإن سألت عنّي حضور فقل لها *** به غبّر(1) من دائه و هو صالح

فأمرني الواثق فكتبت له الشعرين. فلمّا كان بعد أيّام دعاني فقال: قد صنع بعض عجائز دارنا الشعرين لحنا فاسمعه، فإن ارتضيته أظهرناه و إن رأيت فيه موضع إصلاح أصلحته. فغنّي لنا من وراء الستار، فكان في نهاية الجودة، و كذلك كان يفعل إذا صنع شيئا. فقلت له: أحسن و اللّه صانعه يا أمير المؤمنين ما شاء!. فقال: بحياتي؟ فقلت: و حياتك، /و حلفت له بما وثق به، و أمر لي برطل فشربته، ثم أخذ العود فغنّاه ثلاث مرات، و سقاني ثلاثة أرطال و أمر لي بثلاثين ألف درهم. فلما كان بعد أيّام دعاني فقال: قد صنع أيضا عندنا في الشعر الآخر، و أمر فغنّي به؛ فكانت حالي فيه مثل الحال في الأوّل. فلما استحسنته و حلفت له على جودته ثلاث مرات، سقاني ثلاثة أرطال و أمر لي بثلاثين ألف درهم. ثم قال لي: هل قضيت حقّ هديّتك؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين؛ فأطال اللّه بقاءك، و تمّم نعمتك، و لا أفقدنيها منك و بك. ثم قال: لكنك لم تقض حقّ جليسك الأعرابيّ و لا سألتني معونته على أمره، و قد سبقت مسألتك و كتبت بخبره إلى صاحب الحجاز و أمرته بإحضاره، و خطبت المرأة له و حمل صداقها إلى قومها عنه من مالي. فقبّلت يديه و قلت: السّبق إلى المكارم لك، و أنت أولى بها من عبدك و من سائر الناس.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني:

اشارة

منها الصوتان اللذان في الأخبار المتقدّمة.

صوت

حتى إذا الليل خبا ضوأه *** و غابت الجوزاء و المرزم

أقبلت و الوطء خفيّ كما *** ينساب من مكمنه الأرقم

ذكر يحيى المكيّ أنّ اللحن لابن سريج رمل بالسبّابة في مجرى البنصر، و ذكر الهشاميّ أنه منحول.

طرب شيخ لسماع مغنية فرمى بنفسه في الفرات:

فأخبرني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار و إسماعيل بن يونس و غيرهما قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن ابن كناسة قال:

اصطحب شيخ مع شباب في سفينة في الفرات و معهم مغنّية. فلمّا صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ: معنا جارية لبعضنا و هي مغنّية، فأحببنا أن نسمع غناءها فهبناك، فإن أذنت لنا فعلنا. قال: أنا أصعد إلى طلل(2) السفينة، فاصنعوا أنتم ما شئتم. فصعد، و أخذت الجارية عودها فغنّت:

حتى إذا الصبح بدا ضوأه *** و غابت الجوزاء و المرزم

أقبلت و الوطء خفيّ كما *** ينساب من مكمنه الأرقم

1- غبر الشيء: بقيته.

2- في الأصول: «ظلال السفينة» بالظاء المعجمة. و التصويب عن كتب اللغة. و طلل السفينة: جلالها، و هو غطاء تغشى به كالسقف للبيت.

فطرب الشيخ و صاح ثم رمى بنفسه بثيابه في الفرات، و جعل يغوص في الفرات و يطفو و يقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فألقوا أنفسهم خلفه، فبعد لأي ما استخرجوه، و قالوا له: يا شيخ، ما حملك على ما صنعت؟ فقال: إليكم عنّي! فإنّي و اللّه أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون. و قال إسماعيل في خبره/فقلت له: ما أصابك؟ فقال: دبّ شيء من قدمي إلى رأسي كدبيب النمل و نزل في رأسي مثله، فلمّا وردا على قلبي لم أعقل ما عملت.

و أمّا ما في الخبر من الصّنعة في: «قالت إذا الليل دجا» فإنّ لحن الواثق هو المشهور، و ما وجدت في كتب «الأغاني» غيره، بل سمعت محمد بن إبراهيم المعروف بقريض و ذكاء وجه الرّزّة يغنّيان فيه لحنا من الثقيل الأوّل المذموم؛ فسألتهما عن صانعه فلم يعرفاه، و ذكرا جميعا أنّهما أخذاه/عن أحمد بن أبي العلاء.

علمه بالغناء و عدد أصواته و ذكر المشهور منها:

و أخبرني الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحاق عن حمّاد بن إسحاق قال:

كان الواثق أعلم الخلفاء بالغناء، و بلغت صنعته مائة صوت، و كان أحذق من غنّى بضرب العود. قال: ثم ذكرها فعدّ منها:

يفرح الناس بالسّماع و أبكي *** أنا حزنا إذا سمعت السّماعا

و لها في الفؤاد صدع مقيم *** مثل صدع الزّجاج أعيا الصّناعا

الشعر للعبّاس بن الأحنف. و الغناء للواثق خفيف ثقيل. و فيه لأبي دلف خفيف رمل.

و منها:

ألا أيّها النفس التي كادها الهوى *** أ فأنت إذا رمت السّلوّ غريمي

أفيقي فقد أفنيت صبري أو اصبري *** لما قد لقيته عليّ و دومي

الشعر و الغناء للواثق خفيف رمل.

و منها:

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله *** غزالان مكحولان مؤتلفان

أرغتهما ختلا فلم أستطعهما *** و رميا ففاتاني و قد قتلاني

/الغناء للواثق ثقيل أوّل. و فيه لإسحاق رمل و هو من غريب صنعته، يقال إنه صنعته بالرّقّة.

و منها:

كلّ يوم قطيعة و عتاب *** ينقضي دهرنا و نحن غضاب

ليت شعري أنا خصصت بهذا *** دون ذا الخلق أم كذا الأحباب

فاصبر النفس لا تكونن جزوعا *** إنما الحبّ حسرة و عذاب

فيه للواثق رمل، و لزرزور ثقيل أوّل، و لعريب هزج.

و منها:

و لم أر ليلى بعد موقف ساعة *** بخيف منى ترمي جمار المحصّب

ص: 200

و يبدي الحصى منها إذا قذفت به *** من البرد أطراف البنان المخضّب

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر *** مع الصبح في أعقاب نجم مغرّب

ألا إنما غادرت يا أمّ مالك *** صدى أينما تذهب به الريح يذهب

الصـنعة في هذا الشـعر ثقيل أوّل و هو لحن الواثق فيما أرى. و نسبه حبش، و هو قليل التحصيل، إلى ابن محرز في موضع، و إلى سليم في موضع آخر، و إلى معبد في موضع ثالث.

و منها:

أمست و شاتك قد دبّت عقاربها(1) *** و قد رموك بعين الغشّ و ابتدروا

تريك أعينهم ما في صدورهم *** إنّ الصدور يؤدّي غيبها النظر

الشعر للمجنون. و الغناء للواثق ثاني ثقيل. و فيه لمتيّم ثقيل أوّل. و قد نسب لحن كل واحد منهما إلى الآخر.

/و منها:

عجبت لسعي الدهر بيني و بينها *** فلمّا انقضى ما بيننا سكن الدهر

فيا هجر ليلى قد بلغت بي المدى *** و زدت على ما لم يكن بلغ الهجر

الغناء للواثق رمل. و فيه لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى، و لابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر، /و لعريب ثقيل أوّل آخر.

و منها:

كأنّ شخصي و شخصه حكيا *** نظام نسرينتين في غصن

فليت ليلي و ليله أبدا *** دام و دمنا به فلم نبن

الشعر أظنّه لعليّ بن هشام أو لمراد(2). و لحن الواثق فيه ثقيل أوّل. و فيه لعريب ثقيل أوّل آخر. و فيه لأبي عيسى بن الرشيد و لمتيّم لحنان لم يقع إليّ جنسهما.

و منها:

أهابك إجلالا و ما بك قدرة *** عليّ و لكن ملء عين حبيبها

و ما فارقتك النفس يا ليل أنها *** قلتك و لكن قلّ منك نصيبها

لحن الواثق فيه ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى. و فيه لغيره لحن.

و منها(3):

في فمي ماء و هل ين *** طق من في فيه ماء!

أنا مملوك لمملو *** ك عليه الرّقباء

1- لو كان: «عقاربهم» لا تحدث الضمائر.

2- مراد: شاعرة علي بن هشام و هي التي رثته لما قتله المأمون. (راجع ص 304 من الجزء السابع من هذه الطبعة).

3- في الأصول: «و منه».

كنت حرّا هاشميّا *** فاسترقّتني الإماء

و سباني من له كا *** ن على الكره السّباء

/أحمد اللّه على ما *** ساقه نحوي القضاء

ما بعينيّ دموع *** أنفد الدمع البكاء

الغناء للواثق رمل.

و منها(1):

أيّ عون على الهموم ثلاث *** مترعات(2) من بعدهنّ ثلاث

بعدها أربع تتمّة عشر *** لا بطاء لكنهنّ حثاث

فيه رمل ينسب إلى الواثق و إلى متيّم.

و منها(1):

أيا عبرة العينين قد ظمئ الحدّ *** فما لكما من أن تلمّا به بدّ

و يا مقلة قد صار يبغضها الكرى *** كأن لم يكن من قبل بينهما ودّ

لئن كان طول العهد أحدث سلوة *** فموعد بين العين و العبرة الوجد(3)

و ما أنا إلاّ كالذين تخرّموا *** على أنّ قلبي من قلوبهم فرد

الشعر و الغناء للواثق رمل. و فيه لأبي حشيشة هزج، ذكر ذلك الهشاميّ الملقّب بالمسك، و أخبرني جحظة أنه للمسدود. و أخبرني جحظة أن من صنعة أبي حشيشة في شعر الواثق خفيف رمل و هو:

سألته حويجة فأعرضا *** و علق القلب به و مرضا

فاستلّ منّي سيف عزم منتضى *** فكان ما كان و كابرنا القضا

قال: و في هذا الشعر أيضا بعينه للواثق رمل، و لقلم الصالحيّة فيه هزج. و قد غلط جحظة في هذا الشعر، و هو لسعيد بن حميد مشهور، و له فيه خبر قد ذكرناه في موضعه(4).

غاضبه خادم له فقال فيه شعرا غنى فيه:

أخبرني عمّي عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه(5) ابن حمدون عن أبيه حمدون بن إسماعيل قال:

كان الواثق يحبّ خادما له كان أهدي إليه من مصر، فغاضبه يوما و هجره، فسمع الخادم يحدّث/صباحا له

1- في الأصول: «و منه».

2- كذا في ج. و في سائر الأصول: «متبعات».

3- الوجد: اللقاء.

4- راجع الجزء السابع عشر من «الأغاني» ص 2-9 طبع بولاق.

5- كذا في الأصول. و المعروف أن ابن حمدون خال علي بن محمد بن نصر لا جدّه. (راجع «الاستدراك الأول» في الجزء الخامس ص 537 من هذه الطبعة).

بحديث أغضبه عليه، إلى أن قال له: و اللّه إنه ليجهد منذ أمس على أن أصالحه فما أفعل. فقال الواثق في ذلك:

يا ذا الذي بعذابي ظلّ مفتخرا *** هل أنت إلاّ مليك جار إذ قدرا

لو لا الهوى لتجازينا على قدر *** و إن أفق مرّة منه فسوف ترى

قال: و غنّى الواثق و علّويه فيه لحنين، ذكر الهشاميّ أن لحن الواثق خفيف ثقيل، و في أغاني علّويه: لحنه في هذا الشعر خفيف رمل.

غنى في شعر لعلي بن الجهم:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني بن أبي العيناء عن أبيه عن إبراهيم بن الحسن بن سهل قال:

كنّا وقوفا على رأس الواثق في أوّل مجالسه التي جلسها لمّا ولي الخلافة، فقال: من ينشدنا شعرا قصيرا مليحا؟ فحرصت على أن أعمل شيئا فلم يجئني، فأنشدته لعليّ بن الجهم:

لو تنصّلت إلينا *** لوهبنا لك ذنبك

ليتني أملك قلبي *** مثلما تملك قلبك

أيّها الواثق بالل *** ه لقد ناصحت ربّك

سيّدي ما أبغض العي *** ش إذا فارقت قربك

أصبحت حجّتك العلي *** ا و حزب اللّه حزبك

/فاستحسنها و قال: لمن هذه؟ فقلت: لعبدك عليّ بن الجهم. فقال: خذ ألف دينار لك و له؛ و صنع فيها لحنا كنّا نغنّي به بعد ذلك.

يوم له مع المغنين بسرّمن رأى:

أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عبّاد قال حدّثني أبي قال:

لما خرج المعتصم إلى عمّوريّة استخلف الواثق بسرّمن رأى، فكانت أموره كلّها كأمور أبيه. فوجّه إلى الجلساء و المغنّين أن يبكّروا إليه يوما حدّد لهم، و وجّه إلى إسحاق، فحضر الجميع. فقال لهم الواثق: إني عزمت على الصّبوح، و لست أجلس على سرير حتى أختلط بكم و نكون كالشيء الواحد، فاجلسوا معي حلقة، و ليكن كلّ جليس إلى جانبه مغنّ، فجلسوا كذلك. فقال الواثق: أنا أبدأ؛ فأخذ عودا فغنّى و شربوا و غنّى من بعده، حتى انتهى إلى إسحاق فأعطي العود فلم يأخذه. فقال: دعوه. ثم غنّوا دورا آخر. فلما بلغ الغناء إلى إسحاق لم يغنّ، و فعل هذا ثلاث مرّات. فوثب الواثق فجلس على سريره و أمر الناس فأدخلوا، فما قال لأحد منهم: اجلس. ثم قال: عليّ بإسحاق!. فلما رآه قال: يا خوزيّ يا كلب! أ تنزّل لك و أغنّي و ترتفع عنّي! أ ترى لو أنّي قتلتك كان المعتصم يقيدني بك! ابطحوه! فبطح فضرب ثلاثين مقرعة ضربا خفيفا، و حلف ألاّ يغنّي سائر يومه سواه. فاعتذر و تكلّمت الجماعة فيه، فأخذ العود و ما زال يغنّي حتى انقضى ذلك اليوم، و عاد الواثق إلى مجلسه.

شعره في خادم يهواه:

وجدت في بعض الكتب عن ابن المعتزّ قال: كان الواثق يهوى خادما له فقال فيه:

ص: 203

سأمنع قلبي من مودّة غادر *** تعبّدني خبثا بمكر مكاشر

خطبت إليه الوصل خطبة راغب *** فلاحظني زهوا بطرف مهاجر

قال أبو العبّاس عبد اللّه بن المعتزّ: و للواثق في هذا الشعر لحن من الثقيل الأوّل.

ألقى على غلمانه صوتا فأخذوه عنه:

/أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال حدّثني عبد أمّ غلام الواثق قال:

دعا بنا الواثق مع صلاة الغداة و هو يستاك فقال: خذوا هذا الصوت، و نحن عشرون غلاما كلّنا يغنّي و يضرب، ثم ألقى علينا:

أشكو إلى اللّه ما ألقى من الكمد *** حسبي بربّي فلا أشكو إلى أحد

فما زال يردّده حتى أخذناه عنه.

نسبة هذا الصوت

أشكو إلى اللّه ما ألقى من الكمد *** حسبي بربّي فلا أشكو إلى أحد

أين الزمان الذي قد كنت ناعمة *** مهلّة بدنوّي منك يا سندي

و أسأل اللّه يوما منك يفرحني *** فقد كحلت جفون العين بالسّهد

شوقا إليك و ما تدرين ما لقيت *** نفسي عليك و ما بالقلب من كمد

الغناء للواثق ثقيل أوّل بالبنصر. و فيه لعريب أيضا ثقيل أوّل بالوسطى.

كان إسحاق يصحح له غناءه:

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني محمد بن أحمد المكّيّ قال حدّثني أبي قال:

كان الواثق يعرض صنعته على إسحاق، فيصلح الشيء بعد الشيء ممّا يخفى على الواثق؛ فإذا صحّحه أخرجه إلينا و سمعناه.

أمر مخارقا و علويه و عريب أن يعارضوا لحنا له:

حدّثنا جحظة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال حدّثني مخارق قال:

لمّا صنع الواثق لحنه في:

حوراء ممكورة(1) منعّمة *** كأنما شفّ وجهها نزف

/و صـنع لحنه في «سأذكر سـربا طال ما كنت فيهم» أمرني و علّويه و عريب أن نعارض صـنعته فيهما؛ ففعلنا و اجتهدنا ثم غنّيناه. فضـحك فقال: أمنّا معكم أن نجد من يبغّض إلينا صنعتنا كما بغّض إسحاق إلينا «أيا منشر الموتى». قال حمّاد: هذا آخر لحن صنعه أبي. يعني الذي عارض به لحن الواثق في «أيا منشر الموتى».

1- الممكورة: المدمجـة الخلق من النساء، و قيل: المسـتديرة الساقين. و قوله: «كأنما شف وجهها نزف» يريـد أنها رقيقـة المحاسن و كأن دمها و دم وجهها نزف. و المرأة أحسن ما تكون غب نفاسها لأنه يكون قد ذهب تهيج الدم فتصير رقيقة المحاسن.

غناه إسحاق صوتا فتطير به:

أخبرني جحظة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخلت يوما إلى الواثق و هو مصطبح، فقال لي: غنّي يا إسحاق بحياتك عليك صوتا غريبا لم أسمعه منك حتى أسرّ به بقيّة يومي. فكأن اللّه أنساني الغناء كلّه إلاّ هذا الصوت:

يا دار إن كان البلى قد محاك *** فإنه يعجبني أن أراك

أبكي الذي قد كان لي مألفا *** فيك فأتي الدار من أجل ذاك

- و الغناء في هذا اللحن للأبجر رمل بالوسطى عن ابن المكّيّ و هو الصواب، و ذكر عمرو بن بانة أنه لسليم - قال فتبينت الكراهية في وجهه، و ندمت على ما فرط منّي. و تجلّد فشرب رطلا كان في يده، و عدلت عن الصوت إلى غيره. فكان و اللّه ذلك اليوم آخر جلوسي معه.

و ممّن حكي عنه أنه صنع في شعره و شعر غيره المنتصر

اشارة

<غناه المنتصر:> فإنّي ذكرت ما روي عنه أنه غنّى فيه على سوء العهدة في ذلك و ضعف الصنعة، لئلا يشذّ عن الكتاب شيء قد روي و قد تداوله الناس. فممّا ذكر عنه أنه غنّى فيه:

صوت

سقيت كأسا كشفت *** عن ناظريّ الخمرا

فنشّطتني و لقد *** كنت حزينا خاثرا

الشعر للمنتصر، و هو شعر ضعيف ركيك إلاّ أنه يغنّي فيه.

كان متحلفا في قول الشعر و متقدما في غيره و كان يغني قبل الخلافة:

اشارة

و حدّثني الصّوليّ عن أحمد بن يزيد المهلّبي عن أبيه قال:

كان طبع المنتصر متخلّفا في قول الشعر و كان متقدّما في كل شيء غيره؛ فكان إذا قال شعرا صنع فيه و أمر المغنّين بإظهاره، و كان حسن العلم بالغناء. فلمّا ولي الخلافة قطع ذلك و أمر بستر ما تقدّم منه. من ذلك صنعته في شعره و هو من الثقيل الأوّل المذموم:

سقيت كأسا كشفت *** عن ناظريّ الخمرا

قال: و من شعره الذي غنّى فيه و لحنه ثاني ثقيل:

صوت

متى ترفع الأيّام من وضعنه *** و ينقاد لي دهر عليّ جموح

أعلّل نفسي بالرجاء و إنني *** لأغدو على ما ساءني و أروح

ص: 205

قال: و كان أبي يستجيد هذين البيتين و يستحسنهما. و نذكرها هنا شيئا من أخبار المنتصر في هذا المعنى دون غيره أسوة ما فعلنا في نظرائه.

أراد الشرب علانية فجاء الناس ليروه فقال شعرا فتفرقوا:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني محمد بن يحيى بن أبي عبّاد قال حدّثني أبي قال:

أراد المنتصر أن يشرب في الزّقاق، فوافى الناس من كل وجه ليروه و يخدموه؛ فوقف على شاطئ دجلة و أقبل على الناس فقال:

لعمري لقد أصحرت خيلنا *** بأكناف دجلة للملعب

و الشعر «بأكناف دجلة للمصعب» و لكنّه غيّره لأنه تطيّر من ذكر المصعب -

فمن يك منّا يبت آمنا *** و من يك من غيرنا يهرب

قال: فعلم أنه يريد الخلوة بالنّدماء و المغنّين، فانصرفوا، فلم يبق معه إلاّ من يصلح للأنس و الخدمة.

جفا يزيد المهلبي لاختصاصه بالمتوكل ثم عفا عنه و أكرمه:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال: كان أبي أخصّ الناس بالمنتصر، و كان يجالسه قبل مجالسته المتوكّل. فدخل المتوكّل يوما على المنتصر على غفلة، فسمع كلامه فاستحسنه، فأخذه إليه و جعله في جلسائه. و كان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان، فلم يقدر على ذلك لملازمته أباه؛ فعتب عليه لتأخّره عنه على ثقة بمودّة و أنس به. فلما أفضت إليه الخلافة استأذن عليه؛ فحجبه و أمر بأن يعتقل في الدار فحبس أكثر يومه. ثم أذن له فدخل و سلّم و قبّل الأرض بين يديه ثم قبّل يده، فأمره بالجلوس؛ ثم التفت إلى بنان بن عمرو و قال له: غنّ، و كان العود في يده:

غدرت و لم أغدر و خنت و لم أخن *** و رمت بديلا بي و لم أتبدّل

- قال: و الشعر للمنتصر - فغنّاه بنان. و علم أبي أنه أراده بذلك فقام فقال: و اللّه ما اخترت/خدمة غيرك و لا صرت إليها إلاّ بعد إذنك. فقال: صدقت؛ إنما قلت هذا مازحا؛ أ تراني أتجاوز بك حكم اللّه عزّ و جلّ إذ يقول: وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ فِيمٰا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لٰكِنْ مٰا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كٰانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً . ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له فأنشده:

ألا يا قوم قد برح الخفاء *** و بان الصبر منّي و العزاء

تعجّب صاحبي لضياع مثلي *** و ليس لداء محروم دواء

جفاني سيّد قد كان برّا *** و لم أذنب فما هذا الجفاء

حللت بداره و علمت أنّي *** بدار لا يخيب بها الرجاء

فلمّا شاب رأسي في ذراه *** حجبت بعقب ما بعد اللّقاء(1)

فإن(2) تنأى ستور الإذن عنّا *** فما نأت المحبّة و الثناء

ص: 206

1- كذا في أ. و في سائر الأصول: «ما يعد الرخاء» و هو تحريف.

2- في ح: «تثني».

/

و إن يك كادني ظلما عدوّ *** فعند البحث ينكشف الغطاء

أ لم تر أنّ بالآفاق منّا *** جماجم حشو أقبرها الوفاء

و قد وصف الزمان لنا زياد(1)*** و قال مقالة فيها شفاء

ألا يا ربّ مغموم سيحظى *** بدولتنا و مسرور يساء

أ منتصر الخلائف جدت فينا *** كما جادت على الأرض السماء

وسعت الناس عدلا فاستقاموا *** بأحكام عليهنّ الضياء

و ليس يفوتنا ما عشت خير *** كفانا أن يطول لك البقاء

قال: فقال له المنتصر: و اللّه إنك لمن ذوي ثقتي و موضع اختياري، و لك عندي الزّلفى، فطب نفسا. قال و وصلني بثلاثة آلاف دينار.

شعر الحسين بن الضحاك فيه:

حدّثني الصّولي قال حدّثني عون بن محمد الكنديّ قال:

لمّا ولي المنتصر الخلافة دخل عليه الحسين بن الضحّاك فهنّأه بالخلافة و أنشده:

تجدّدت الدنيا بملك محمد *** فأهلا و سهلا بالزمان المجدّد

هي الدولة الغرّاء راحت و بكّرت *** مشهّرة(2) بالرّشد في كل مشهد

لعمري لقد شدّت عرا الدّين بيعة *** أعزّ بها الرحمن كلّ موحّد

هنتك أمير المؤمنين خلافة *** جمعت بها أهواء أمّة أحمد

قال: فأظهر إكرامه و السرور به، و قال له: إن في بقائك بهاء للملك، و قد ضعفت عن الحركة، فكاتبني بحاجاتك و لا تحمل على نفسك بكثرة الحركة. و وصله بثلاثة آلاف دينار ليقضي بها دينا بلغه أنه عليه.

/قال: و قال الحسين بن الضحّاك فيه و قد ركب الظهور وراءه الناس، و هو آخر شعر قاله:

ألا ليت شعري أبدر بدا *** نهارا أم الملك المنتصر

إمام تضمّن أثوابه *** على سرجه قمرا من بشر

حمى اللّه دولة سلطانه *** بجند القضاء و جند القدر

فلا زال ما بقيت مدّة *** يروح بها الدهر أو يبتكر

/قال: و غنّى فيه بنان و عريب.

ص: 207

1- يريد زياد ابن أبيه و هو معروف.

2- كذا في ح. و في سائر الأصول: «مشمرة».

شعر يزيد المهلبي فيه:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال: أوّل قصيدة أنشدها أبي في المنتصر بعد أن ولي الخلافة:

ليهنك ملك بالسعادة طائره *** موارده محمودة و مصادره

فأنت الذي كنّا مرجّى فلم نخب *** كما يرتجى من واقع الغيب باكره

بمنتصر باللّه تمّت أمورنا *** و من ينتصر باللّه فاللّه ناصره

فأمر المنتصر عريب أن تغنّي نشيدا في أوّل الأبيات و تجعل البسيط في البيت الأخير؛ فعملته و غنّته به.

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد قال: صلّى المنتصر بالناس في الأضحى سنة سبع و أربعين و مائتين؛ فأنشده أبي لمّا انصرف:

ما استشرف الناس عيدا مثل عيدهم *** مع الإمام الذي باللّه ينتصر

غدا بجمع كجنح الليل يقدمه *** وجه أغرّ كما يجلو الدّجى القمر

يؤمّهم صادع بالحق أحكمه *** حزم و علم بما يأتي و ما يذر

لو خيّر الناس فاختاروا لأنفسهم *** أحظّ منك لما نالوه ما قدروا

قال: فأمر له بألف دينار، و تقدّم إلى ابن المكّيّ أن يغنّي في الأبيات.

غناه بنان بن عمرو بشعر مروان فأمره ألا يغني في شعر آل أبي حفصة:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال حدّثني بنان بن عمرو المغنّي قال: غنّيت يوما بين يدي المنتصر:

هل تطمسون من السماء نجومها *** بأكفّكم أو تسترون هلالها

فقال لي: إيّاك و أن تغنّي بحضرتي هذا الصوت و أشباهه، فما أحبّ أن أغنّى إلاّ(1) في أشعار آل أبي حفصة خاصّة.

غناء المعتز باللّه:

اشارة

و ممن هذه سبيله في صنعة الغناء المعتزّ باللّه:

فإني لم أجد له منها شيئا إلا ما ذكره الصّوليّ في أخباره؛ فأتيت بما حكاه للعلّة التي قدّمتها من أنّي كرهت أن يخلّ الكتاب بشيء قد دوّنه الناس و تعارفوه. فممّا ذكر أنه غنّى فيه:

صوت

لعمري لقد أصحرت خيلنا *** بأكناف دجلة للمصعب

فمن يك منّا يبت آمنا *** و من يك من غيرنا يهرب

ص: 208

1- لعله: «فما أحب أن أغني في أشعار إلخ» بحذف «إلا»؛ لأن هذا البيت من قصيدة مشهورة لمروان بن أبي حفصة مطلعها: طرقتك زائرة فحي خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها

الشعر لعديّ بن الرّقاع. و الغناء للمعتزّ خفيف رمل. و هذه الأبيات من قصيدة لعديّ يقولها في الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مروان و المصعب بن الزّبير بطسّوج(1) مسكن، فقتل فيها مصعب بقرية من مسكن يقال لها دير الجاثليق، و ذكرته الشعراء في هذه الأبيات:

لعمري لقد أصحرت خيلنا *** بأكناف دجلة للمصعب

/يهزّون كلّ طويل القنا *** ة لدن و معتدل الثّعلب(2)

فداؤك أمّي و أبناؤها *** و إن شئت زدت عليها أبي

و ما قلتها رهبة إنما *** يحلّ العقاب على المذنب

/إذا شئت نازلت مستقتلا *** أزاحم كالجمل الأجرب

فمن يك منّا يبت آمنا *** و من يك من غيرنا يهرب

1- الطسوج: القريـة أو الناحية. و طسوج مسـكن: بالعراق. و دير الجاثليق يقع من طسوج مسـكن غربي دجلة قرب بغداد من آخر السواد و أوّل أرض تكريت.

2- الثعلب هنا: رأس الرمح.

14 - أخبار عديّ بن الرّقاع و نسبه

نسبه:

هو عديّ بن زيد بن مالك بن عديّ بن الرّقاع بن عصر بن عكّ(1) بن شعل(2) بن معاوية بن الحارث و هو عاملة بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أدد. و أمّ معاوية بن الحارث عاملة بنت وديعة من قضاعة، و بها سمّوا عاملة.

و نسبه الناس إلى الرّقاع، و هو جدّ جدّه، لشهرته؛ أخبرني بذلك أبو خليفة عن محمد بن سلاّم.

شاعر أموي اختص بالوليد بن عبد الملك جعله ابن سلام في الطبقة الثالثة:

و كان شاعرا مقدّما عند بني أميّة مدّاحا لهم خاصّا بالوليد بن عبد الملك. و له بنت شاعرة يقال لها سلمى، ذكر ذلك ابن النّطّاح. و جعله محمد بن سلاّم في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام. و كان منزله بدمشق. و هو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم. و قد تعرّض لجرير و ناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك، ثم لم تتمّ بينهما مهاجاة، إلاّ أنّ جريرا قد هجاه تعريضا في قصيدته:

حيّ الهدملة(3) من ذات المواعيس

و لم يصرّح لأن الوليد حلف إن هو هجاه أسرجه و ألجمه و حمله على ظهره، فلم يصرّح بهجائه.

ما جرى بينه و بين جرير في حضرة الوليد بن عبد الملك:

أخبرني أبو خليفة إجازة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال أخبرني أبو الغرّاف قال:

دخل جرير على الوليد بن عبد الملك و هو خليفة و عنده عديّ بن الرّقاع العامليّ. فقال الوليد لجرير: أ تعرف هذا؟. قال: لا يا أمير المؤمنين. فقال الوليد: /هذا عديّ بن الرّقاع. فقال جرير: فشرّ الثياب الرّقاع، قال: ممّن هو؟ قال: العامليّ. فقال جرير: هي التي يقول [فيها] اللّه عزّ و جلّ عٰامِلَةٌ نٰاصِبَةٌ تَصْلىٰ نٰاراً حٰامِيَةً . ثم قال:

يقصّر باع العامليّ عن النّدى *** و لكنّ أير العامليّ طويل

فقال له عديّ بن الرّقاع:

أ أمّك كانت أخبرتك بطوله *** أم انت امرؤ لم تدر كيف تقول

فقال لا! بل أدري كيف أقول. فوثب العامليّ إلى رجل الوليد فقبّلها و قال: أجرني منه. فقال الوليد لجرير: لئن شتمته لأسرجنّك و لألجمنّك حتى يركبك فيعيّرك الشعراء بذلك. فكنى جرير عن اسمه فقال:

1- كذا في الأصول. و في شرح «القاموس» مادة (رقع): «عدي». و في «المقتضب» لياقوت (ص 79): «عدة».

2- كذا في شرح «القاموس» و «و الاشتقاق» لابن دريد و «المقتضب». و في الأصول: «شغل» بالغين المعجمة، و هو تصحيف.

3- الهدملة و المواعيس: موضعان.

إني إذا الشاعر المغرور حرّبني *** جار لقبر على مرّان(1) مرموس

قد كان أشوس آباء فورّثنا *** شغبا على الناس في أبنائه الشّوس(2)

أقصر فإنّ نزارا لن يفاضلها(3) *** فرع لئيم و أصل غير مغروس

و ابن اللّبون إذا ما لزّ في قرن *** لم يستطع صولة البزل القناعيس

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال أبو عبيدة:

دخل جرير على الوليد بن عبد الملك و عنده عديّ بن الرّقاع العامليّ. فقال له الوليد: أ تعرف هذا؟ قال: لا، فمن هو؟ قال: هذا ابن الرّقاع. قال فشرّ الثياب الرّقاع، فممّن هو؟ قال: من عاملة. قال: أ من التي قال اللّه تعالى فيها: عٰامِلَةٌ نٰاصِبَةٌ تَصْلىٰ نٰاراً حٰامِيَةً !. فقال الوليد: و اللّه ليركبنّك! /لشاعرنا و مادحنا و الراثي لأمواتنا تقول هذه المقالة!! يا غلام بإكاف(4) و لجام. فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يعفيه فأعفاه. فقال: و اللّه لئن هجوته لأفعلنّ و لأفعلنّ. فلم يصرّح بهجائه و عرّض، فقال قصيدته التي أوّلها:

حيّ الهدملة من ذات المواعيس

و قال فيها يعرّض به:

قد جرّبت عركتي في كلّ معترك *** غلب الأسود فما بال الضّغابيس(5)

فضل جرير عليه كثيرا في مجلس بعض الخلفاء:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزّبير بن بكّار قال حدّثني سليمان بن عيّاش السّعديّ قال:

ذكر كثيّر و عديّ بن الرّقاع العامليّ في مجلس بعض خلفاء بني أميّة، فامتروا فيهما أيّهما أشعر و في المجلس جرير. فقال جرير: لقد قال كثيّر بيتا هو أشهر و أعرف في الناس من عديّ بن الرّقاع نفسه؛ ثم أنشد قول كثيّر:

أ أن زمّ أجمال و فارق جيرة *** و صاح غراب البين أنت حزين

قال: فحلف الخليفة لئن كان عديّ بن الرّقاع أعرف في الناس من بيت كثيّر ليسرجنّ جريرا و ليلجمنّه و ليركبنّ عديّ بن الرّقاع على ظهره. فكتب إلى واليه بالمدينة: إذا فرغت من خطبتك فسل الناس من الذي يقول:

أ أن زمّ أجمال و فارق جيرة *** و صاح غراب البين أنت حزين

و عن نسب ابن الرّقاع. فلمّا فرغ الوالي من خطبته قال: إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أن أسألكم من الذي يقول:

أ أن زمّ أجمال و فارق جيرة

1- أراد قبر تميم بن مر يمرّان على أربع مراحل من مكة إلى البصرة. و حربني: أغضبني، يقال: منه حرب الرجل يحرب حربا (من باب فرح).

2- الشوس (بالتحريك): التكبر و النظر بمؤخر العين.

3- كذا في «ديوانه» المخطوط. و في أكثر الأصول: «لن يفاخركم». و في س: «لن يفاخرهم».

4- الإكاف: برذعة الحمار.

5- الغلب: جمع أغلب و هو الغليظ الرقبة. و الضغابيس: جمع ضغبوس و هو الضعيف.

/قال: فابتدروا من كل وجه يقولون: كثيّر كثيّر. ثم قال: و أمرني أن أسأل عن نسب ابن الرّقاع؛ فقالوا: لا ندري؛ حتى قام أعرابيّ من مؤخّر المسجد فقال: هو من عاملة.

نقد محمد بن المنجم بيتا من شعره:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه قال قال لي محمد بن المنجّم: ما أحد ذكر لي فأحببت أن أراه فإذا رأيته أمرت بصفعه إلا عديّ بن الرّقاع. قلت: و لم ذلك؟ قال: لقوله:

و علمت حتى ما أسائل عالما *** عن علم واحدة لكي أزدادها

فكنت أعرض عليه أصناف العلوم، فكلما مرّ به شيء لا يحسنه أمرت بصفعه.

جاءه شعراء ليعارضوه فردت عليهم بنته فأفحمتهم:

حدّثني إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال حدّثنا عبد اللّه بن مسلم قال:

كان عديّ بن الرّقاع ينزل بالشام، و كانت له بنت تقول الشعر. فأتاه ناس من الشعراء ليماتنوه(1) و كان غائبا؛ فسمعت بنته و هي صغيرة لم تبلغ دور وعيدهم، فخرجت إليهم و أنشأت تقول:

تجمّعتم من كل أوب و بلدة *** على واحد لا زلتم قرن واحد

فأفحمتهم:

كان من أوصف الشعراء للمطية:

و قال عبد اللّه بن مسلم:

و ممّا ينفرد به و يقدّم فيه وصف المطيّة؛ فإنه كان من أوصف الشعراء لها.

استحسن أبو عمرو شعره:

حدّثني أحمد بن عبيد اللّه بن عمّار قال حدّثنا محمد بن عبّاد بن موسى قال: كنت عند أبي عمرو أعرض أو يعرض عليه رجل بحضرتي من شعر عديّ بن الرّقاع، و قرأت أو قرأ هذه الأبيات:

/

لو لا الحياء و أنّ رأسي قد عسا(2)*** فيه المشيب لزرت أمّ القاسم

/و كأنها وسط النساء أعارها *** عينيه أحور من جآذر جاسم

و سنان أقصده النّعاس فرنّقت *** في عينه سنة و ليس بنائم

فقال أبو عمرو: أحسن و اللّه!. فقال رجل كان يحضر مجلسه أعرابيّ كأنه مدنيّ: أما و اللّه لو رأيته مشبوحا بين أربعة و قضبان الدّفلى(3) تأخذه لكنت أشدّ له استحسانا. يعني إذا كان يغنّي به على العود.

1- ماتنه في الشعر: عارضه.

2- عسا: اشتد.

3- الدفلي: نبت مرّ زهره كالورد الأحمر و حمله كالخروب

استحسن أبو عبيدة بيتا له:

اشارة

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني عبد اللّه بن أبي سعد عن عليّ بن المغيرة قال:

كان أبو عبيدة يستحسن بيت عديّ بن الرّقاع:

وسنان أقصده النّعاس فرنّقت *** في عينه سنة و ليس بنائم

جدّا و يقول: ما قال أحد في مثل هذا المعنى أحسن منه في هذا الشعر. و في هذا الشعر غناء، نسبته:

صوت

لو لا الحياء و أن رأسي قد عسا *** فيه المشيب لزرت أمّ القاسم

و كأنّها وسط النساء أعارها *** عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النّعاس فرنّقت *** في عينه سنة و ليس بنائم

ألمم على طلل عفا متقادم *** بين الذّئيب(1) و بين غيب النّاعم

/عروضه من الكامل. الجآذر: جمع جؤذر و هي أولاد البقر الوحشيّة. و جاسم: موضع. و يروى في هذا الشعر «عاسم» مكان «جاسم». و الوسنان: النائم، و الوسن النوم، الواحدة منه سنة. و التّرنيق: الدنوّ من الشيء يريد أن يفعله، يقال: رنّقت العقاب لصيدها إذا دنت منه، و ترنيقها أيضا أن تقصّر عن الخفقان بجناحيها. و يقال: طير مرنّقة إذا جاءت تطير ثم أرادت الوقوع و مدّت أجنحتها فلم تخفق و ترجّحت. و يقال للقوم إذا قصّروا في سيرهم، و للسابح إذا قصّر في الخفق بيديه و رجليه: قد رنّقوا ترنيقا. الشعر لعديّ بن الرّقاع. و الغناء لابن مسجح خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، و فيه ثقيل أوّل بالبنصر ينسب إليه أيضا، و ذكر الهشاميّ أنه من منحول يحيى بن المكّيّ إليه.

استحسن أبو عمرو شعره و استحسن مدني الغناء به:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني محمد بن عبد اللّه المعروف بالحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو قال:

كنت عند أبي و رجل يقرأ عليه شعر عديّ بن الرّقاع. فلما قرأ عليه القصيدة التي يقول فيها:

لو لا الحياء و أنّ رأسي قد عسا *** فيه المشيب لزرت أمّ القاسم

قال أبي: أحسن و اللّه عديّ بن الرّقاع!. قال: و عنده شيخ مدنيّ جالس، فقال الشيخ: و اللّه لئن كان عديّ أحسن لما أساء أبو عبّاد. قال أبي: و من هو أبو عبّاد؟ قال: معبد. و اللّه لو سمعت لحنه في هذا الشعر لكان طربك أشدّ و استحسانك له أكثر. فجعل أبي يضحك.

1- كـذا في «معجم البلـدان» في الكلاـم عن الـذؤيب و غيب الناعم. و في الأصول: «الركيك» و هو تحريف. و الـذؤيب: ماء بنجـد لبني دهمان بن نصر بن معاوية. و ذكر ياقوت أن غيب الناعم موضع في شعر عدي بن الرقاع، و ذكر البيت.

مدح عبيدة بن عبد الرحمن حين عزله الوليد فجفاه الوليد ثم رضي عنه:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أحمد بن جرير عن محمد بن سلاّم قال:

/عزل الوليـد بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن عن الأردنّ و ضـربه و حلقه و أقامه للناس و قال/للمتوكّلين به: من أتاه متوجّعا و أثنى عليه فأتوني به. فأتى عديّ بن الرّقاع، و كان عبيدة إليه محسنا، فوقف عليه و أنشأ يقول:

فما عزلوك مسبوقا و لكن *** إلى الخيرات سبّاقا جوادا

و كنت أخي و ما ولدتك أمّي *** وصولا باذلا لي مستزادا

و قد هيضت لنكبتك القدامى *** كذاك اللّه يفعل ما أرادا

فوثب المتوكّلون به إليه، فأدخلوه إلى الوليـد و أخبروه بما جرى. فتغيّظ عليه الوليـد و قال له: أ تمـدح رجلا قـد فعلت به ما فعلت!. فقال: يا أمير المؤمنين، إنه كان إليّ محسـنا، و لي مؤثرا، و بي برّا؛ ففي أيّ وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم!. فقال: صدقت و كرمت! فقد عفوت عنك و عنه لك! فخذه و انصرف. فانصرف به إلى منزله.

عدّه جرير أنسب الشعراء لشعر له:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أحمد بن يحيى ثعلب قال: قال نوح بن جرير لأبيه: يا أبت، من أنسب الشعراء؟ قال له: أ تعني ما قلت؟ قال: إنّي لست أريد من شعرك إنما أريد من شعر غيرك. قال: ابن الرّقاع في قوله:

لو لا الحباء و أنّ رأسي قد عسا *** فيه المشيب لزرت أمّ القاسم

الثلاثة الأبيات. ثم قال لي: ما كان يبالي أن لم يقل بعدها شيئا.

عجب جرير من توفيقه في تشبيه دقيق:

أخبرني الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال:

قال جرير: سمعت عديّ بن الرّقاع ينشد:

تزجي أغنّ كأنّ إبرة روقه(1)

/فرحمته من هذا التشبيه فقلت: بأيّ شيء يشبّهه ترى! فلما قال:

قلم أصاب من الدّواة مدادها

رحمت نفسي منه

تابع روح بن زنباع ثم خالفه و تابع نائل بن قيس في نسبهم:

أخبرني اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد اللّه عن ابن حبيب عن أبي عبيدة قال:

مال روح بن زنباع الجذاميّ إلى يزيد بن معاوية لمّا فصل بين الخطبتين فقال: يا أمير المؤمنين، ألحقنا

1- الروق: القرن.

بإخوتنا من معدّ فإنا معدّيون، و اللّه ما نحن من قصب الشام و لا من زعاف(1) اليمن. فقال يزيد: إن أجمع قومك على ذلك جعلناك حيث شئت. فبلغ ذلك عديّ بن الرّقاع فقال:

إنّا رضينا و إن غابت جماعتنا *** ما قال سيّدنا روح بن زنباع

يرعى ثمانين ألفا كان مثلهم *** ممّا يخالف أحيانا على الرّاعي

قال: فبلغ ذلك نائل بن قيس الجذاميّ، فجاء يركض فرسه حتى دخل المقصورة في الجمعة الثانية. فلمّا قام يزيد على المنبر، وثب فقال: أين الغادر الكاذب روح بن زنباع؟! فأشاروا إلى مجلسه. فأقبل عليه و على يزيد ثم قال:

يـا أمير المؤمنين، قـد بلغني ما قال لك هـذا، و ما نعرف شـيئا منه و لا نقرّ به، و لكنّا قوم من قحطان يسـعنا ما يسـعهم و يعجز عنّا ما يعجز عنهم. فأمسك روح و رجع عن رأيه. فقال عديّ بن الرّقاع في ذلك:

أضلال ليل ساقط أكنافه *** في الناس أعذر أم ضلال نهار

قحطان والدنا الذي ندعى له *** و أبو خزيمة خندف بن نزار

/أ نبيع والدنا الذي ندعى له *** بأبي معاشر غائب متواري

تلك التجارة لا زكاء لمثلها *** ذهب يباع بآنك(2) و إبار

/فقال له يزيد: غيّرت يا ابن الرّقاع. قال: إنّ نائلا و اللّه عليّ أعزّهما سخطا، و أنصحهما لي و لعشيرتي. قال أبو عبيدة: الإبار: جمع إبرة.

ما كان بينه و بين ابن سريج في حضرة الوليد بن عبد الملك:

اشارة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم:

أن الأحوص و ابن سريج قدما المدينة(3)، فنزلا في بعض الخانات ليصـلحا من شأنهما، و قـد قدم عديّ بن الرّقاع و كانت هذه حاله، فنزل عليهمـا. فلمـا كان في بعض الليل أفاضوا في الأحاديث؛ فقال عـديّ بن الرّقاع لابن سـريج: و اللّه لخروجنا كان إلى أمير المؤمنين أجـدى علينـا من المقـام معك يا مولى بني نوفل. قال: و كيف ذلك؟ قال: لأنك توشك أن تلهينا فتشـغلنا عمّا قصـدنا له. فقال له ابن سـريج: أو قلّة شكر أيضا!. فغضب عديّ و قال:

أنـك لتمنّ علينا أن نزلنا عليك؛ و إني أعاهـد اللّه ألاّ يظلّني و إياك سـقف إلا أن يكون بحضـرة أمير المؤمنين. و خرج من عنـدهما. و قـدم الوليـد من باديته فأذن لهما فدخلا. و بلغه خبر ابن الرّقاع و ما جرى بينه و بين ابن سـريج؛ فأمر بابن سـريج فأخفي(4) في بيت و دعا بعديّ فأدخله؛ فأنشده قصيدة امتدحه بها. فلما فرغ، أومأ إلى بعض الخدم فأمر ابن سريج فغنّى في شعر عديّ بن الرّقاع يمدح الوليد:

عرف الديار توهّما فاعتادها *** من بعد ما شمل البلى أبلادها(5)

1- كذا في الأصول: و لعله «من رعان اليمن» أي جبالها أو «من زعانف اليمن».

2- الآنك: الرصاص.

3- كـذا في الأـصول. و الأـحرى أن تكون «دمشق» إذ المعروف أن دمشق كـانت عاصـمة ملـك بني أميـة التي كـان يقصـد إليها الروّاد و الوافدون و بها ينزلون.

4- كذا في أ، م. و في سائر الأصول: «فأدخل».

5- اعتادها: أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها. و شمل: عم. و الأبلاد: الآثار.

/فطرب عـديّ و قال: لا و اللّه ما سـمعت يا أمير المؤمنين بمثل هـذا قطّ و لا ظننت أن يكون مثله طيبا و حسـنا. و لو لا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلت طـائف من الجنّ. أ يأذن لي أمير المؤمنين أن أقول؟ قال: قل. قال: مثل هـذا عنـد أمير المؤمنين و هو يبعث إلى ابن سـريج يتخطّى به قبائل العرب فيقال: ابن سـريج المغنّي مولى بني نوفل بعث أمير المؤمنين إليه!. فضـحك ثم قال للخادم: أخرجه فخرج. فلما رآه عـديّ أطرق خجلا ثم قال: المعـذرة إلى اللّه و إليك يا أخي، فما ظننت أنك بهذه المنزلة، و إنك لحقيق أن تحتمل على كل هفوة و خطيئة. فأمر لهم الوليد بمال سوّى بينهم فيه، و نادمهم يومئذ إلى الليل.

نسبة هذا الصوت المذكور في هذا الخبر و سائر ما مضى في أخبار عدي قبله من الأشعار التي فيها غناء:

صوت

عرف الدّار توهّما فاعتادها *** من بعد ما شمل البلى أبلادها

إلاّ رواكد كلّهن قد اصطلى *** حمراء أشعل أهلها إيقادها

عروضه من الكامل. الشعر لعديّ بن الرّقاع. و الغناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أفحمه كثير في حضرة الوليد بن عبد الملك:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال:

أنشد عديّ بن الرّقاع الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أوّلها:

عرف الديار توهّما فاعتادها

و عنـده كثيّر و قد كان يبلغه عن عديّ أنه يطعن على شـعره و يقول: هذا شـعر حجازيّ مقرور إذا أصابه قرّ الشام جمد و هلك. فأنشده إيّاها حتى أتى على قوله:

/

و قصيدة قد بتّ أجمع بينها *** حتى أقوّم ميلها و سنادها(1)

فقال له كثيّر: لو كنت مطبوعا أو فصيحا أو عالما لم تأت فيها بميل و لا سناد فتحتاج إلى أن تقوّمها. ثم أنشد:

نظر المثقّف في كعوب قناته *** حتى يقيم ثقافه منآدها

فقال له كثيّر: لا جرم أنّ الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء، و لأن تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها.

ثم أنشد:

و علمت حتى ما أسائل واحدا *** عن علم واحدة لكي أزدادها

فقال كثيّر: كذبت و ربّ البيت الحرام! فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صـغار الأمور دون كبارها حتى يتبيّن جهلك. و ما كنت قطّ أحمق منك الآن حيث تظنّ هذا بنفسك. فضحك الوليد و من حضر، و قطع بعديّ بن الرّقاع حتى ما نطق.

1- يريد بالسـناد هنا عيبا في الشـعر. و السـناد في اصـطلاح العروضيين هو اختلاف الحرف الذي قبل الردف بالفتح و الكسر. و الردف هو حرف اللين الذي قبل الرويّ. (انظر الكلام عليه في «العقد الفريد» ج 3 ص 222-223 طبع بولاق، و «اللسان» مادة «سند»).

15 - أخبار المعتزّ في الأغاني و مع المغنّين و ما جرى هذا المجرى

شعره في جارية يهواها:

اشارة

حدّثني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني عليّ بن محمد بن نصر(1) قال حدّثني جدّي حمدون بن إسماعيل قال:

اصطبح المعتزّ في يوم ثلاثاء و نحن بين يديه ثم وثب فدخل، و اعترضته جارية كان يحبّها و لم يكن ذلك اليوم من أيامها فقبّلها و خرج؛ فحدّثني بما كان و أنشدني لنفسه في ذلك:

صوت

إني قمرتك يا سؤلي و يا أملي *** أمرا مطاعا بلا مطل و لا علل

حتّى متى يا حبيب النفس تمطلني *** و قد قمرتك(2) مرّات فلم تف لي

يوم الثلاثاء يوم سوف أشكره *** إذ زارني فيه من أهوي على عجل

فلم أنل منه شيئا غير قبلته *** و كان ذلك عند أعظم النّفل

قال: و عمل فيه لحن خفيف و شربنا عليه سائر يومنا. الغناء في هذه الأبيات لعريب رمل عن الهشاميّ. و لأبي العبيس في الثالث و الرابع هزج.

طارحه بنان المغني في بيت من الشعر و تغنى فيه:

اشارة

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال حدّثني أبي قال:

كان المعتزّ يشرب على بستان مملوء من النّمّام(3) و بين النّمّام شقائق النعمان، فدخل إليه يونس بن بغا و عليه قباء أخضر؛ فقال المعتزّ:

صوت

شبّهت حمرة خدّه في ثوبه *** بشقائق النّعمان في النّمّام

ثم قال: أجيزوا. فابتدر بنان المغنّي، و كان ربّما عبث بالبيت بعد البيت، فقال:

و القدّ منه إذا بدا في قرطق(4) *** كالغصن في لين و حسن قوام

فقال له المعتزّ: فغنّ فيه الآن، فعمل فيه لحنا. لحن بنان في هذين البيتين من خفيف الثقيل الثاني و هو الماخوريّ.

ص: 217

1- في الأصول: «محمد بن علي بن نصر». و قد تقدّم هذا الاسم غير مرة كما أثبتناه.

2- كذا في أ، م. و في سائر الأصول: «قصدتك».

3- النمام: نبت ورقة كالسذاب عطريّ قويّ الرائحة. سمي بذلك لسطوع رائحته.

4- القرطق: قباء ذو طاق واحد (معرب).

أخبر بوفاة أم يونس بن بغا ففتر المجلس ثم عاد أحسن ما كان:

اشارة

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني محمد بن يحيى بن أبي عبّاد قال حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال:

شرب المعتزّ و يونس بن بغا بين يـديه يسـقيه و الجلساء و المغنّون بين يـديه و قـد أعدّ الخلع و الجوائز، إذ دخل بغا فقال: يا أمير المؤمنين، /والدة عبدك يونس في الموت و هي تحبّ أن تراه؛ فأذن له فخرج. و فتر المعتزّ و نعس بعده، و قام الجلساء و تفرّق المغنّون، إلى أن صـلّيت المغرب، و عاد المعتزّ إلى مجلسه، و دخل يونس و بين يديه الشموع. فلما رآه المعتزّ دعا برطل فشربه و سقى يونس رطلا و غنّاه المغنّون، و عاد المجلس أحسن ما كان؛ فقال المعتزّ:

صوت

تغيب فلا أفرح *** فليتك ما تبرح

و إن جئت عذّبتني *** بأنّك لا تسمح

فأصبحت ما بين ذي *** ن لي كبد تجرح

على ذاك يا سيّدي *** دنوّك لي أصلح

ثم قـال: غنّوا فيه، فجعلوا يفكّرون. فقـال المعتزّ لسـليمان بن القصّار الطّنبوريّ: ويلك! ألحان الطّنبور أملـح و أخفّ فغنّ فيه أنت؛ فغنّى فيه لحنا؛ فـدفع إليه دنانير/الخريطـة و هي مائـة دينار مكيّـة و مائتان مكتوب على كلّ دينار منها «ضـرب هذا الدينار بالجوسق بخريطة(1) أمير المؤمنين المعتزّ باللّه» ثم دعا بالخلع و الجوائز لسائر الناس، فكان ذلك المجلس من أحسن المجالس.

لحن سليمان بن القصّار في هذه الأبيات رمل مطلق.

لما قتل بغا هنأه الناس بالظفر:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن عبد السميع الهاشميّ قال حدّثني أبي قال:

لمّا قتل بغا(2) دخلنـا فهنأنـا المعتزّ بـالظّفر، فاصـطبح و معه يونس بن بغا، و ما رأينا قطّ وجهين اجتمعا أحسن من وجهيهما. فما مضـت ثلاث ساعات حتى سكر، ثم خرج علينا المعتزّ فقال:

ما إن ترى منظرا إن شئته حسنا *** إلاّ صريعا يهادى(3) بين سكرين

سكر الشراب و سكر من هوى رشأ *** تخاله و الذي يهواه غصنين

1- لعله: «لخريطة أمير المؤمنين» أي ضربت لخزانته الخاصة.

2- هو أحد قوّاد الأتراك المبرزين و قد اشترك في قتل المتوكل بدسيسة من ابنه المنتصر، و كان يتولى الحرس ليلة قتل فسهل للقتلة الدخول للقصر. خدم عدّة خلفاء في الدولة العباسية. و جفاه المعتز فوكل به وليدا المغربي فقتله غيلة و حمل رأسه إليه، فوهبه عشرة آلاف دينار و خلع عليه خلعة، و نصب رأسه بسامرا ثم ببغداد. (راجع الطبري القسم الثالث ص 1458-1461، 1694 - 1497).

3- جاء فلان يهادي بين اثنين مهاداة (بالبناء للمفعول): جاء يتمايل.

ثم أمر فتغنّى فيه بعض المغنّين.

قصة المعتز و يونس بن بغا مع ديراني:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن محمد بن إسحاق الخراسانيّ قال حدّثني الفضل بن العباس(1) بن المأمون قال:

/كنت مع المعتزّ في الصيد، فانقطع عن الموكب و أنا و يونس بن بغا معه، و نحن بقرب قنطرة(2) و صيف، و كان هناك دير فيه ديرانيّ يعرفني و أعرفه، نظيف ظريف مليح الأدب و اللفظ. فشكا المعتزّ العطش. فقلت: يا أمير المؤمنين، في هذا الدير ديرانيّ أعرفه خفيف الروح لا يخلو من ماء بارد، أ فترى أن نميل إليه؟ قال نعم. فجئناه فأخرج لنا ماء باردا، و سألني عن المعتزّ و يونس فقلت: فتيان من أبناء الجند؛ فقال: بل مفلتان من حور الجنّة.

فقلت له: هذا ليس في دينك. فقال: هو الآن في ديني. فضحك المعتزّ. فقال لي الدّيرانيّ: أ تأكلون شيئا؟ قلت نعم. فأخرج شطيرات و خبزا و إداما نظيفا، فأكلنا أطيب أكل، و جاءنا بأطراف(3) أشنان. فاستظرفه المعتزّ و قال لي:

قل له فيما بينك و بينه: من تحبّ أن يكون معك من هذين لا يفارقك. فقلت له، فقال: «كلاهما(4) و تمرا».

فضحك المعتزّ حتى مال على حائط الدّير. فقلت للدّيرانيّ: لا بدّ من أن تختار. فقال: الاختيار و اللّه في هذا دمار، و ما خلق اللّه عقلا يميّز بين هذين. و لحقهما الموكب، فارتاع الدّيرانيّ. /فقال له المعتزّ: بحياتي لا تنقطع عما كنا فيه، فإنّي لمن ثمّ مولى و لمن هاهنا صديق. فمزحنا ساعة؛ ثم أمر له بخمسمائة(5) ألف درهم. فقال(6): و اللّه ما أقبلها إلاّ على شرط. قال: و ما هو؟ قال: يجيب/أمير المؤمنين دعوتي مع من أراد. قال: ذلك لك. فاتّعدنا ليوم جئناه فيه، فلم يبق غاية، و أقام للموكب كلّه ما احتاج إليه، و جاءنا بأولاد النصارى يخدموننا. و وصله المعتزّ يومئذ صلة سنيّة؛ و لم يزل يعتاده و يقيم عنده.

ولي الخلافة و له سبع عشرة سنة، و شعره في ذلك:

اشارة

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا عبد اللّه بن المعتزّ قال:

بويع للمعتزّ بالخلافة و له سبع عشرة سنة كاملة و أشهر. فلما انقضت البيعة قال:

توحّدني الرحمن بالعزّ و العلا *** فأصبحت فوق العالمين أميرا

1- كذا في «مسالك الأبصار» (ح 1 ص 282 طبع دار الكتب المصرية) و «معجم البلدان» في كلامهما عن دير مرمار - و في «معجم البلدان»: «دير مرماري» بياء - و في الأصول: «العباس بن المفضل بن المأمون». و ذكر اليعقوبي في تاريخه أن المأمون خلف من الولد الذكور ستة عشر و ذكر منهم «العباس» و «الفضل».

2- كذا في ج و «مسالك الأبصار». و في سائر الأصول: منظرة وصيف».

3- كذا في ح. و في سائر الأصول: «بأظرف إنسان» و هو تحريف.

4- في «مسالك الأبصار»: «فقال: كلاهما» بدون «و تمرا». و «كلاهما و تمرا» مثل قائله عمرو بن حمران و قد مر به رجل أضر به العطش و السغوب و بين يديه زبد و تامك و تمر. فقال له الرجل: أطعمني من هذا الزبد و التامك. فقال عمرو: «نعم كلاهما و تمرا» فصارت مثلا في زيادة الإكرام. أي لك كلاهما و أزيد تمرا. و يروي «كليهما و تمرا» بالنصب على تقدير فعل محذوف أي أطعمك.

5- في «مسالك الأبصار»: «بخمسين ألف درهم».

6- في الأصول: «فقبلها فقال... إلخ» بزيادة كلمة «فقبلها». و ظاهر أنها من زيادات النساخ، إذ يأباها سياق الكلام، و ليست موجودة في «مسالك الأبصار».

هكـذا ذكر الصّوليّ في قافية الشـعر. و وجدته في أغاني بنان مرفوع القافية، و له فيه صـنعة. و لعلّ المعتزّ قال البيت، فأضاف بنان إليه آخر و جعل المخاطبة عن نفسه للمعتزّ فقال:

صوت

توحّدك الرحمن بالعز و العلا *** فأنت على كل الأنام أمير

تقاتل عنك التّرك و الخزر كلّها *** كأنّهم أسد لهنّ زئير

الغناء لبنان [لحنان(1)] خفيف ثقيل و خفيف رمل. و مما قاله المعتزّ و غنّى فيه قوله - ذكر الصّوليّ أن عبد اللّه بن المعتزّ أنشده إيّاه لأبيه - :

صوت

ألا حيّ الحبيب فدته نفسي *** بكأس من مدامة خانقينا(2)

فإنّي قد بقيت مع الليالي *** أقاسي الهمّ في يده سنينا

الغناء فيه لعريب خفيف رمل، و لبنان هزج.

/و ممّن ذكر أن له صنعة من الخلفاء المعتمد.

غناء المعتمد:

قال محمد بن يحيى الصّوليّ ذكر عبد اللّه بن المعتزّ عن القاسم بن زرزور أن المعتمد ألقى عليه لحنا صنعه في هذا الشعر و هو:

ليس الشّفيع الذي يأتيك مؤتزرا *** مثل الشّفيع الذي يأتيك عريانا

الشـعر للفرزدق. و الغناء للمعتمـد، و لحنه فيه خفيف ثقيل. هـذه حكايـة الصّوليّ. و في غناء عريب: لها في هذا البيت خفيف ثقيل. و لا أعلم لمن هو منهما على صحة، إلاّ أنّ المشهور في أيدي الناس أنه لعريب. و لم أسمع للمعتمد غناء إلاّ من هذه الجهة التي ذكرتها.

1- زيادة عن ح.

2- خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد.

16 - ذكر أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة دون غيره

اشارة

لأنّ أخباره كثيرة جدّا، فكرهت أن أثبتها هاهنا في غناء مشكوك فيه، فذكرت نسبه و خبره في هذا الشعر خاصة، و أخباره تأتي بعد هذا في موضع مفرد يتسع لطول أحاديثه

نسبه:

الفرزدق لقب غلب عليه. و اسمه همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك [بن حنظلة بن مالك] بن زيد مناة بن تميم.

هو و جرير و الأخطل أشعر طبقات الإسلاميين:

و هو و جرير و الأخطل أشعر/طبقات الإسلاميّين و المقدّم في الطبقة الأولى منهم. و أخباره تذكر مفردة في موضع آخر يتّسع لها، و نذكر هاهنا في هذا المعنى. فأخبرني خبره في ذلك جماعة. فممّن أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة، و أخبرني به أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلاّم، و أخبرني به محمد ابن العباس اليزيديّ عن السّكّريّ عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة و ابن الأعرابيّ، قال عمر بن شبّة خاصّة في خبره حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني أبي:

حديث الفرزدق و النوار و ذمه بني قيس و زهيرا و بني أم النسير لمعاونتهم إياها:

أنّ عبد اللّه بن الزّبير تزوّج تماضر بنت منظور بن زبّان، و أمّها مليكة بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة، فخاصم الفرزدق امرأته النّوار إلى ابن الزّبير. هكذا ذكر محمد بن يحيى و لم يذكر السبب في الخصومة، و ذكرها عمر بن شبّة و لم يروها عن أحد، و ذكرها ابن حبيب عن أصحابه، و ذكرها أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة: أن رجلا من بني أميّة خطب النّوار بنت أعين المجاشعيّة، فرضيته و جعلت أمرها إلى الفرزدق. فقال لها: أشهدي لي بذلك على نفسك شهودا ففعلت، و اجتمع الناس لذلك. فتكلّم الفرزدق ثم قال: اشهدوا أنّي قد تزوّجتها و أصدقتها كذا و كذا، فأنا ابن عمّها/و أحقّ بها. فبلغ ذلك النّوار فأبته و استترت من الفرزدق و جزعت و لجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقريّ. فقال فيها:

بني عاصم لا تلجئوها فإنكم *** ملاجئ للسّوءات دسم العمائم(1)

بني عاصم لو كان حيّا أبوكم *** للام بنيه اليوم قيس بن عاصم

فقالوا: و اللّه لئن زدت على هذين البيتين لتقتلنّك غيلة. فنافرته إلى عبد اللّه بن الزّبير و أرادت الخروج إليه؛ فتحامى الناس كراءها. ثم إن رجلا من بني عديّ يقال له زهير بن ثعلبة و قوما يعرفون ببني أمّ النّسير أكروها؛ فقال الفرزدق:

1- دسمت عمائمهم، أي و سخت و قذرت.

و لو لا أن تقول بنو عديّ *** أ ليست أمّ حنظلة النّوار

أتتكم يا بني ملكان عنّي *** قواف لا تقسّمها(1) التّجار

يعني بالنّوار هاهنا بنت جلّ(2) بن عديّ بن عبد مناة و هي أمّ حنظلة بن مالك بن زيد مناة و هي إحدى جدّاته. و قال فيها أيضا:

سرى بالنّوار عوهجيّ(3) يسوقه *** عبيد قصير الشّبر(4) نائي الأقارب

تؤمّ بلاد الأمن دائبة السّرى *** إلى خير وال من لؤيّ بن غالب

فدونك عرسي(5) تبتغي نقض عقدتي *** و إبطال حقّي باليمين الكواذب

/و قال أيضا:

و لو لا أنّ أمّي من عديّ *** و أني كاره سخط الرّباب

إذا لأتى الدواهي(6) من قريب *** جزاء غير منصرف العقاب

و صلت على بني ملكان منّي *** بجيش غير منتظر الإياب(7)

و قال لزهير أيضا:

لبئس العبء يحمله زهير *** على أعجاز صرمته(8) نوار

/لقد أهدت وليدتنا إليكم *** عوائر(9) لا تقسّمها التّجار

و قال لبني أمّ النّسير:

لعمري لقد أردى النّوار و ساقها *** إلى الغور أحلام خفاف عقولها

أطاعت بني أمّ النّسير فأصبحت *** على قتب يعلو الفلاة دليلها

و قد سخطت منّي النّوار الذي ارتضى *** به قبلها الأزواج خاب رحيلها

1- لعله يريد أن التجار يروونها كلها في رحلاتهم لا ينقصون منها شيئا لجودتها، فلا يختارون بعضها دون بعض لأنها كلها جيدة مختارة.

2- كذا في «شرح القاموس» مادة «جلل» و «النقائض» ص 804 و في الأصول: «حل» بالحاء المهملة و هو تصحيف.

3- عوهجي: طويلي العنق. يريد جملا.

4- كذا في أ، م: و «النقائض». و قصير الشبر: متقارب الخطو. و نائي الأقارب: غريب بعيد عن أهله. و في سائر الأصول: «السير» بالسين

المهملة و هو تصحيف.

5- كـذا في «النقائض»، و قـد ورد فيها البيت هكـذا: فـدونك عرسـي تبتغي نقض عهدتي و إبطال حقي بالمنى و الأكاذب و في الأصول: «فدونك أرشا» و هو تحريف.

6- كذا في «النقائض». و في الأصول: «الزواهر» و هو تحريف.

7- لعله يريد أنه يغزو و يحتل فلا يعود و لا ينتظر إيابه.

8- الصرمة: القطعة من الإبل نحو الثلاثين.

9- عواثر: سوائر. يريد قصائده.

و إن امرأ أمسى تحبّب زوجتي *** كماش إلى أسد الشّرى يستبيلها(1)

و من دون أبوال الأسود بسالة *** و بسطة أيد يمنع الضّيم طولها

و إنّ أمير المؤمنين لعالم *** بتأويل ما أوصى العباد رسولها

فدونكها يا ابن الزّبير فإنها *** مولّعة يوهي الحجارة قيلها

استشفعت النوار إلى ابن الزبير امرأته فاستشفع هو بابنه حمزة:

اشارة

فلما قدمت مكّة نزلت على بنت منظور بن زبّان، و استشفعت بها إلى زوجها عبد اللّه. و انضمّ الفرزدق إلى حمزة بن عبد اللّه بن الزّبير، و أمّه بنت منظور هذه، و مدحه فقال:

/

أصبحت قد نزلت بحمزة حاجتي *** إنّ المنوّه باسمه الموثوق

الأبيات. و قال فيه أيضا:

يا حمز هل لك في ذي حاجة غرضت(2) *** أنضاؤه بمكان غير ممطور

فأنت أحرى قريش أن تكون لها *** و أنت بين أبي بكر و منظور

بين الحواريّ و الصّدّيق في شعب *** نبتن في طيّب الإسلام و الخير

هذه الأبيات كلّها من رواية أبي زيد خاصّة. قالوا جميعا: و قال في النّوار:

هلمّي لابن عمّك لا تكوني *** كمختار على الفرس الحمارا

و قال فيها أيضا:

تخاصمني النّوار و غاب فيها *** كرأس الضّبّ يلتمس الجرادا

قال أبو زيد في خبره خاصّة: فجعل أمر الفرزدق يضعف و أمر النّوار يقوى. و قال الفرزدق:

أمّا بنوه(3) فلم تقبل شفاعتهم *** و شفعت بنت منظور بن زبّانا

صوت

ليس الشّفيع الذي يأتيك مؤتزرا *** مثل الشّفيع الذي يأتيك عريانا

- غنّت في هذا البيت عريب خفيف ثقيل أوّل بالبنصر - فبلغ ابن الزّبير هذا فدعا النّوار فقال: إن شئت فرّقت بينكما و قتلته فلا يهجونا أبدا، و إن شئت سيّرته إلى بلاد العدوّ. فقالت: ما أريد واحدة منهما. قال: فإنه ابن عمّك و هو فيك راغب، أ فأزوّجه إيّاك؟ قالت نعم. فزوّجه إيّاها. فكان الفرزدق يقول: خرجنا متباغضين و رجعنا متحابّين.

ص: 223

1- كذا في ج: و «اللسان» مادة «بول» أي يأخذ بولها في يده. و في الأصول: «يستغيلها» بالغين المعجمة، و هو تحريف.

2- كذا في «ديوانه». و في الأصول: «عرضت» بالعين المهملة. و غرض بالمكان: مل و ضجر. و الأنضاء: جمع نضو و هو المهزول من الإبل.

3- كذا في ج و «النقائض». و في سائر الأصول: «بنوك».

هدده ابن الزبير و غيره جلاء قومه تميم عن البيت فقال في ذلك شعرا:

أخبرني أحمد قال حدّثني عمرو بن شبّة قال قال عثمان بن سليمان:

شهدت الفرزدق يوم نازع النّوار فتوجّه القضاء عليه، فأشفق من ذلك و تعرّض لابن الزّبير بكلام أغضبه، و كان ابن الزّبير حديدا. فقال له ابن الزّبير: أيا ألأم الناس! و هل أنت و قومك إلا جالية العرب! و أمر به/فأقيم. و أقبل علينا فقال: إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة و خمسين سنة فاستلبوه؛ و أجمعت العرب عليها لما انتهكت ما لم ينتهكه أحد قطّ فأجلتها من أرض تهامة. فلما كان في طائفة من ذلك اليوم لقيني الفرزدق فقال:

هيه! أ يعيّرنا ابن الزّبير جلاءنا(1) عن البيت! اسمع! ثم قال:

فإن تغضب قريش ثم تغضب *** فإنّ الأرض ترعاها(2) تميم

هم عدد النجوم و كلّ حيّ *** سواهم لا تعدّ لهم نجوم

فلو لا بنت(3) مرّ من نزار *** لما صحّ المنابت و الأديم

بها كثر العديد و طاب منكم *** و غيركم أحذّ(4) الرّيش هيم

فمهلا عن تذلّل من عززتم *** بخولته و عزّ به الحميم

أعبد اللّه مهلا عن أذاتي *** فإنّي لا الضعيف و لا السّئوم

و لكنّي صفاة لم تؤبّس(5) *** تزلّ الطير عنها و العصوم(6)

/أنا ابن العاقر الخور(7) الصّفايا *** بصوأر(8) حيث فتّحت العكوم(9)

و ذكر الزّبير بن بكّار عن عمه أن عبد اللّه بن الزّبير لمّا حكم على الفرزدق قال: إنما حكمت عليّ بهذا لأفارقها فتثب عليها؛ و أمر به فأقيم، و قال له ما قال في بني تميم. قال: ثم خرج عبد اللّه بن الزّبير إلى المسجد فرأى الفرزدق في بعض طرق مكة و قد بلغته أبياته التي قالها، فقبض ابن الزّبير على عنقه فكاد يدقّها، ثم قال:

1- في الأصول: «أ يعيرنا ابن الزبير بجلائنا» و هي لغة رديئة.

2- كذا صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته. و في ج: «ترغبها» و هو تصحيف عن «ترعيها». و في سائر الأصول: «ترضاها» و هو تحريف.

3- كذا صححها الأستاذ الشنقيطي. و في الأصول: «نبت» و هو تصحيف.

4- أحذ الريش: قصيره. و الهيم: العطاش. و لعله يكنى بذلك عن الضعف و الذلة.

5- كذا في ج و نسخة الشنقيطي. و تؤبس: تكسر. و في سائر الأصول: «تؤنس» بالنون، و هو تصحيف.

6- لعله جمع عصم (بالضم) الذي هو جمع عصماء. و العصم الظباء.

7- كذا صححها الأستاذ الشنقيطي. و الخور: جمع خوّارة، و هي الغزيرة اللبن من النوق و الشاء، على غير قياس. و في ج: «الجول». و الجول: الجماعة من الإبل. و في سائر الأصول: «الحور» بالحاء المهملة و هو تصحيف.

8- صوأر: ماء لكلب فوق الكوفة مما يلي الشام، و هو الماء الذي تعاقر عليه غالب بن صعصعة أبو الفرزدق و سحيم بن وثيل الرياحي، و كان قد عقر غالب ناقة و فرقها على بيوت الحي، و جاء إلى سحيم منها بجفنة، فغضب سحيم وردها فقام و عقر ناقة؛ فعقر غالب أخرى و تعاقرا حتى أقصر سحيم.

9- العكوم: جمع عكم، و هو العدل (بكسر العين) أو الكارة و هي وعاء الثياب و الطعام. لعله يريد أنه ينهب ما تحمله هذه النوق ثم يذبحها.

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزا *** و لو رضيت رمح استه(1) لاستقرّت

قال الزّبير: و هذا الشعر لجعفر بن الزّبير.

ما كان بينه و بين ابن الزبير بعد ما قال له ما حاجتك بالنوار و قد كرهتك:

أخبرنا أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلاّم قال أخبرنا إبراهيم بن حبيب الشّهيد قال:

قال ابن الزّبير للفرزدق: ما حاجتك بها و قد كرهتك! كن لها أكره و خلّ سبيلها. فخرج و هو يقول: ما أمرني بطلاقها إلا ليثب عليها. فبلغ ذلك ابن الزّبير فخرج و قد استهلّ هلال ذي الحجّة و لبس ثياب الإحرام يريد البيت الحرام، فألفى الفرزدق بباب المسجد عند الباعة، فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسه بين ركبتيه و قال:

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزا *** و لو رضيت رمح استه لاستقرّت

قال الزّبير: و هذا البيت لجعفر بن الزبير.

هجاه جعفر بن الزبير فنهاه أخوه عن ذلك:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى عن أبيه قال:

لمّا قال الفرزدق في ابن الزّبير:

أمّا بنوه فلم تقبل شفاعتهم *** و شفّعت بنت منظور بن زبّانا

قال جعفر بن الزّبير:

ألاّ تلكم عرس الفرزدق جامحا *** و لو رضيت رمح استه لاستقرّت

فقال عبد اللّه بن الزّبير: أ تجزرنا كلبا(2) من كلاب بني تميم! لئن عدت لم أكلّمك أبدا.

قال: و تماضر التي عناها الفرزدق أمّ خبيب و ثابت ابني عبد اللّه بن الزّبير. و ماتت عند/عبد اللّه، فتزوّج أختها أمّ هاشم فولدت له هاشما و حمزة و عبّادا.

قال: و في أمّ هاشم يقول الفرزدق يستعينها على ابن الزّبير و يشكو طول مقامه:

تروّحت الرّكبان يا أمّ هاشم *** و هنّ مناخات لهنّ حنين

و خيّسن(3) حتى ليس فيهنّ نافق *** لبيع و لا مركوبهن سمين

قال: و هذا يدلّ على أن النّوار كانت استعانت بأمّ هاشم لا بتماضر.

فلما أذنت النوار في تزويجها منه استعان في مهرها سلم بن زياد فأعانه:

فما أذنت النّوار لعبد اللّه في تزويجها بالفرزدق حكم لها عليه بمهر مثلها عشرة آلاف درهم. فسأل: هل بمكة أحد يعينه؟ فدلّ على سلم بن زياد، و كان ابن الزّبير حبسه، فقال فيه:

1- رمح الاست: الكناية فيه واضحة.

2- يقال: أجزرت القوام إذ أعطيتهم شاة يذبحونها. يريد: أتعرض أعراضنا للفرزدق ينهشها.

3- خيسن: لم يسرّحن.

دعي مغلقي الأبواب دون فعالهم *** و مرّي تمشّي بي – هبلت – إلى سلم

إلى من يرى المعروف سهلا سبيله *** و يفعل أفعال الكرام التي تنمي

/ثم دخل على سلم فأنشده. فقال له: هي لك و مثلها نفقتك، ثم أمر له بعشرين ألفا فقبضها. فقالت له زوجته أمّ عثمان بنت عبد اللّه بن عثمان بن أبي العاصي الثّقفيّة: أ تعطي عشرين ألفا و أنت محبوس! فقال:

ألا بكرت عرسي تلوم سفاهة *** على ما مضى منّي و تأمر بالبخل

فقلت لها و الجود منّي سجيّة *** و هل يمنع المعروف سؤّاله مثلي

ذريني فإنّي غير تارك شيمتي *** و لا مقصر عن السّماحة و البذل

و لا طارد ضيفي إذا جاء طارقا *** فقد طرق الأضياف شيخي من قبلي

أ أبخل! إنّ البخل ليس بمخلد *** و لا الجود يدنيني إلى الموت و القتل

أبيع بني حرب بآل خويلد(1) *** و ما ذاك عند اللّه في البيع بالعدل

و أشري(2) ابن مروان الخليفة طائعا *** بنجل بني العوّام! قبّح من نجل

فإن تظهروا لي البخل آل خويلد *** فما دلّكم دلّي و لا شكلكم شكلي

و إن تقهروني حيث غابت عشيرتي *** فمن عجب الأيام أن تقهروا مثلي

لم تحسن النوار عشرته فتزوّج عليها حدراء بنت زيق و مدحها و ذمّ النوار:

قال دماذ في خبره: ثم اصطلحا و رضيت به، و ساق إليها مهرها و دخل بها و أحبلها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها و هما عديلان في محمل. فكانت لا تزال تشارّه و تخالفه، لأنها كانت صالحة حسنة الدّين و كانت تكره كثيرا من أمره. فتزوّج عليها حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد اللّه بن عمرو بن الحارث بن همّام بن مرّة بن ذهل بن شيبان، فتزوّجها على مائة من الإبل. فقالت له النّوّار: ويلك! تزوّجت أعرابيّة دقيقة السّاقين بوّالة على عقبيها على مائة بعير!. فقال الفرزدق يفضّلها عليها و يعيّرها أنها كانت تربّيها أمة:

/

لجارية بين السّليل عروقها *** و بين أبي الصّهباء(3) من آل خالد

أحقّ بإغلاء المهور من التي *** ربت و هي تنزو في حجور الولائد

و مدحها أيضا فقال:

/

عقيلة من بني شيبان ترفعها *** دعائم للعلى من آل همّام

من آل مرّة بين المستضاء بهم *** من رهط صيد مصاليت و حكّام

بين الأحاوص(4) من كلب مركّبها *** و بين قيس بن مسعود و بسطام

1- خويلد: هو الجد الثاني لابن الزبير.

2- أشري: أبيع.

3- أبو الصهباء: يعني بساطم بن قيس. و السليل: هو السليل بن قيس أخو بسطام.

4- الأحاوص: عوف و عمرو و شريح و ربيعة، أولاد الأحوص بن جعفر بن كلاب.

و قال أيضا يمدحها و يعرّض بالنّوار:

لعمري لأعرابيّة في مظلّة(1) *** تظلّ بأعلى(2) بيتها الرّيح تخفق

كأمّ غزال أو كدرّة غائص *** إذا ما أنت مثل الغمامة تشرق

أحبّ إلينا من ضناك(3) ضفنّة *** إذا وضعت عنها المراوح تعرق

فقال بعض(4) باهلة يجيبه:

أعوذ باللّه من غول مغوّلة *** كأنّ حافرها في الحدّ ظنبوب(5)

تستروح الشاة من ميل إذا ذبحت *** حبّ اللّحام كما يستروح الذّئب

هاجاه جرير بإغراء النوار:

و أغضب الفرزدق النّوار بمدحه إيّاها، فقالت: و اللّه لأخزينّك يا فاسق! و بعثت إلى جرير فجاءها؛ فقالت: أ لا ترى ما قال لي الفاسق! و شكت إليه. فقال:

/

فلا أنا معطي الحكم عن شفّ(6) منصب *** و لا عن بنات الحنظليّين راغب

و هنّ كماء المزن يشفى به الصّدى *** و كانت ملاحا غيرهنّ المشارب

لقد كنت أهلا أن تسوق دياتكم(7)*** إلى آل زيق أن يعيبك عائب

و ما عدلت ذات الصّليب(8) ظعينة *** عتيبة و الرّدفان منها و حاجب

ألا ربّما لم نعط زيقا بحكمه *** و أدّى إلينا الحكم و الغلّ(9) لازب

1- المظلة (بفتح الميم و كسرها): الخباء الكبير.

2- في ح و «النقائض» «بروقي بيتها». و الروق من البيت: رواقه أي شقته التي دون الشقة العليا.

3- الضناك (بكسر الضاد): الضخمة من النساء. و الضفنة (بكسر الضاد و فتح الفاء و كسرها و تشديد النون): الحمقاء مع عظم خلق.

4- هو عبد اللّه بن الحجاج بن عبد اللّه المعروف بالأصم الباهلي.

5- في ح و «النقائض»: «في حد ظنبوب». و الظنبوب: حرف الساق اليابس من قدم. و بعده في «النقائض»: و ركبناها سلاح ما يقوم لها إلا الشياطين في تلك الأعاريب

6- الشف (هاهنا) النقصان، و قد يكون الشف الفضل أيضا. («النقائض» ص 807).

7- أي لقـد كنت أهلا أن يعيبك عائب لأجل سوقك الديات إلى آل زيق. و المراد بالديات المائة من الإبل التي ساقها الفرزدق مهرا إلى آل زيق.

8- ذات الصـليب: يريـد بها حـدراء، و ذلك أن أجـدادها كانوا نصارى فعيره ذلك. و ظعينـة: امرأة. و الأصل في الظعينة المرأة تكون على البعير، ثم اسـتعمل العرب الظعينة حتى صـيروا المرأة ظعينة بغير بعير. و عتيبة: يريد عتيبة بن الحارث بن شهاب بن عبد قيس بن كناس بن جعفر بن ثعلبـة بن يربوع بن حنظلـة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، و قد رأس و كان فارس مضـر في زمانه. و حاجب: هو حاجب بن زرارة بن عـدس بن زيد بن عبد اللّه بن دارم. و الردفان هما: عتاب بن هرميّ بن رياح بن يربوع، و عوف بن عتاب بن هرميّ، و الردف: الذي يردف الملك يعادله في ركوبه و يجلس في مجلسه إذا قام من مجلسه. (عن «النقائض» ص 808 إلى 809 ببعض تصرف).

9- كذا في «النقائض» و في الأصول: «و النعل» و هو تحريف. و لازب: لازم.

حوينا أبا زيق و زيقا و عمّه *** و جدّه زيق قد حوتها المقانب(1)

فأجابه الفرزدق بقصيدة منها:

أ لست إذ القعساء(2) أنسل(3) ظهرها *** إلى آل بسطام بن قيس بخاطب

/فنل مثلها من مثلهم ثم لمهم *** بملكك من مال مراح و عازب

فلو كنت من أكفاء حدراء لم تلم *** على دارميّ بين ليلى و غالب

و إني لأخشى إن خطبت إليهم *** عليك التي لاقى يسار الكواعب

– يسار كان عبدا لبني غدانة، فأراد مولاته على نفسها، فنهته مرّة بعد مرة، و ألحّ فوعدته، فجاء فقالت له: إني أريد أن أبخّرك فإن رائحتك متغيّرة؛ فوضعت تحته مجمرة و قد أعدّت له حديدة حادّة، فأدخلت يدها فقبضت على ذكره و هو يرى أن ذلك لشيء، فقطعته بالموسى؛ فقال: «صبرا على مجامر الكرام» فذهبت مثلا – عاد الشعر:

و لو قبلوا منّي عطيّة سقته *** إلى آل زيق من وصيف مقارب(4)

هم زوّجوا قبلي ضرارا و أنكحوا *** لقيطا و هم أكفاؤنا في المناسب

و لو تنكح الشمس النجوم بناتها *** إذا لنكحناهنّ قبل الكواكب

و قال جرير:

/

يا زيق أنكحت قينا باسته حمم *** يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق(5)

غاب المثنّى فلم يشهد نجيّكما *** و الحوفزان و لم يشهدك مفروق

أين الألى أنزلوا النعمان مقتسرا *** أم أين أبناء شيبان الغرانيق

يا ربّ قائلة بعد البناء بها *** لا الصّهر راض و لا ابن القين معشوق

و قال الفرزدق(6) لجرير في هذا:

إن كان أنفك قد أعياك محمله *** فاركب أتانك ثم اخطب إلى زيق

/قال: و لامه الحجّاج و قال: أ تزوّجت ابنة نصرانيّ على مائة ناقة؟! قال: و ما هي في جود الأمير! قال:

فاشترى الإبل و ساقها.

رأى في طريقه إلى حدراء كبشا مذبوحا فتشاءم بموتها و شعره حين أخبر بوفاتها:

فلمّا كان في بعض الطريق و معه أوفى بن خنزير أحد بني التّيم بن شيبان بن ثعلبة دليله رأى كبشا مذبوحا،

1- المقانب: جمع مقنب، و هو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة.

2- القعساء من النساء: الداخلة الصلب العظيمة البطن. و إنما عني هاهنا أتانا. يعني أن بني كليب قالوا لجرير: مالك و قد حسنت حال أعيارك لا تأتي آل بسطام فتخطب إليهم كما فعل الفرزدق. («النقائض» ص 813).

3- كذا في «النقائض». و أنسل ظهرها أي طرّت فسقط و برها القديم و نبت و بر جديد و ذلك لسمنها. و في الأصول: «أنحل ظهرها».

4- عطية: هو أبو جرير. و المقارب: الدون، و قيل: هو الوسط بين الجيد و الرديء.

5- راجع هذا الشعر و شرحه في ترجمة جرير في الجزء الثامن من هذه الطبعة ص (85-86).

6- في الأصول: «و قال جرير للفرزدق» و قد صححها كما أثبتناها الأستاذ الشنقيطي في نسخته.

فقال: يا أوفى، هلكت و اللّه حـدراء!. قال: ما لك بذلك من علم!. فلمّا بلغ قال له بعض قومها: هذا البيت فانزل، و أمّا حدراء فهلكت. و قد عرفنا الذي يصيبكم في دينكم من ميراثها و هو النصف فهو لك عندنا. فقال: لا و اللّه لا أرزأ منه قطميرا، و هذه صدقتها(1) فاقبضوها. فقال: يا بني دارم! و اللّه ما صاهرنا أكرم منكم. قال: و في هذه القصة يقول الفرزدق:

عجبت لحادينا المقحّم سيره *** بنا موجفات من كلال و ظلّعا

ليدنينا ممن إلينا لقاؤه *** حبيب و من دار أردنا لتجمعا

و لو يعلم الغيب الذي من أمامنا *** لكرّ بنا حادي المطيّ فأسرعا

يقولون زر حدراء و التّرب دونها *** و كيف بشيء وصله قد تقطّعا

و ما مات عند ابن المراغة مثلها *** و لا تبعته ظاعنا حيث ودّعا

يقول ابن خنزير بكيت و لم تكن *** على امرأة عينا أخيك لتدمعا

و أهون رزء لا مرئ غير جازع *** رزيّة مرتجّ الرّوادف أفرعا

استعان الحجاج في مهر حدراء فعذله فشفع له عنبسة بن سعيد:

و قال ابن سلاّم فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه قال حدّثني حاجب بن زيد و أبو الغرّاف قالا:

تزوّج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسـطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدّين و هو عبد اللّه بن عمرو بن الحارث بن همّام بن مرّة بن ذهل بن شـيبان على حكم أبيها، فاحتكم مائـة من الإبل. فـدخل على الحجّاج/فعذله فقال: أ تزوّجتها على حكمها و حكم أبيها مائة بعير و هي نصرانية و جئتنا متعرّضا أن نسوقها عنك! اخرج ما لك عندنا شيء!. فقال عنبسة بن سعيد بن العاصي و أراد نفعه: أيها الأمير، إنها من حواشي إبل الصدقة؛ فأمر له بها. فوثب عليه جرير فقال:

يا زيق قد كنت من شيبان في حسب *** يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق

أنكحت ويحك قينا باسته حمم *** يا زيق ويحك هل بارت بك السّوق

ثم ذكر باقي القصيدة بمثل رواية دماذ.

أراد أن تحمل حدراء فاعتلوا بموتها و شعر لجرير في ذلك:

اشارة

قال ابن سلاّم: و أراد الفرزدق أن تحمل؛ فاعتلّوا عليه و قالوا: ماتت، كراهة أن يهتك جرير أعراضهم. فقال جرير:

/

و أقسم ما ماتت و لكنّه التوى *** بحدراء قوم لم يروك لها أهلا

رأوا أن صهر القين عار عليهم *** و أن لبسطام على غالب فضلا

إذا هي حلّت مسحلان(2) و حاربت *** بشيبان لاقى القوم من دونها شغلا

1- الصدقة: المهر.

2- مسحلان: موضع في بلاد بني يربوع.

و حدراء هذه هي التي ذكرها الفرزدق في أشعاره. و من ذلك قوله:

صوت

عزفت بأعشاش(1) و ما كدت تعزف *** و أنكرت من حدراء ما كنت تعرف

و لجّ بك الهجران حتى كأنّما *** ترى الموت في البيت الذي كنت تألف(2)

عروضه من الطويل. عزفت عن الشيء انصرفت عنه، عزف يعزف عزوفا. الشعر للفرزدق. و الغناء لسلسل، ثاني ثقيل بالوسطى. و فيه لحن للغريض من الثّقيل الأوّل بالبنصر من رواية حبش.

قصة ما كان بينه و بين ابن أبي بكر بن حزم حين أنشده من شعر حسان في المسجد:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش و محمد بن العباس اليزيديّ قالا حدّثنا أبو سعيد السّكّريّ قال حدّثنا محمد بن حبيب و أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة قال قال اليربوعيّ:

قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقّاص الزّهريّ: قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان. قال:

فإني و الفرزدق و كثيّرا لجلوس في المسجد نتناشد الأشعار، إذ طلع علينا غلام شخت(3) آدم في ثوبين ممصّرين (أي مصبوغين بصفرة غير شديدة) ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلّم، فقال: أيّكم الفرزدق؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش: أ هكذا تقول لسيّد العرب و شاعرها! فقال: لو كان كذلك لم أقل هذا له. فقال له الفرزدق: و من أنت لا أمّ لك؟! قال: رجل من بني الأنصار ثم من بني النّجّار ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم. بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب و تزعم مضر ذلك لك، و قد قال صاحبنا حسّان شعرا فأردت أن أعرضه عليك و أؤجّلك سنة؛ فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب و إلا فأنت كذّاب منتحل.

ثم أنشده قول حسّان:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضّحى *** و أسيافنا يقطرن من نجدة دما

متى ما تزرنا من معدّ عصابة *** و غسّان نمنع حوضنا أن يهدّما

- قيل إن قوله: «و غسان» هاهنا قسم أقسم به، لأن غسّان لم تكن تغزوهم مع معدّ -

أبى فعلنا المعروف أن ننطق الخنا *** و قائلنا بالعرف إلاّ تكلّما

ولدنا بني العنقاء و ابني محرّق *** فأكرم بنا خالا و أكرم بنا ابنما

/فأنشده القصيدة إلى آخرها و قال له: إني قد أجّلتك فيها حولا، ثم انصرف. و انصرف الفرزدق مغضبا يسحب رداءه ما يدري أيّ طريق يسلك، حتى خرج من المسجد. قال: فأقبل كثيّر عليّ فقال: قاتل اللّه الأنصاريّ! ما أفصح لهجته، و أوضح حجّته، و أجود شعره!. قال: فلم نزل في حديث الفرزدق و الأنصاريّ بقيّة يومنا. حتى إذا كان الغد خرجت من منزلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس؛ و أتاني كثيّر

فجلس معي. فإنّا لنتذاكر الفرزدق و نقول: ليت

ص: 230

1- أعشاش: موضع في بلاد بني تميم لبني يربوع بن حنظلة.

2- في «النقائض»: «الذي كنت تيلف» و هي لغة تميم.

3- الشخت: الدقيق الضامر أصلا لا هزالا.

شعري ما فعل، إذ طلع علينا في حلّة أفواف(1) يمانية موشّاة، له غديرتان، حتى/جلس في مجلسه بالأمس، ثم قال: ما فعل الأنصاريّ؟ قال: فنلنا منه و شتمناه. فقال: قاتله اللّه! ما رميت بمثله و لا سمعت بمثل شعره! فارقتكما فأتيت منزلي فأقبلت أصعّد و أصوّب في كلّ فنّ من الشعر، فلكأنّي مفحم أو لم أقل قطّ شعرا حتى نادى المنادي بالفجر، فرحلت ناقتي ثم أخذت بزمامها فقدتها حتى أتيت ذبابا(2)، ثم ناديت بأعلى صوتي: أخاكم أبا لبنى - و قال سعدان(3): أبا ليلى! - فجاش صدري كما يجيش المرجل، ثم عقلت ناقتي و توسّدت ذراعها؛ فما قمت حتى قلت مائة و ثلاثة عشر بيتا. فبينا هو ينشدنا، إذ طلع علينا الأنصاريّ حتى انتهى إلينا فسلّم ثم قال: أما إني لم آتك لأعجلك عن الأجل الذي وقّتّه لك، و لكنّي أحببت ألاّ أراك إلا سألتك عما صنعت. فقال: اجلس، ثم أنشده:

عزفت بأعشاش و ما كدت تعزف

فلمّا فرغ الفرزدق من إنشاده قام الأنصاريّ كئيبا. فلمّا توارى طلع أبوه و هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في مشيخة من الأنصار، فسلّموا علينا و قالوا: /يا أبا فراس، قد عرفت حللنا و مكاننا من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و وصيّته بنا.

و قد بلغنا أنّ سفيها من سفهائنا تعرّض لك، فنسألك باللّه لمّا حفظت فينا وصيّة النبيّ صلى اللّه عليه و سلم و وهبتنا له و لم تفضحنا.

قال إبراهيم بن محمد: فأقبلت أكلّمه أنا و كثيّر؛ فلما أكثرنا عليه قال: اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشيّ.

قال: و قد كان جرير قال:

ألا أيّها القلب الطّروب المكلّف *** أفق ربّما ينأى هواك و يسعف

ظللت و قد خبّرت أن لست جازعا *** لربع بسلمانين(4) عينك تذرف

فجعل الفرزدق هذه القصيدة نقيضة لها.

نسبة ما في الخبر من الأصوات

اشارة

منها:

صوت

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضّحى *** و أسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بنى العنقاء و ابنى محرّق *** فأكرم بنا خالا و أكرم بنا ابنما

عروضه من الطويل. الشعر لحسّان بن ثابت. و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة.

ما كان بين النابغة و حسان بسوق عكاظ حين مدح النابغة الخنساء:

اشارة

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثني محمد بن سعد الكرانيّ عن أبي عبد الرحمن الثّقفي، و أخبرني

ص: 231

1- الأفواف: جمع فوف (بالضم) و هو القطن.

2- ذباب (رواه الحزامي بكسر أوله و العمراني بضمه): جبل بالمدينة.

3- لم يتقدم في سند هذا الخبر شخص بهذا الاسم.

4- سلمانان (بضم أوّله و تكرير النون): اسم موضع، تضاف إليه البرقة المعروفة ببرقة سلمانين. (راجع «معجم البلدان» في سلمانين و «برقة سلمانين»).

أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة، و أخبرنا إبراهيم بن أيّوب الصائغ عن ابن قتيبة:

/أن نابغة بني ذبيان كان تضـرب له قبة من أدم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشـعراء؛ فدخل إليه حسّان بن ثابت و عنده الأعشى و قد أنشده شعره و أنشدته الخنساء قولها:

قذى بعينك أم بالعين عوّار

حتى انتهت إلى قولها:

و إنّ صخرا لتأتمّ الهداة به *** كأنه علم في رأسه ثار

و إنّ صخرا لمولانا و سيّدنا *** و إن صخرا إذا نشتو لنحّار

فقال: لو لا أن أبا بصير أنشدني قبلك لقلت: إنك أشعر الناس! أنت و اللّه أشعر من كل ذات/مثانة(1). قالت: و اللّه و من كلّ ذي خصيتين. فقال حسّان: أنا و اللّه أشعر منك و منها. قال: حيث تقول ما ذا؟ قال: حيث أقول:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضّحى *** و أسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء و ابني محرّق *** فأكرم بنا خالا و أكرم بنا ابنما

فقال: إنك لشاعر لو لا أنك قلّلت عـدد جفانك و فخرت بمن ولدت و لـم تفخر بمن ولدك. و في رواية أخرى: فقال له: إنك قلت «الجفنات» فقلّلت العدد و لو قلت «الجفان» لكان أكثر. و قلت «يلمعن في الضّـحى» و لو قلت «يبرقن بالدّجى». لكان أبلغ في المديح لأن الضـيف بالليل أكثر طروقا. و قلت «يقطرن من نجدة دما» فدللت على قلة القتل و لو قلت «يجرين» لكان أكثر لانصباب الدّم. و فخرت بمن ولدت و لـم تفخر بمن ولدك. فقام حسّان منكسرا منقطعا.

مما يغنّي فيه من قصيدة الفرزدق الفائية قوله:

صوت

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا *** و إن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

فيه رمل بالوسطى، يقال: إنه لابن سريج، و ذكر الهشاميّ أنه من منحول يحيى المكّيّ.

انتحل بيتا لجميل:

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد الكلابيّ قال:

وقف الفرزدق على جميل و الناس مجتمعون عليه و هو ينشد:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا *** و إن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

فأشرع إليه رأسه من وراء الناس و قال: أنا أحقّ بهذا البيت منك. قال: أنشدك اللّه يا أبا فراس!. فمضى الفرزدق و انتحله.

ص: 232

1- المثانة: المراد بها هنا موضع الولد من الأنثى.

عرّض هو و كثير كل منهما للآخر أنه سرق بيتا من جميل:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزّبير قال حدّثني أبي عن جدّي:

أن الفرزدق لقي كثيّرا فقال له: ما أشعرك يا كثيّر في قولك:

أريد لأنسى ذكرها فكأنّما *** تمثّل لي ليلى بكلّ سبيل

فعرّض له بسرقته إيّاه من جميل:

أريد لأنسى ذكرها فكأنّما *** تمثّل لي ليلى على كلّ مرقب

فقال له كثيّر: أنت يا فرزدق أشعر منّي في قولك:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا *** و إن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

– قال: و هذا البيت لجميل سرقه الفرزدق – فقال الفرزدق لكثيّر: هل كانت أمّك ترد البصرة؟ قال: لا! و لكن أبي كان نزيلا لأمّك.

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب عن طلحة بن عبد اللّه بن عوف قال: لقي الفرزدق كثيّرا بقارعة البلاط و أنا و هو نمشي؛ فقال له الفرزدق: يا أبا صخر! أنت أنسب العرب حيث تقول:

/

أريد لأنسى ذكرها فكأنما *** تمثّل لي ليلى بكلّ سبيل

قال: و أنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول:

/

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا *** و إن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

– قال عبد العزيز: و هذان البيتان جميعا لجميل، سرق أحدهما الفرزدق، و سرق الآخر كثيّر – فقال له الفرزدق: يا أبا صخر، هل كانت أمّك ترد البصرة؟ قال: لا! و لكن أبي كان كثيرا يردها. قال طلحة: فو الذي نفسي بيده لقد تعجّبت من كثيّر و جوابه، و ما رأيت أحدا قطّ أحمق منه؛ لقد دخلت عليه يوما في نفر من قريش، و كنّا كثيرا نهزأ به، و كان يتشيّع تشيّعا قبيحا، فقلنا له: كيف تجدك يا أبا صخر؟ فقال: بخير. هل سمعتم الناس يقولون شيئا؟ قلت: نعم! يتحدّثون أنك الدجّال. قال: و اللّه إن قلت ذلك إنّي لأجد في عيني هذه ضعفا منذ أيام!.

و لجرير قصيدة يناقض بها هذه القصيدة في أوّلها غناء نسبته:

ألا أيّها القلب الطّروب المكلّف *** أفق ربّما ينأى هواك و يسعف

ظللت و قد خبّرت أن لست جازعا *** لربع بسلمانين عينك تذرف

الشـعر لجرير. و الغناء لمحمد بن الأشـعث الكوفيّ ثاني ثقيل بالبنصر، عن عمرو بن بانة. و قال حبش: فيه ثقيل أوّل بالوسطى. و ليس ذلك بصحيح.

ص: 233

رجع الحديث إلى سياقه حديث الفرزدق و النّوار:

تزوّج رهيمة بنت غنيم اليربوعية:

قال دماذ: و تزوّج الفرزدق على النّوار امرأة من اليرابيع، و هم بطن من النّمر بن قاسط حلفاء لبنى الحارث بن عباد القينيّ، و قد انتسبوا فيهم. فقالت له النّوار: و ما عسى أن تكون القينيّة؟! فقال:

/

أرتك(1) نجوم اللّيل و الشمس حيّة *** زحام بنات الحارث بن عباد

نساء أبوهنّ الأغرّ و لم تكن *** من الحتّ(2) في أجبالها و هداد(3)

و لم يكن الجوف(4) الغموض محلّها *** و لا في الهجاريّين رهط زياد

أبوها الذي أدنى النّعامة بعد ما *** أبت وائل في الحرب غير تماد

- يعني بأبيها الذي أدنى النعامة الحارث بن عباد، و أراد قوله:

قرّبا مربط النّعامة منّي

-

عدلت بها ميل النّوار فأصبحت *** مقاربة لي بعد طول بعاد

و ليست و إن أنبأت أنّي أحبّها *** إلى دارميّات النّجار جياد

و قال أبو عبيدة حدّثني أعين بن لبطة قال: تزوّج الفرزدق، مضارّة للنّوار، امرأة يقال لها رهيمة بنت غنيم بن درهم من اليرابيع، قوم من النّمر بن قاسط في بني الحارث بن عباد. و أمّها الحميضة(5) من بني الحارث. فنافرته الحميضة فاستعدت عليه. فأنكرها الفرزدق و قال: أنا منها بريء، و طلّق ابنتها و قال:

إن الحميضة كانت لي و لا بنتها *** مثل الهراسة(6) بين النّعل و القدم

إذا أتت أهلها منّي مطلّقة *** فلن أردّ عليها زفرة النّدم

/مضى الحديث. و لم أجد لأحد من الخلفاء الذين ذكرتهم و الذين لم أذكرهم، بعد الواثق، صنعة يعتدّ بها إلا المعتضد، فإنه صنع صنعة متقنة عجيبة، أبرّت(7) على صنعة سائر الخلفاء/سوى الواثق، و فضل فيها أكثر أهل الزمان الذي نشأ فيه. و إنما ذكرت صنعة من بينهما، لأنها قد رويت، فأمّا حقيقة الغناء الجيّد فليس بينهما مثلهما.

1- في «ديوانه»: «أراك». و في «النقائض»: «سوف يريك النجم».

2- الحت: قبيلة من كندة.

3- هداد: حي من اليمن.

4- الجوف: المطمئن من الأرض. و يحتمل أن يكون الغموض بفتح الغين صيغة مبالغة من غمض المكان إذا تطامن و خفي. و يحتمل أن يكون جمع غمض، و هو المكان المنخفض المطمئن. و إنما وصف المفرد بالجمع لإرادة الجنس، كما يقال الدينار الصفر، و الدرهم البيض. و منه قول الفرزدق نفسه على رواية «الأغاني» كما تقدّم في صفحة 325 من هذا الجزء: و إبطال حقي باليمين الكواذب

5- في «النقائض» ص 595: «الخميصة» بالخاء المعجمة و الصاد المهملة.

6- الهراسة: واحدة الهراس، و هو شوك كأنه حسك.

7- كذا في ج. «و أبرأت: علت. و في سائر الأصول: «أبرزت» و هو تحريف.

و ذكر عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر صنعة المعتضد فقرّظها، و قال: لم أجد لحنا قديما قد جمع من النّغم ما جمعه لحن ابن محرز في شعر مسافر بن أبي عمرو و هو:

يا من لقلب مقصر *** ترك المنى لفواتها

فإنه جمع من النغم العشر ثمانيا، و لحن ابن محرز أيضا في شعر كثيّر:

توهّمت بالخيف رسما محيلا *** لعزّة تعرف منه الطّلولا

و هو أيضا يجمع ثمانيا من النّغم. و قد تلطّف بعض من له دربة و حذق بهذه الصناعة حتى جمع النّغم العشر في هذا الصوت الأخير متوالية، و جمعها في صوت آخر غير متوالية، و هو في شعر ابن هرمة:

فإنّك إذ أطمعتني منك بالرضا *** و أيأستني من بعد ذلك بالغضب

و أعجب من ذلك ما عمله أمير المؤمنين المعتضد باللّه؛ فإنه صنع في رجز دريد بن الصّمّة «يا ليتني فيها جذع» لحنا من الثقيل الأوّل يجمع النّغم العشر، فأتى به مستوفى الصنعة محكم البناء، صحيح الأجزاء و القسمة، مشبع المفاصل، كثير الأدوار، لا حقا بجيّد صنعة الأوائل. و إنما زاد فضله على من تقدّمه لأنه عمله في ضرب من الرجز /قصير جدّا، و استوفى فيه الصنعة كلّها على ضيق الوزن، فصار أعجب مما تقدّمه؛ إذ تلك عملت في أوزان تامّة و أعاريض طوال يتمكّن الصانع فيها من الصنعة و يقتدر على كثرة التصرّف؛ و ليس هذا الوزن في تمكّنه من ذلك فيه مثل تلك.

نسبة هذا اللحن

صوت

يا ليتني فيها جذع *** أخبّ فيها و أضع(1)

أقود وطفاء(2) الزّمع *** كأنها شاة صدع(3)

الشعر لدريد بن الصّمّة. و الغناء للمعتضد، و لحنه ثقيل أوّل يجمع النّغم العشر.

1- الجذع: الصغير السن. و الخبب و الوضع: نوعان من السير.

2- الزمع: هنات شبه أظفار الغنم في الرسغ، في كل قائمة زمعتان كأنما خلقتا من قطع القرون؛ أو الزمعة: الشعرة المدلاة في مؤخر رجل الشاة و الظبي و الأرنب. و وطفاء: كثيرة الشعر سابغته. يريد فرسا هذه صفتها.

3- الصدع من الأوعال و الظباء و الإبل و الحمر: الفتى الشاب القوي منها.

فهرس موضوعات الجزء التاسع

الموضوع الصفحة

كثير عزة 5

عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر 30

مسافر بن أبي عمرو بن أمية 36

- خبر عمارة بن الوليد و السبب الذي من أجله سحر 40

- الأرمال الثلاثة المختارة 44

ذكر امرئ القيس و نسبه و أخباره 55

أخبار الأعشى و نسبه 75

نسب عمرو بن سعيد بن زيد و أخباره 90

أصوات معبد المسماة مدن معبد و تسمّى أيضا حصون معبد 94

ذكر عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة و نسبه 96

- صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن 105

ذكر الشماخ و نسبه و خبره 109

- صوت من مدن معبد 119

ذكر قيس بن ذريح و نسبه و أخباره 124

- صوت من مدن معبد في شعر عنترة 150

- صوت من مدن معبد في شعر الحارث بن خالد المخزومي 153

ذكر الحارث بن خالد و نسبه 155

- نسبه أصوات معبد في قتيلة 162

- سبعة ابن سريج 163

أغاني الخلفاء و أولادهم و أولاد أولادهم 172

ذكر عمر بن عبد العزيز و شيء من أخباره 175

نسب الأشهب بن رميلة و أخباره 185

- عود إلى أخبار عمر بن عبد العزيز 188

- غناء الوليد بن يزيد 188

- غناء الواثق 189

- غناء المنتصر 205

- غناء المعتز باللّه 208

أخبار عديّ بن الرقاع و نسبه 210

أخبار المعتز في الأغاني و مع المغنّين و ما جرى هذا المجرى 217

ذكر أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة دون غيره 221

ص: 237

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹